

شرح نهج البلاغة

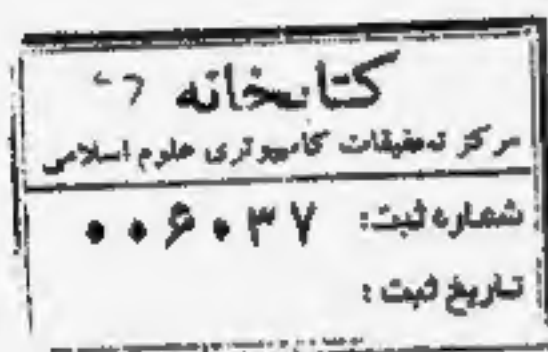
لابن أبي الحديد

مختص
بمحدث أبو الفضل برهان

دار النشر: المكتبة الإسلامية
بيروت - لبنان - مصر

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء السابع عشر

دارالحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه



منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل^(١)

(٤٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِمَامَةِ الدِّينِ ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَشِيمِ ،
وَأَسُدُّ بِهِ لِهَآءِ الشَّعْرِ الْمَخُوفِ .

فَاسْتَمِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَمَّكَ ، وَأَخْلَطَ الشَّدَّةَ بِضَعَثٍ مِنَ اللَّيْنِ ؛ وَارْفُقْ مَا كَانَ
الرَّفْقُ أَرْفَقَ ، وَاعْتَرِمَ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُفْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ .

وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ؛
وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، وَالْإِشَارَةِ وَالنَّحِيَّةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْمُظْلَمُ
فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَتَّسِقَ الضُّعْفَاءُ مِنْ عَذْلِكَ . وَالسَّلَامُ .

الشرح :

قد أخذ الشاعر معنى قوله : « وأس بينهم في اللحظة والنظرة » ، فقال :

(١) : « وبه نستعين » ، « وبه نفق » .

اقسم الماحظ بيننا إن في الله ظر لعنوان ما نَجِّنُ الصدورُ

إنما البر روضة فإذا ما كن بشر فروضة وعديرُ

قوله : « وآس بينهم في اللحظة » ، أى اجعلهم أسوة ، وروى : « وساير بينهم في اللحظة » ؛ والمعنى واحد .

واستظهر به : اجعله كالظمر .

والنخوة : الكبرياء : والأثيم : المخطئ الذنب .

وقوله : « وأسد به لحاة الثغر » استعارة بجسنة .

والضنث في الأصل : قبضة حشيش مختلط بأبشها بشيء من الرطب ، ومنه « أضفث

الأحلام » للرؤيا المختلطة التي لا يصح تأويلها ، فاستعار اللفظة ها هنا ؛ والمراد : امزج^(١)

الشدة بشيء من اللين^(٢) فاجعلهما كالضنث ، وقال نبال : « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِفْثًا^(٣) » .

قوله : « فاعززم بالشدة » أى إذا جدد لك الحقد فدع اللين ، فإن في حال الشدة

لا تُفَرِّقِي إِلَّا الشدة ، قال الفند الزماني :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عُريان^(٤)

ولم يبق سوى المدوا سر دنائم كما دانوا

قوله : « حتى لا يطعم العطاء في حيفك » ، أى حتى لا يطعم العطاء في أن تحاليتهم على

حيف الضمطاء ، وقد تقدم مثل هذا فيما سبق .

(١) د : د مزج . . (٢ - ٢) ساقط من د .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - بشرح التبريزي ، من شعره في حرب البسوس .

(٤٧)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضرب به

ابن ملجم لعنه الله :

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتَكُمَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا
زُورِي عَنْكُمَا ، وَقُولَا بِالْحَقِّ ، وَاعْمَلَا لِلْآخِرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا ، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا .
أَوْصِيَكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ،
وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : صَلَاحُ
ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ .

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيثَامِ ، فَلَا تُبْغُوا أَقْوَاهُمْ ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ بَيْنِكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا
أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لَا تَخْلَوْهُ مَا يَقْبِيتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تُنَظَرُوا .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالْبَيْنِكُمْ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَادُلِ ؛ وَإِبَائِكُمْ وَالْقَدَائِرَ وَالتَّقَاطُعَ ، لَا تَتْرُكُوا

الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَيَوَلَّى عَلَيْكُمْ أَمْثَارَكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ
فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ .

ثم قال :

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا الْفَيْسَكُمُ تَغْوِضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا ، تَقُولُونَ :
قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! أَلَا لَا تَقْتُلُنِي إِلَّا قَاتِلِي ، انْظُرُوا
إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ خَرَبَتِهِ هَذِهِ فَأَضْرِبُوهُ خَرَبَةً بِخَرَبَةٍ ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ ؛ فَإِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِنَّا كُمْ وَالْمَثَلَةُ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْمُقْوَرِ .



الْبَزْخُ :

مركز تحقیقات فقهی و حقوقی اسلامی

روى : « واعملا للآخرة » ، وروى : « فلا تنفروا أفواهكم » ؛ يقول : لا تطلب الدنيا
وإن طلبتكم ؛ فإذا كان من تطلبه الدنيا منيها عن طلبها فن لا تطلبه يكون منيها عن
طلبها بالطريق الأولى .

ثم قال : « ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكم » ، أى قبض ؛ قال رسول الله
صلى الله عليه وآله : « زويت لي الدنيا فأريت مشارفها ومغارفها ، وسيلغ ملك أمتي
ما زوى لي منها » .

وروى : « ولا تأسفا » ؛ وكلاهما بمعنى واحد ، أى لا نحزننا ، وهذا من قوله تعالى :
﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ^(١) .

قوله : « صلاح ذات البين » أخذ هذه اللفظة عبد الملك بن مروان فقال لبنيه وقد جمعوا

عنده يوم موته :

انقروا الصفائن بينكم وعليكم
بصلاح ذات البين طول حياتكم
إن القِداح إذا اجتمعن فرامها
عزت فلم تُكسر ، وإن هي بُدَّتْ
عند الغيب وفي حضور الشهد
إن مدًى في عمرى وإن لم يمدد
بالكسر ذو بطش شديد أيدي
فالوهن والتكسر للفتد
وذاث هاهنا زئدة مقحمة .

قوله : « فلا تُفوتوا أفواههم » ، أى لا نجيموم بأن تطعموم غيباً ، ومن روى : « فلا
تغيروا أفواههم » فذاك لأن الجائع يتغير فيه ، قال عليه السلام : « تَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ
أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَيْتِ » .

قال : « ولا يضيعوا بحضرتكم » أى لا تضيعوم ، فالنهي في الظاهر للأيتام وفي المعنى
للأوصياء والأولياء ، والظاهر أنه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم ؛ لأن
أولئك الأوصياء محرم عليهم أن يصيروا من أموال الأيتام إلا القدر الضرر جداً عند الضرورة
ثم يقضونه مع التمكن ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له : لا تغيروا أفواه أيتامكم ،
وإنما الأظهر أنه يسمى الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتيمون مواساتهم ويقبح القعود عنهم ، كما قال
تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ^(١) ، واليتيم في الناس من قبل
الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ؛ لأن الآباء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد ، بل العناية للأم
لأنها المرضعة المشفقة ؛ وأما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقة الولد ؛ فإذا مات وصل
الضرر إليه لنقد كافله والأم بمنزل عن ذلك . وجمع يتيم على أيتام ، كما قالوا : شريف
وأشراف . وحكى أبو عبيد في التكملة : « كىء وأكاء » ، ولا يسمى الصبي يتيماً إلا إذا

كان دون البلوغ وإذا بلغ زال اسمُ اليتيم^(١) عنه . واليتامى أحد الأصناف الذين عيّنوا في الخمس بنص الكتاب العزيز .

[فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار]

ثم أوصى بالجيران ، واللفظ الذي ذكره عليه السلام قد ورد مرفوعاً في رواية عبد الله ابن عمر لما ذبح شاة ، فقال : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ » ، وعنه عليه السلام : « جارُ السوءِ في دارِ المقامةِ قاصحةُ الظلم » ، وعنه عليه السلام : « مَنْ جُهِدَ الْبَلَاءُ جَارُ سُوءٍ مَعَكَ فِي دَارِ مُقَامَةٍ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا وَأَفْشَاهَا » .
ومن أدعيتهم : اللهم إني أعوذ بك من مالٍ يكون عليّ فتنَةً ، ومن ولدٍ يكون عليّ كَلًّا ، ومن حَليلةٍ تقرب الشيب ، ومن جارٍ تراني عيناؤه وترعاني أذناه ، إن رأى خيراً دفنه ، وإن سمع شراً طار به .

ابن مسعود يرفعه : « والذي تقسى بيده لا يُسلم العبد حتى يَسلم قلبه ولسانه ، ويأمن جاره بوائقه » ، قالوا : ما بوائقه ؟ قال : غشّمه وظلمه .

لقمان : يا بني ، حملتُ الحجارة والحديد فلم أر شيئاً أثقلَ من جارِ السوء .
وأنشدوا :

ألا مَنْ يَشْتَرِي داراً بِرُخْيسٍ كراهةً بَمَضْرَجِ جِيرَتِهَا تَباعُ
وقال الأصمعيّ : جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين : اللؤم وقلة النيرة ،

وجاور أهل البصرة الخَزَر، فأخذوا عنهم خصلتين : الزنا وقلة الوفاء ، وجاور أهل الكوفة السواد ، فأخذوا عنهم خصلتين : السخاء والغيرة .

وكان يقال : مَنْ تطاول على جاره ، حُرِمَ بركة داره .

وكان يقال : مَنْ آذى جاره ورثه الله داره .

باع أبو الجهم المدوي داره ، وكان في جوار سعيد بن العاص بمائة ألف درهم ، فلما أحضرها المشتري قال له : هذا ثمن الدار ، فأعطني ثمن الجوار ، قال : أي جوار ؟ قال : جوار سعيد بن العاص ، قال : وهل أشتري أحد جواراً قط ؟ فقال : رُدَّ عليّ داري ، وخذ مالك ، لا أدع جوار رجل ؛ إن قدمتُ سأل عني ، وإن رآني رَحِبَ بي ، وإن غبت عنه حفظني ، وإن شهدت عنده قرّبتني ، وإن سأله قضى حاجتي ، وإن لم أسأله بدأني ، وإن نابشني نأبئة فرّج عني . فبلغ ذلك سعيداً فبعت إليه مائة ألف درهم ، وقال : هذا ثمن دارك ، ودارك لك .

الحسن : ليس حسنُ الجوار كَفُّ الأذى ، ولكنَّ حسنَ الجوار الصَّبْرُ على الأذى .

جاءت امرأة إلى الحسن فشكت إليه الخلة^(١) ، وقالت : أنا جارتك ، قال : كم بيني وبينك ؟ قالت : سبع أدوير ، فنظر الحسن فإذا تحت فراشه سبعة دراهم ، فأعطاهما إياها ، وقال : كدنا نَهْلِكَ .

وكان كعب بن مامة إذا جاوره رجل قام له بما يُصلحه ، وحماه ممن يقصده ، وإن هلك له شيء أخلفه عليه ، وإن مات وداه لأهله ، فجاوره أبو دُوَادَ الإيادي ؛ فزاره على العادة ، فبالغ في إكرامه . وكانت العرب إذا حمدت جارا قالت : جار كجار أبي دُوَادَ ، قال قيس بن زهير :

(١) الخلة : الحاجة .

أَطَوَّفَ مَا أَطَوَّفَ ثُمَّ آوَى إِلَى حَارٍ كَحَارِ أَبِي دُوَادٍ^(١)
ثُمَّ تَعَلَّمَ مِنْهُ أَبُو دُوَادٍ، وَكَانَ يَفْعَلُ الْحَارَ فَعَلَّ كَسِبَ بِهِ .

وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِيِّ :

مَا صَرَ حَارًا لِي أَحَادُهُ الْأَبْكَونَ لِيَا بَرِّ سِنَرٍ^(٢)
أَعْمَى إِذَا مَا إِذَا حَارَتِي خَرَحْتُ حَتَّى يَوَارِي حَارَتِي الْخَضِرُ
نَارِي وَبَارُ الْحَارِ وَاحِدَةٌ وَبِهِ قَبْلِي يُنْزِلُ الْقِدْرُ^(٣)

استعرض أبو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا^(٤) ، فقال لأصحابه : لماذا يصلح هذا ؟
فذكروا ساق الحيل ، وصيّدوا الطمر والنمام ، واتباع انفار من الحرب ، فقال : لم نصلحوا
شيئاً يصلح للفراد من الحار السوء .

سئل سليمان بن علي بن خالد بن سمعان عن أبيه : محمد وسليمان - وكأما حارته - فقال :
كيف إجمادك حوارهما ؟ فممثل بقول يزيد بن مفرغ الحميري :

سَقَى اللَّهُ دَارًا لِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا فِي حَنْبٍ دَارِي مُعْقِلٍ بِي بَسَارٍ
أَبُو مَالِكٍ حَارٌ لِحَبِّ بْنِ صَمْرَدٍ فَيَا لَكَ حَارِي دَلَقَ وَصَفَارٍ !

وفي الحديث الرفوع أيضا من رواية حار : الحيران ثلاثة : فدار له حق ، ودار
له حقان ، ودار له ثلاثة حقوق ؛ فصاحب الحق الواحد جاز مشرك لا رحم له ، فحقه

(١) الصافي والمنسوب ٩ : ١٠٠ .

(٢) الأولان في أمالي المرتضى ١ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) موضعه في أمالي المرتضى :

وَيَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا صَمِيٌّ وَمَا بِي عَيْرَةٌ وَقُرُ

(٤) فرس محضير ، أي شديد الحضر ؛ وهو العدو .

حقّ الجوار ، وصاحب الحَقَّين جار مسلم لا رَحِمَ له ، وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رَحِمٍ ،
وأذني حقّ الجوار ألا تؤذي جارك بقتار قِدرِكَ ، إلا أن تقتدح له منها .

ممت : تقتدح : تعترف ، والمقدحة الفرقة .

وكان يقال : الحيران حمة : الجار صار استيأ الجوار ، والجار الدّيس الحسن
الجوار ، والجار اليربوعي المافق ، والجار البراقشي المتلون في أفعاله ، والجار الحسدلي^(١)
الذي عينه ترائك وقلبه يرعاك .

وروى أبو هريرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « اللهم إني أعوذ بك
من جار السوء في دار المقامة ، فإن دار المادية تتحول » .

فوله عليه السلام : « الله الله في القرآن » أمرها « التسريعة إلى العمل به ، وسهاها
أن يسبقهما عبرها إلى ذلك ، ثم أمرها بالصلاة والحج .
وشدد الوصاء في الحج ، فقال : « فإيه إن تراء لم تظروا » أي يتمحل الانتقام
منكم .

فأما المثلة فمنع عنها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمثل مهتار بن الأسود
لأنه روع زيب حتى أحمست ، ثم هي عن ذلك ، وقال : لا مثلة ، المثلة حرام .

(١) الحسدلي : منسوب إلى الحسدلي وهو الفراد .

(٤٨)

الأنزل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فإنَّ النِّمَى وَالرُّؤْرَ يُوتَعَانِ الْمَرْءُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ ، وَبُشْدِيَانِ حَلَلُهُ عِنْدَ مَنْ يَمِينُهُ ،
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ عَيْرٌ مُدْرِكٌ مَا قَصِيَّ قَوَاتُهُ ، وَقَدْ رَأَى أَقْوَامٌ أَمْرًا بِمَعْرِ الْحَقِّ ، فَتَأَلَّوْا
عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ ، فَاحْذَرُوا يَوْمًا يُعْطَسُ بِهِ مِنْ أَحْمَدَ عَاقِبَتُهُ عَمَلُهُ ، وَيَتَدَمُّ مِنْ
أَمْكَنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيَادِهِ فَنَمُ يُحَادِنُهُ ، وَقَدْ دَعَوْنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ
مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَسْنَا بِإِنَّاكَ أَحْسَنًا ، وَلَكِنَّا أَحْسَنُ الْقُرْآنِ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلَامُ .

الشيخ :

يُوتَعَانِ : يَهْتِكُنْ ؛ وَالْوَسْعُ بِالْتَحْرِيكِ : الْهَلَاكُ ؛ وَقَدْ وَنَعَ يُوْتَعُ وَتَمًا ، أَيْ أُنِمْ
وَهَلَكَ ، وَأَوْتَعَهُ اللَّهُ : أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، وَأَوْتَعُ فُلَانٌ دِينَهُ بِالْإِنِّمِ .

قوله : « فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ » ، أَيْ حَلَفُوا ، مِنَ الْأَلْتِيَّةِ وَهِيَ الْيَمِينُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ تَأَلَّى
عَلَى اللَّهِ أَكْذَبَهُ اللَّهُ » ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ أَقْسَمَ تَحَرُّاً وَاقْتِدَاراً : لِأَفْعَلَى كَذَا ، أَكْذَبَهُ اللَّهُ
وَلَمْ يَبْلُغْ أَمَلَهُ .

وَقَدْ رَوَى : « تَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ » أَيْ حَرَّفُوا الْحُكْمَ عَنْ مَوَاصِيهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِشِبْهِةٍ
فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ انْتِصَاراً لِمَذَاهِبِهِمْ وَأَرَائِهِمْ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَطَهَرَ لِلْعُقُلَاءِ فَسَادَ تَأْوِيلَاتِهِمْ .
وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَيَغْتَبِطُ فِيهِ : يَفْرَحُ وَيُسَرُّ ، وَبِصَّةٌ : اسرور ، دوى « يَغْبِطُ فِيهِ » أى يَتَمَنَّى
مِثْلُ حَالِهِ هَذِهِ .

قوله : « وَبِئْسَ مَنْ أَمْسَكَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يَحَادِثْهُ » الِیَاءُ الَّتِی هِی حَرْفُ
الْمَصَارَعَةِ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَكَلَفِ الَّذِی أَمْسَكَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ . يَقُولُ : إِذَا لَمْ يَحَادِثْ
الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ فَإِنَّهُ يَنْتَدِمُ ؛ فَأَمَّا مَنْ حَادَثَهُ قِيَادَهُ فَقَدْ قَامَ عِنْدَهُ عَلَيْهِ .

ومثله قوله : « وَلَسَا بِإِلَهِكُمْ أَحْسَبًا » قوله : « وَاقِهِ مَا حَكَمْتَ مَخْلُوقًا وَإِنَّمَا حَكَمْتَ
الْقُرْآنَ » وَمَعْنَى « مَخْلُوقًا » : بَشَرًا لَا مَحْدِثًا .

(٤٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْعُورَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ
لَهُ حِرْمَانًا عَلَيْهَا ، وَهَجَا بِهَا ، وَلَنْ يَسْتَمِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَشْعُرْ مِنْهَا ،
وَمِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ ، وَنَقْصُ مَا كَثُرَ ، وَلَوْ اعْتَرَتْ بِهَا مَعِي ، حَقِطَتْ
مَا بَقِيَ ؟ وَالسَّلَامُ .

الْبَيْتُ :

هذا كما قيل في الثعل : صاحب الدُّنْيَا كشارب ماء البحر ؛ كلما ازداد شرباً
ازداد عطشاً ، والأصل في هذا قول الله تعالى : « لَوْ كُنَّ لَابْنُ آدَمَ وَادْبَارٍ مِنْ نَهْجٍ
لَابْتَنَى لَهَا تَالِثًا ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابَ » ، وهذا من القرآن الذي رُفِعَ
ونسختَ تلاوته .

وقد ذكر نصر بن منافع هذا الكتاب وقال :

بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَرَادَ فِيهِ زِيَادَةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا
الرَّصِيُّ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ ، وَصَاحِبُهَا مِنْهُومٌ ^(١) عَلَيْهَا ، لَمْ يُصِبْ
شَيْئًا مِنْهَا قَطُّ إِلَّا فَتَحَتْ عَلَيْهِ حِرْمَانًا ، وَأَدْحَتْ عَلَيْهِ مَوْتَهُ ^(٢) تَرِيدُهُ رَغْبَةً فِيهَا ؛

(١) صديق : « مشغول فيها » . (٢) صديق : « مَوْتُهُ » .

ولن يستغنى صاحبها بما نال مما لم يدرك ، ومن وراء ذلك فراق ما جمَعَ ؛ والسعيد مَنْ
وَعِظَ بِمِيره ، فلا تُخْطِطْ أَحركَ أبا عبد الله ^(١) ولا تشرك معاوية في باطله ^(٢) ؛ فإن معاوية
غصَّ الناس ، وسفَّه الحق ^(٣) . والسلام ^(٤) .

قال نصر : وهذا أوَّل كتاب كتبه على عليه السلام إلى عمرو بن العاص ، فكتب
إليه عمرو جوابه :

أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحا ، وألفة ذات بيننا ، أن نُجِيبَ إلى الحق ^(٥) ،
وأن نُجِيبَ إلى ^(٦) ما تدعوكم إليه من اشورى ^(٧) ؛ فصرَّ الرجل ما نفعه على الحق ،
وعدَّه النَّاسَ بالمحاجة ، والسلام ^(٨) .

قال نصر : فكتب على عليه السلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتاباً عريضاً .
وهو الذي صرَّب مثله فيه السَّكْبِي بِبيع الرجل ، وهو المذكور في " نهج البلاغة " ،
واللهج : الحرص .

ومعنى قوله عليه السلام : « لو اعتبرت بما مضى حِطَّتْ ما بَقِيَ » ، أى لو اعتبرت
بما مضى من عمرك لحطت ما بقيه أن تنفقه في الصَّلال وطلب الدنيا ونصيحه .

(١-١) صعب : « ولا تجارين معاوية في باطله » .

(٢) غصَّ الناس : احتقرهم ؛ وسفَّه الحق ، أى جهله .

(٣) صعب ١٢٤ . (٤) تدب إلى الحق : ترجع .

(٥ - ٦) صعب : « أن نجيب إلى ما تدعون إليه من اشورى » .

(٦) صعب ١٢٣ .

(٥٠)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش :

من عند الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين راحة إلى أصحاب السالحي :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُنْفِرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَعَسَى نَالَهُ ، وَلَا طَوْلَ
حُصْنٍ بِهِ ، وَأَنْ يَرِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ دُونَ مَا مِنْ عِدِّهِ ، وَعَظَمًا
عَلَى إِخْوَانِهِ .

أَلَّا وَلِيَّكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُخْتَبِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ، وَلَا أُطَوَّرَ
دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ ، وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقٌّ عَنْ بَعْدِهِ ، وَلَا أُؤَيَّرَ دُونَ
مَقْعَدِهِ ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، هَذَا فَمَنْتُ ذَلِكَ وَجَعْتُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ
الذِّمَّةَ وَلِيَّ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةَ ، وَأَلَّا تَنْكِصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ، وَلَا تَفْرُطُوا فِي مَلَايحٍ ،
وَأَنْ تَحْضُوا الْعِمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنْ أَنتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إغْوَاخِ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْطِمُ لَهُ الْمُتُوبَةَ ، وَلَا يَحْدُ عِنْدِي
فِيهَا رُحْصَةٌ .

فَحَذُّوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، وَأَعْطَوْهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ ،
وَالسَّلَامُ .

الْبَيْزُج :

أصحابُ السَّالِح : جماعات تكون بالشعر يحمون البَيْصَة ، والسَّلَاحَة هي الثَّغَر ، كالرَّعْبَة ،
وفي الحديث : « كلن أدنى مسالح فارس إلى العرب المذئِب » ^(١) ؛ قال : يجب على الوالي
ألا يتناول على الرعية بولايته ، وما خُصَّ به عليهم من الطَّوْل وهو الفصل ؛ وأن تكون
تلك الزيادة التي أعطيها سبباً لزيادة دونه من لرعية وحنوة عليهم .

ثم قال : « لكم عندي ألا أحتجز دوسم بصر » ، أي لا أستر . قال : « إلا في
حرب » ، وذلك لأن الحرب يحمّد فيها على الأسرار ، والحرب حُدعة .

ثم قال : « ولا أطوي دوسم امرا إلا في حُكْم » ، أي أظهركم على كل ما نفي
مما يحسن أن أظهركم عليه ؛ فأمّا أحكام الشريعة والقضاء على أحد الخصمين فإني
لا أعلمكم به قبل وقوعه ، كيلا تصد الفتنة بأن يحتمل ذلك الشخص لعرف
الحكم به

ثم ذكر أنه لا يؤخر لهم حقاً عن محله - يعني العطاء - وأنه لا يقف دون مقطعه ،
والحق هنا غير العطاء ، بل الحكم ، قال رهبر :

فإن الحق مقطعه ثلاثٌ بمن أو بمار أو حلاء ^(٢)

أي متى تعين الحكم حكمت به وقطعت ولا أفت ، ولا أحتس .

ولما استوفى ما شرط لهم قال : فإذا أنا وقبت بما شرطت على نفسي وجبت لله عليكم
القبعة ولى عليكم ^(٣) الطاعة .

ثم أحد في الاشتراط عليهم كما شرط لهم ، فقال : ولى عليكم ألا تكسوا عن

(١) المذئب : المصير : يضيق على مواضع ؛ منها : من القادسية والفتنة ؛ يبه وبين القادسية

أربعة أميال . (٢) ديوانه ٢٥ . الطار : المارة بين الحاكم ؛ أو رجل محكم بينهم . الجلاء :

أن ينكشف الأمر وينجلي . (٣) ١ : « نحوكم » .

دمرة ، أى لا تتقاعوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه ، ولا تقرّطوا فى سلاح ؛ أى إذا أمكنتكم فرصة ، أو رأيتم مصلحة فى حرب العدو أو حماية الثغر ، فلا تقرّطوا فيها فتفوت . وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق ؛ أى تكابدوا المشاق العظيمة ؛ ولا يهولكم خوضها إلى الحق .

ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ، ثم قال : فخذوا هذا من أمرائكم ؛ ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب السلاح أمراء من قسّم عليه السلام كالواسطة بينهم وبينه ، بل من أمرائكم ؛ يعنى متى وتمن يقوم فى الخلافة معادى عدى ، لأنه لو كان القرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول : « ألا احتقر دوسكم سرّاً ولا أطوى دوسكم أمراً » . لأن محلّ من كان بتلك الصفة دون هذا ؛

(٥١)

الأصل :

ومن كتب له عليه السلام إلى عماله على الخراج .

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج :

أَمَّا تَدُّ الْفَانِ مَنْ لَمْ يَحْدَرْ مَا هُوَ رَزَقَ إِلَيْهِ ، لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُخْرِجُهَا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّتُمْ بِسِرِّهِ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا مَعَى اللَّهِ
عَنْهُ مِنَ النَّعْمِ وَالْعُدْوَانِ عِدَّةٌ يُخَافُ ، لَكُنْ فِي ثَوَابِ اخْتِيَارِهِ مَا لَا عُدَّةَ فِي تَرْكِ
مَلِكِهِ ، فَانْصِبُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَاصْبِرُوا بِخَوَارِجِهِمْ ، فَإِنَّكُمْ حُرَّانُ الرِّعْيَةِ ،
وَوَكَلَاءُ الْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُخْشِعُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ ، وَلَا تَخْسِئُوهُ
عَنْ طَلَبَتِهِ ، وَلَا تَيْمُمُوا النَّاسَ فِي الْحَرَاحِ كُسُوفَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْبٍ ، وَلَا دَانَةَ يَتَمَلُّونَ
عَلَيْهَا ، وَلَا عَدَا ، وَلَا تُصْرِئُنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ ، وَلَا تَمْسُ مَالَ أَحَدٍ
مِنَ النَّاسِ مُصْلَرًا وَلَا مُعَاهِدًا ، إِلَّا أَنْ تَحْدُوا قَرْمًا أَوْ سِلَاحًا يُنْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ
الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْدَى لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَهْلَاءِ الْإِسْلَامِ ، فَيَكُونَ
شَوْكَةً عَلَيْهِ .

وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ لَصِيحَةٍ ، وَلَا اجْنُدْ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَلَا الرِّعْيَةَ مَمُونَةً ،
وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً .

وَأَبْلَوْهُ فِي سَبِيلِ مَا اسْتَوْجَبَ عَنْبَكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْطَمَعَ عِنْدَنَا

وَعِنْدَكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا بِجَهْدِنَا ، وَأَنْ تَنْصُرَهُ بِمَا بَدَعَتْ قُوَّتُنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الْبَرْخُ :

يقول : لو قدرنا أن القبايح المقيئة كالصم والعمى لا عتاب على فعلها بل في تركها ثواب
فقط ؛ لم يكن الإنسان معدوداً إذا فرط في ذلك وتركه ؛ لأنه يكون قد حرّم نفسه نفعا هو
قادر على إيصاله إليها .

قوله : « وَلَا نُحْشَمُوا أَحَدًا » ؛ أي لا تنصبوا طال حاجة فتقطعوه عن طلبها ،
أحشمت زيدا ، وجاء « حَشَمَهُ » ، وهو أن يحبس إليك فتقصه وتؤديه . وهال
ابن الأعرابي : حشمته : أحشنته ، وأحشمته : أعصيته ، والاسم الحشمة ، وهي
الاستحياء والنفذ .

ثم نهام أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم وكذا آية
يعتَمِلُون عليها ، نحو قتر العلاحة ، وكسند لابتدئ الإنسان منه بخدمة ، ويسعى
بين يديه .

ثم نهام عن ضرب الأبخار لاستيفاء الخراج

وكتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب العمال ، فكتب إليه :
كأن لك جنة من عذاب الله ، وكان رصاى يحبك من سخط الله ! من قامت عليه يقة ،
أو أقر بما لم يكن مسطهدا مضطرا إلا الإقرار به ، فحذوه ثدائه ؛ فإن كان قادرا عليه فاستأذ ،
وإن أبى فعليه ، وإن لم يقدر على سبيله ؛ فمد أن تحذفه بالله أنه لا يقدر على شيء ، فلأن
يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن القاء بدمائهم .

ثم نهام أن يعرضوا لمال أحدي من المسلمين أو من المعاهدين ؛ المعاهد هاهنا : هو الذي
أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد ، إما لأداء رسالة ، أو لتجارة : ونحو
ذلك ، ثم يعود إلى بلاده .

ثم نهام عن الظلم وأخذ أموال الناس على طريق المصادرة والتأويل الباطل ؛ قال :
إلا أن تخافوا عائلة المعاهدين ، بأن تحموا عدم حيولاً أو سلاحاً ، وتعتقوا منهم وثبة على بلد
من بلاد المسلمين ، فإنه لا يجوز الإغصاء من ذلك حيث .

قوله : « وأولوا في سبيل الله » ، أي اسطنعوا من المروء في سبيل الله ما استوجب
عليكم ، يقال : هو يملؤه مروه ، أي يصبه فيه ، قال رهير :

حَزَى اللهُ بِالْإِحْسَابِ مَا قَلَّ بِكُمْ وَأَبْلَاهَا حَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَنْلُو^(١)

قوله عليه السلام : « قد اسطعنا عندنا وعهدكم أن تشكروا » ، أي لأن تشكروا ، بلام
التعجيل وحدهما ، أي أحسن الباشكركم ، وحدهما أكثر نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) .

(٥٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة .

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الطُّهْرَ حَتَّى تَعِيَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرِيضِ الْمَعْرِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ
الْمَعْرِ وَالشَّمْسُ تَبْضَاءُ حَيْثُ فِي عَصْرِ مِنْ أَهَارٍ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَحَانِ ، وَصَلُّوا
بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُغِطِرُ الْعَائِمُ ، وَيَنْقَعُ الْحَاحُ إِلَى مَيْي ، وَصَلُّوا بِهِمُ انْشَاءً حِينَ
يَتَوَادَى الشَّقَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ أَمَدَاتِ وَالرَّحُلُ يَمْرُؤُ وَحَةَ صَاحِبِهِ ،
وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَسْمَعِيهِمْ ، وَلَا تَكُونُوا أَفْقَانِ

البُزْجُ

[بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة]

قد اختلف الفقهاء في أوقات الصلاة ، قال أبو حنيفة : أول وقت الفجر إذا طلع الفجر
الثاني : وهو العرص في الأفق ، وآخر وقتها ما لم تظلم الشمس . وأول وقت الظهر إذا
زالت الشمس ، وآخر وقتها إذا صار ظل كل شيء مثليه سوى الزوال . وقال أبو يوسف
ومحمد : آخر وقتها إذا صار الظل مثله .

قال أبو حنيفة : وأول وقت العصر إذا خرج وقت الظهر ؛ وهذا على القولين ،
وآخر وقتها ما لم تغرب الشمس ، وأول وقت المغرب إذا غربت الشمس ، وآخر وقتها

ما لم ينب الشفق ؛ وهو البياض الذي في الأفق بعد الحرة . وقال أبو يوسف ومحمد : هو الحرة .

قال أبو حنيفة : وأول وقت المشاء ، ما غاب الشفق ، وهذا ^(١) على القولين ، وآخر وقتها ما لم يطلع الفجر .

وقال الشافعي : أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثاني ، ولا يزال وقتها المختار ما بقي إلى أن يسفر ، ثم يبقى وقت الحوار إلى طلوع الشمس .

وقال أبو سعيد الإسطخري من الشافعية : لا يبقى وقت الحوار ، بل يخرج وقتها بعد الإسفار ويصلي قضاء ؛ ولم يتابعه على هذا القول أحد . قال الشافعي : وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس . وحكى أبو الطيب الطبري من الشافعية أن من الناس من قال : لا تحوز الصلاة حتى يصير النسيء بعد الزوال مثل الشراك .

وقال مالك : أحسن أن يؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعاً ؛ وهذا مطابق لما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين تقى الشمس كربع النمر ، أي كوضع ربع النمر ، وذلك نحو ذراع أو أكثر زيادة يسيرة .

قال الشافعي : وآخر وقت الظهر إذا صار ظل كل شيء مثله ، ويعتبر المثل من حد الزيادة على الظل الذي كان عند الزوال ، وهذا لقول قال أبو يوسف ومحمد ؛ وقد حكينا من قبل ، وبه أيضاً قال الثوري وأحمد ، وهو رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة ، فاما الرواية المشهورة عنه — وهي التي رواها أبو يوسف — فهو أن آخر وقت الظهر صيرورة الظل مثليه ، وقد حكينا عنه فيما تقدم .

وقال ابن المنذر : تفرد أبو حنيفة بهذا القول ؛ وعن أبي حنيفة رواية ثالثة أنه إذا صار ظل كل شيء مثله خرج وقت الظهر ؛ ولم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه .

وقال أبو ثور ومحمد بن جرير الطبري : فقد أُرِيعَ رَكَعَتَا بَيْنَ الْمُثَلِّينِ وَالْمُثَلِّينِ ، يَكُونُ مَشْتَرَكًا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَعْرِ .

وحكى عن مالك أنه قال : إذا صار طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ، فَهُوَ آخِرُ وَقْتِ الظُّهْرِ وَأَوَّلُ وَقْتِ الْمَعْرِ ، فَإِذَا زَادَ عَلَى الْمُثَلِّ زِيَادَةُ بَيِّنَةٍ حَرَجَ وَقْتُ الظُّهْرِ وَاحْتَصَنَ الْوَقْتُ بِالْمَعْرِ .

وحكى ابن الصَّبَّاحِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، عَنْ مَالِكٍ ، أَنَّ وَقْتُ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ وَقْتُهَا مَخْتَارًا ، فَأَمَّا وَقْتُ الْحَوَارِ وَآدَاءُهَا فَآخِرُهُ إِلَى أَنْ يَبْقَى إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ قَدَرُ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ؛ وَهَذَا الْقَوْلُ مُطَابِقٌ لِلْذَّهَبِ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ .

وقال ابن خُرَيْجٍ وَعِطَاءٌ : لَا يَكُونُ مَعْرُوطٌ تَأْخِيرُهَا حَتَّى تَكُونَ فِي الشَّمْسِ سُرَّةً .
وَعَنْ طَاوُسٍ : لَا يَلُوتُ حَتَّى اللَّيْلِ .

فَأَمَّا الْمَعْرِ : فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : إِذَا زَادَ عَلَى الْمُثَلِّ أَدْنَى زِيَادَةٍ ، فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الْمَعْرِ ؛ وَالْخَلَّافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ : لِأَنَّهُ يَقُولُ : أَوَّلُ وَقْتِ الْمَعْرِ إِذَا صَارَ طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ ، وَرَادَ عَلَيْهِ أَدْنَى زِيَادَةٍ . وَقَدْ حَكِيَهُ عَنْهُ مَا تَقَدَّمَ .

وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَعْرِ مُطَابِقٌ لِلْذَّهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، لِأَنَّهُ مَدَّ صَيْرُورَةَ الظُّلِّ مِثْلِيَّةً ، هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الشَّمْسُ حَيَّةً بَيضاءَ فِي عِصْوٍ مِنَ الْهَارِ ، حِينَ يُسَارُ فِيهِ فَرَسُحَانٌ ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ يُسَارُ مِنَ الْفَرَسِ أَسْحَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا يَرَالُ وَقْتُ الْإِحْتِيَارِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ لِلْمَعْرِ ، قِيًّا حَتَّى يَصِيرَ طُلُوعُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ ؛ ثُمَّ يَبْقَى وَقْتُ الْحَوَارِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

وقال أبو سعيد الإصطخري من أصحابه : يَصِيرُ قِصَاءُ مُجَاوِرَةِ الْمُثَلِّينِ ؛ فَأَمَّا وَقْتُ الْمَغْرِبِ فَإِذَا عَرَمَتِ الشَّمْسُ وَعُرِيسُهَا سَقُوطُ الْقُرْصِ .

وقال أبو الحسن علي بن حبيب الدوردي من الشافعية : لَا بَدَأَ أَنْ يَسْقُطَ الْقُرْصُ وَيَعِيبَ

حاجب الشمس ، وهو الصياء المستعل عليها كاستصل بها ، ولم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره .

وذكر الشافعي في كتاب " حية السماء " أن الشيعة قالت : أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم . قال قد حكى هذا عنهم . ولا يساوى الحكاية ، ولم تذهب الشيعة إلى هذا ، وسند ذكر قولهم فيها مد .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في المغرب لا ينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار ، ووقت ما يدفع الحاج ، وكلاً الأمرين يحتاج إلى تعريب كما يحتاج وقت الصلاة ، المهم لا أن يكون قد عرفت أمراء الملاد الذين يصليون بالناس من قبل هذا الكتاب متى هذا الوقت الذي يُنظر فيه الصائم ، ثم يدفع فيه الحاج إليه ، ثم يحيلهم في هذا الكتاب على ذلك التعريف المجهول .

قال الشافعي : وللمغرب وقت واحد ، وهو قول مالك .

وحكى أبو ثور عن الشافعي أن ما وصف ، وآخر وقتها إذا غاب الشفق . وليس بمشهور عنه ، واشتهور اصول الأول ، وقد ذكرنا قول أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو امتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق ، وبه قال أحمد وداود .

واختلف أصحاب الشافعي في مقدار نوقت الواحد ، منهم من قال : هو مقدار بقدر الطهارة وستر العورة والأذان والإقامة ومن ثلاث ركعات ، ومنهم من قدره بغير ذلك . وقال أبو إسحاق الشيرازي منهم : التصديق إنما هو في الشروع ، فأما الاستدانة فتجوز إلى غيب الشفق .

فأما وقت المساء ، فقال الشافعي : هو أن يغيب الشفق وهو الحرة ، وهو قول مالك وأحمد وداود وأبي يوسف ومحمد ، وقد حكينا مذهب أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو أن يغيب الشفق الذي هو البياض ، وبه قال زعفران وزني .

قال الشافعي : وآخر وقتها المختار إلى نصف الليل ، هذا هو قوله القديم ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال في الحديد : إلى ثلث الليل . ويجب أن يحمل قول أمير المؤمنين عليه السلام في العشاء أنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ، ليكون مطابقاً لهذا القول ، وبه قال مالك ، وإحدى الروابطين عن أحمد . ثم يذهب وقت الاختيار ؛ ويبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني .

وقال أبو سعيد الإصطخري : لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل ، بل يصير قضاء .

فقد ذكرنا مذهب أبي حنيفة والشافعي في الأوقات ، وهما الإمامان المعبران في الفقه ، ودخل في ضمن حكاية مذهب الشافعي ما يقوله مالك وأحمد وعمرهما من النقصاء .

فأما مذهب الإمامية من الشيعة ، فنحن نذكره نقلاً عن كتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المروى بالمعتمد ^١ "بالرسالة المقدسة" قال : وقت الظهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع إلى سُبُحِ الشمس ، وعلامة الزوال رجوع إلى بعد انبساطه إلى النقصان ، وطريق معرفة ذلك بالإسطرلاب أو ميران الشمس ، وهو معروف عند كثير من الناس ، أو بالعمود المنصوب في الدائرة لمدينة أيضاً ، فمن لم يعرف حقيقة العمل بذلك ، أو لم يجد آلة فليصب عموداً من حطب أو غيره في أرض مستوية السطح ، ويكون أصل العمود عتيقاً ورأسه دقيقاً شبه اندي الذي يسهح به التسكك أو المسلة التي تُخاط بها الأحمال ، فإن ظل هذا العمود يكون بلا شك في أول النهار أطول من العمود ، وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى يقف القرص في وسط السماء ، فيقف الظل حيثئذ ، فإذا زال القرص عن الوسط إلى جهة المغرب رجع الظل إلى الزيادة . فليعتبر من أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بحطط وعلامات يجعلها على رأس ظل العمود عند وضعه

في صدر النهار ، وكلما نقص في الظل شيء ، علم عليه ، فإذا رجع إلى الزيادة على موضع العلامة عرف حينئذ برحوعه أن الشمس قد زالت .

وبذلك تعرف أيضا القبلة ، فإن قرص الشمس يقف فيها وسط النهار ، ويصير عن يسارها ويمين المتوجه إليها بعد وقوفها ورواها عن القطب ، فإذا صارت مما يلي حاجبه الأيمن من بين عينيهِ علم أنها قد زالت ، وعرف أن القبلة تلقاه وحده ؛ ومن سبقت معرفته بحجة القبلة فهو يعرف روال الشمس إذا توجه إليها ، فرأى عين الشمس مما يلي حاجبه الأيمن ؛ إلا أن ذلك لا يبين إلا بعد زوالها زمن ، ويثبت الزوال من أول وقته بما ذكرناه من الإسطرلاب وميران الشمس والدائرة الهندية والعمود الذي وصفتناه ، ومن لم يحصل له معرفة ذلك ، أو فقد الآلة توجه إلى القبلة معتبراً بصيرة الشمس على طرف حاجبه الأيمن وقت العصر من بعد الفراغ من الظهر ، إذا صلب الظهر في أول أوقاتها - أعني بعد رال الشمس بلا فصل - ويعتد إلى أن يتغير لون الشمس باسمرارها للغروب ، وللمصطر والناسي إلى معيها بسقوط القرص عما تلمعه أبصارنا من السماء ، وأول وقت المغرب مغيب الشمس ، وعلامة مغيبها عدم الحمرة في الشرق القابل للمغرب في السماء ؛ وذلك أن الشرق في السماء مظهر على المغرب ، فما دامت الشمس ظاهرة فوق أرضنا فهي تلقى ضوءها على الشرق في السماء ، فيرى حمرة فيها ، فإذا ذهبت الحمرة منه علم أن القرص قد سقط وطاب . وآخره أول وقت العشاء الآخرة ، وأول وقتها مغيب الشمس وهو الحمرة في المغرب ، وآخره مضي الثلث الأول من الليل ، وأول وقت مدة اعتراض الفجر ، وهو اسياض في الشرق يعقبه الحمرة في مكانه ؛ ويكون مقدمة لطوع الشمس على الأرض من السماء ؛ وذلك أن الفجر الأول ، وهو البياض الطاهر في الشرق يطلع طولاً ثم ينعكس بعد مدة عرضاً ثم يحمر الأيمن بعده للشمس .

ولا ينبغي للإنسان أن يصلي فريضة المداة حتى يعترض البياض ، وينتشر صُداً في السماء كما ذكرنا ، وآخر وقت الغداة طلوع الشمس .
هذا ما تقوله الفقهاء في مواقيت الصلاة .

فأما قوله عليه السلام : « والرجل يعرف وجه صاحبه » ؛ فمعناه الإسفار ، وقد ذكرناه .

وقوله عليه السلام : « وصلُّوا بهم صلاة أسمعهم » ؛ أي لا تعطيلوا بالفراة الكثيرة والدعوات الطويلة .

ثم قال : « ولا تكونوا فتانين » ، أي لا تفتنوا الناس بأنعامهم وإدخال المشقة عليهم بإطالة الصلاة وإفساد صلاة المأمومين بما يفرضونه من أعمال مخصوصة ، نحو أن يتحدث الإمام فيستحلف فيصلي الناس خلف حقيقته ، فإن ذلك لا يجوز على أحد فولي الشافعي ، ونحو أن يُطيل الإمام الركوع والسجود ، فيطعن المأمومون أنه قد دفع فيهم من أو سببونه فأركان كثره ، ونحو ذلك من مسائل يذكرها الفقهاء في كتبهم .

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما بدأ صلاة الظهر ، لأنها أول فريضة افترضت على المكلفين من الصلاة على ما كان يدعى بيه عليه السلام ؛ وإلى ذلك ذهب الإمامية ، ويصر قائلهم تسميتها بالاولى ؛ وهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذكرها قبل غيرها ؛ فأما مَنْ عدا هؤلاء فأول الصلاة المروضة عندهم الصبح ؛ وهي أول النهار .

وأبدا يشرع على هذا البحث القول في الصلاة الوسطى ، ما هي ؟ فذهب جمهور

الناس إلى أنها العصر ، لأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل ؛ وقد رووا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصباح ، وقياس مذهب الإمامية أنها المغرب ؛ لأن الطهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى ؛ إلا أنهم يروون عن أئمتهم عليهم السلام أنها الطهر ، ويسرون الوسطى بمعنى الفضلى ؛ لأن لَوَسَطَ في اللغة هو خيار كل شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(١) ، وقد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا . وقال كثير من الناس : إنها الصبح ، لأنها أيضا بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ، ورووا أيضا فيها روايات وهو مذهب الثماني ، ومن أساس من قال : إنها الطهر كقول الإمامية ولم يسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلا فولا شادا ذكره بعضهم .

وقال : لأنها بين صلاتين لا تُقصر الصلاة .

(٥٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر
وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد كتبه
وأجمعه للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ قَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْخَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَشْجَرِ
فِي عَهْدِهِ النَّبِيِّ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ حَبَابَةَ حَرَّابِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ،
وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّسَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِصِهِ
وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يُسْقِطُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّسَاعِهَا ، وَلَا يَشْفِي إِلَّا مَعَ حُجُودِهَا وَإِصَاعَتِهَا ،
وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَتْلِهِ وَلِيسَايِهِ ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ فَذَنْ تَكْمَلِ بِنَصْرِ
مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشُّهُوتِ ، وَيَبْرَعَهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ ، فَإِنَّ
النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالشُّوْءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ ، أَنَّ قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ حَرَّتْ عَلَيْهَا دَوْلُ فَتْلِكَ مِنْ عَدْلٍ
وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ بِهِ مِنْ أُمُورٍ

الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ . فَتَيْكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ . فَأَمَّا هَؤُلَاءِ ، وَشُعْ سَعْيِكَ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشُّعَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا فِيمَا أُحِبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

الْبَرْخُ :

نصرة الله باليد : الجهاد بالسيف ، وبالقلب الاعتقاد للحق ، وباللسان قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تكفل الله بنصرة من نصره ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ 》^(١) .

والحمات : مبارعة النفس إلى شهواتها ومآربها ، وزعها بكفها .

ثم قال له : قد كنت تسمع أخبار الولاة ، وتصيب قوماً وتمدح قوماً ، وسيقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء ؛ فاحذر أن تعاب وتدم كما كنت تعيب وتذم من يستحق الذم .

ثم قال : إنما يستدل على الصالحين بما يكثر ممحاه من السنة الناس بمدحهم والثناء عليهم ؛ وكذلك يستدل على الفاسقين بمثل ذلك .

وكان يقال : السنة الرعية أقلام الحق سبحانه إلى الملوك .

ثم أمره أن يشع نفسه ، وفسر له الشع ما هو ؟ فقال : أن تنتصف منها فيما أحببت

وكرهت ، أى لا تمكنها من الاسترسال فى الشهوات ، وكن أميراً عليها ، ومسيطرأ
وفاعلاً لها من التهور والانهماك .

فإن قلت : هذا معنى قوله : « بما أحنت » ، فامعنى قوله : « وكرهت » ؟
قلت : لأنها تكره الصلاة والصوم وغيرها من العبادات الشرعية ومن الواحات
العقلية ، وكما يجب أن يكون الإنسان مهيماً عليها فى طرف الفعل يجب أن يكون مهيماً
عليها فى طرف الترك .

الأفضل :

وَأَشِيرُ بِمِلَّةِ الرَّحْمَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَاصْحَحْتَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَكُونَنَّ
عَلَيْهِمْ سَبَبًا حَارِيًّا نَقِمِيمُ أَكَلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِدَقَ : إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ؛
وَإِمَّا تَطْرُقُ لَكَ فِي الْحَلْقِ ، يَغْرُطُ مِنْهُمْ الرُّكْلُ ، وَتَنْزِعُ لَهُمُ الْبِلْدَ ، وَيُؤْتِي عَلَى
أَيْدِيهِمْ فِي الْمَعْدِ وَالْحَطَا ، فَأَغْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ ، مِثْلَ الْإِدَى تُحِبُّ وَتَرْضَى
أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ،
وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ ، وَفَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ .

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَى لَكَ يَنْقَمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ
عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوِهِ ، وَلَا تَصْحَحَنَّ يُقْبَلُهُ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ
عَنْهَا مَدْوَحَةً .

وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرُ فَاطَاعُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْعَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَسْهَكَةٌ لِلدِّينِ ،
وَتَقَرُّبٌ مِنَ النَّيْرِ .

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُنْطِيكَ أَبْهَةً أَوْ حِمْلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ
مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ
يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ عَرَبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ
عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَتَشَبُّهَهُ فِي حَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ
جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُعْتَالٍ !

الْبَيْخُ :

أَشِيرَ قُلُوبِكَ الرَّحْمَةَ ، أَيْ أَحْمِلْهَا كَانْتِغَارَ لَهَا ، وَهُوَ التَّوْبُ الْمَلَامُ لِلْحَسَدِ ؛ قَالَ :
لَا أَلَّا الرَّحْمَةَ ؛ إِمَّا أَحْوَكُ فِي الدِّينِ ، أَوْ إِسْ مِنْكَ نَقْضُ رِفْعَةِ الْحَسِيَةِ وَطَمَعِ الشَّرِيَةِ
الرَّحْمَةَ لَهُ .

قوله : « وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ » ، مَثَلُ قَوْلِكَ : « وَيُؤْخَذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ » ؛ أَيْ
يَهْدَبُونَ وَيَشْقَوْنَ ، يُقَالُ : خَذَ عَلَى يَدِهِ السَّمِيَةَ ، وَقَدْ حَضَرَ الْحَاكِمَ عَلَى فُلَانٍ ،
وَأَخَذَ عَلَى يَدِهِ .

ثُمَّ قَالَ : فَتَسْبِطُهُمْ إِلَيْكَ كَسُنْطِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَأَنَّكَ أَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ عَنْكَ
يَلْبَنِي أَنْ تَصْلَحَ أَنْتَ عَنْهُمْ .

قوله : « لَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ » ، أَيْ لَا تَبَرَّرْهُ بِالْمَعَاصِي . فَإِنَّهُ لَا يَدِي لَكَ
بِنَفْسِهِ ؛ الْإِلَامُ مُقْحَمَةٌ ، وَالْمَرَادُ الْإِصَافَةُ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ : لَا أَبَا لَكَ .

قوله : « وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ » ؛ أَيْ لَا تَقُلْ : إِنِّي أَمِيرٌ وَوَالِي أَمْرٍ بِالشَّيْءِ فَاطَّاعَ .

والإدغال : الإفساد ، ومنهكة للدين : صنف وسقم .

ثم أمره عند حدوث الآبهة والمظمة عبده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده ، وإماتته وإحيائه ؛ فإن تذكر ذلك يطامن من علوانه ، أى يفض من تعظمه وتكبره ، ويظايطىء منه .

والعرب : حد السيف ، ويستمر للضوة والسرعة في الطن والفتك .

قوله : « وثيق » ، أى يرجع إليك بما بعدك من عقك ، وحرف المصارعة مصوم لأنه من « أاء » .

ومساماة الله تعالى : مباراته في السموات وهو الملو .



الأصل :

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلِكَ ، ومن لك هوى فيه من دعيتك ، فإنك إلا تفعل تطم ، ومن ظلم عباد الله كان الله حصمه دون عبادِهِ ، ومن خاصه الله أذخ حصه حقه ، وكان لله حرباً حتى يبرح أو يتوب .

وليس منى : أدعى إلى تعبير نعمة الله وتعميل بغيره من إقامة على ظلمه ؛ فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو ليعطى ليلين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في المدل ، وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة ينجب برصاً الخاصة ، وإن سخط الخاصة يمتد مع رضا العامة .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثْوًى فِي الرَّحَاءِ ، وَأَقْلَرَّ مَعُونَةً لَهُ فِي
السَّلَاءِ ، وَأَكْرَدَ لِلْإِنصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالإِخْفَافِ ، وَأَقْلَرَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ
عُدْرًا عِنْدَ الْمَعْرِ ، وَأَصْعَبَ مَبْرَأً عِنْدَ مُبَيَّاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ؛ وَإِنَّمَا عُمُودُ
الدِّينِ ، وَجَمَاعُ السُّيُومِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ أَمَامَةً مِنَ الْأُمَمِ ، فَدَيْكُنْ سِعْوَكُ
لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

البُزْج

قال له : أوصي الله ، أي قم له بما فرض عليك من العبادات والواجبات
المقتضية والسمعية .

ثم قال : وأوصي الناس من نفسك ومن ولدك وحاجة أهلك ومن تحته وقيل إليه
من وعيتك ، فتي لم تفعل ذلك كنت ظالماً .

ثم نهى عن الظلم ، وأكد الرعاية عليه في ذلك .

ثم عرّفه أن قانون الإمارة الاحتشاد في رضا العامة ، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة
الأمير مع رضا العامة ، فإما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة ، وذلك مثل أن يكون
في البلد عشرة أو عشرون من أعيانه ، وذوي الثروة من أهله ، يلازمون الوالي ويخدمونه
ويسامرونه ، وقد صار كالصديق لهم ، فإن هؤلاء ومن صار عنهم من حوائج الوالي وأرباب
الشفاعات والقرابات عنده لا يُعتنُون عنه شيئاً عند تنسك العامة له ، وكذلك لا يضر سخط
هؤلاء إذا رضى العامة ، وذلك لأن هؤلاء عنهم عني ، ولهم بدل ، والعامة لا عني عنهم
ولا بدل منهم ، ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب ، فلا يقاومه أحد ،
وليس الخاصة كذلك .

ثم قال عليه السلام - ويضم ما قال : ليس شيء أقدر نفعاً ، ولا أكثر ضرراً على الوالي من حوامته أيام الولاية ، لأنهم يتقلون عليه بالحاجات ، والمسائل والشكايات ، فإذا عُرِل هَجَرُوهُ وَرَفَضُوهُ حَتَّى لَوْ لَقُوهُ فِي الطَّرِيقِ لَمْ يَسْتَوْا عَلَيْهِ .
والصَّغْرُ^(١) بالكسر والفتح والصما مقصور : الخليل .

الأسئل :

وَلَيْسَ كُنْ أَتَدَّ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْتَهُمْ مِنْكَ ، أَطْلَهُمْ لِمَعَارِبِ النَّاسِ ،
فَإِنْ فِي النَّاسِ عِيُونًا نَوَالِي أَحَدٍ مِنْ سَرَّهَا ، فَلَا تَكْشِفْ عَنْهَا عَيْنَكَ مِنْهَا ،
فَإِنَّمَا عَيْنُكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا عَانَ عَيْنُكَ ، فَاشْتَرِ أَمْوَرَهُ
مَا اسْتَطَعْتَ ، يَشْتَرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ شَرُّهُ مِنْ^(٢) رَعِيَّتِكَ .

أُطْلِقْ عَنِ اسْمِ عُقْدَةٍ كُلُّ حَقْدٍ ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ ، وَتَغَابَ
عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ ، وَلَا تَمُحِّلْ إِلَى تَصَدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ عَاشٍ^٣
وَإِنْ نَشِئَ بِالْمَاصِحِينَ .

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِحِيلًا تَعْدِلُ بِكَ عَنْ الْفَصْلِ ، وَبِمِدِّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا
يُصْعَقُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُرِيئُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْخُلَّ وَالْعُجْبَ
وَالْحِرْصَ عَرَائِرُ شَيْءٍ يَحْتَمِلُهَا سُوءُ الْطَّنِّ بِاللَّهِ .

(١) ب : « الصغر » ، تحريف . (٢) و : « د » ، ع : «

الْبَرْخُ :

أَشْنَأُكُمْ عِنْدَكُمْ ، أَبْفَضَهُمْ إِلَيْكُمْ :

وَتَمَابَ : تَعَاوَلُ ، يُقَالُ : تَمَابَى فُلَانٌ عَنْ كَذَا .

وَيَضِيعُ : يَظْهَرُ ، وَالْمَامِى وَمَصَح .

[فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس وما ورد فى ذلك من الآثار]

طاب رجلٌ ودخل عند بعض الأشراف فقال له : لقد استدلتُ على كثرة عيوبك بما تُكثِرُ فيه من عُيوب الناس ، لأنَّ طالعَ عيوبٍ إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .

وقال الشاعر :

وأحرأ من رأيتَ تظهر عيوبِ على عيب الرجال أولو العيوبِ

وقال آخر :

يا مَنْ يَعيبُ وِعيه مُنْشَمِتٌ كَمْ فيكَ من عيبٍ وأنتَ نَعيبُ !

وفى الخبر المرفوع : « دَعُوا النَّاسَ بِمَعْلَمَتِهِمْ يَعْيشُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ » .

وقال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان : كُنتَ أُسَيرُ أبى ورجلٌ معنا يقع فى رجلٍ ، فالتفتُ أبى إلى فقال : يا بُنى ، رَأَى سَمْعَكَ عَنْ أَسْتِمَاعِ أَحَدٍ كَمَا تَرَى لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، إِنَّمَا نَظَرُ إِلَى أَحَدٍ مَا فى وَعَاثِهِ فَأَمْرَءُهُ فى وَعَاثِكَ ، وَلَوْ رَدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٌ فى فِيهِ لَسَعِدَ رَأْيُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

وقال ابن عسس ، أَخْبَذْتُ حَدَثٌ : حَدَّثْتُ مِنْ فَيْكٍ ، وَحَدَّثْتُ

مِنْ قَرْنِكَ .

وطاب رجلٌ رحلاً عند قُتَيْبَةَ بنِ مسلم ، فقال له قُتَيْبَةُ : أَمْسِكْ وَيْحَكَ ! فقد تَلَمَّظْتَ
بِمُضْنَةٍ طالما لَفِظَها الكرام .

ومرَّ رجلٌ بِجَارَيْنِ له ومعه دِيبَةٌ ، فقال أحدهما لصاحبه : أَهْمَتْ مامعه من الرِّيبَةِ ؟
قال : ومامعه ؟ قال : كذا ، قال : عدى حرٌّ لوجه الله شكراً له تعالى إذ لم يمرّ قلى من
الشرِّ ما عرفتك .

وقال الفُصَيْلُ بنُ عِيَّاصٍ : إنَّ السَّاحِشَةَ تَنْشِيعُ في كثيرٍ من المسلمين حتَّى إذا صارت
إلى الصالحين كانوا لها خُزَّاناً .

وقيل لبُزْدَجِيمٍ : هل من أحدٍ لا عيبَ فيه ؟ فقال : الذي لا عيبَ فيه لا يموت .
وقال الشاعر :

ولستُ بذى تَرْبٍ في الإِجَالِ لِمَسَاعٍ خَيْرٍ وَسَيِّئِهَا (١)
ولا مَنْ إِذَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ أَضَاعَ الْعَشِيرَةَ وَأَعْتَانَهَا
ولكن أطاوعُ سَعْدَاءِهَا ولا أَعْلَمُ أَلْسَابَ
وقال آخر :

لا تَلْتَمِسْ من مَسَاوِي الناسِ مَا سَتَرُوا فَيَكْشِفُ اللهُ سِتْرًا من مَسَاوِيكَ
وأذكرُ محاسنَ ما فيهم إِذَا دُكِرُوا ولا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال آخر :

أبدأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَمَا عَنْ عَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ ، فَأَتِ حَكِيمٌ (٢)
فَهُنَاكَ تُعْذِرُ إِنْ وَعْظَتْ وَيَقْتَدِي بِالْقَوْلِ مَكَتٌ ، وَيُقَسِّلُ التَّعْلِيمُ

(١) انيرب : انشر وحل العداوة .

(٢) لأبي الأسود الدؤلي : خزانة الأدب ٣ : ٦١٧ ؛ والرواية هناك : « عن غيرها » .

فأما قوله عليه السلام : « أطلق عن أس عفة كل حقد » ، فقد استوفى هذا المعنى زياداً في خطبته البثراء فقال : وقد كانت بيني وبين أقوام إحن^(١) ، وقد حملت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كل منكم عسنا فببردد إحسانا ، ومن كل منكم سيئا فليبرع عن إساءته ، إني لو علمت أن أحداكم قد قته اسلال^(٢) من أنفي لم أكشف عنه قناعا ، ولم أهتك له سيرا ، حتى يدي لي صمخته ، وإذا فعل لم أناطره ، ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما في صدره ، ولا يكون لسانه شعرة تحرى على ودرجه .



[فصل في البهي عن سماع السماية وما ورد في ذلك من الآثار]

فأما قوله عليه السلام : « ولا تمحلن^(٣) إلى قهدين ساع » ، فقد ورد في هذا المعنى كلام حسى ، قال ذو الربastic : قبول السماية شر من سماية لأن السماية دلالة ، واصول إجاره ، وليس من دل على شيء كمن قله وأحاره ، فمقت الساعى على سمايته ، فإنه لو كان صادقا كان ليها ؛ إذ هتك المورة ، وأضاح الحرمه .

وعاتب مصعب بن الزبير الأحف على أمر بهمه عنه فأكره ، فقال مصعب : أحررتي به الثقة ، قال : كلاً أيها الأمير ، إن الثقة لا يسمع وكان يقال : لو لم يكن من عيب الساعى إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس ، لكان كافيا .

كانت الأكسرة لا تأذن لأحد أن يضح السكباح^(٤) ، وكان ذلك مما يحتص به الملك ، فرفع ساع إلى أبو شروان : إن فلانا دعانا ونحن جماعة إلى طعام له وفيه

(١) الإحس : جمع إحنة ، وهي المداوة . (٢) اللال واللى بمعنى .

(٣) السكباح : مرق يصل من اللحم والصل ؛ مرب .

سِكْبَاج ، فَوَقَّعَ أَبُو شُرَوَانَ عَلَى رَقْعَتِهِ : قَدْ سَمَدْنَا مَصِيحَتَكَ ، وَدَمَمْنَا صَدِيقَكَ عَلَى سُوءِ
اِخْتِيَارِهِ لِلْإِخْوَانِ .

جاء رجلٌ إلى الوليد بن عبد الملك وهو حبيبة عبد الملك على دِمَشْق ، فقال : أَيُّهَا
الْأَمِيرُ ، إِنِّي عِنْدِي نَصِيحَةٌ ، قَالَ : اذْكُرْهَا ، قَالَ : جَارِي رَجَعَ مِنْ بَعَثَةِ سَرَّاءَ ، فَقَالَ :
أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَخَذْتَ بِنَا أُمَّكَ جَارُ سُوءٍ ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ كَادِمًا عَاقِبًا ،
وَأِنْ كُنْتَ صَادِقًا مُقْبِلًا ، وَإِنْ تَرَكْتَ تَرْكَكَ ، قَالَ : بَلْ أَتْرَكَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
قَالَ : فَانْصَرِفْ .

ومثلُ هذا يُحكى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ ابْنَ نَاسِئَةَ الْخَلْوَةَ ، فَقَالَ لِحُصَيْنَةَ : إِذَا شِئْتُمْ !
فَانْصَرِفُوا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ الرَّجُلُ لِلْكَلامِ قَالَ لَهُ : اصْبِرْ مَا أَقُولُ ، إِنَّكَ أَنْ تَمْدَحَنِي فَأَنَا
أَعْرِفُ بِنَفْسِي مَعَكَ ، أَوْ تَكْذِيبُنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمُكْذِوبٍ ، أَوْ تَسْمِيَّ بِأَحَدٍ إِلَى قَائِلِي
لَا أَحِبُّ السَّمَايَةَ ، قَالَ : أَهْبِئْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَنْصَارِ ! قَالَ : إِذَا شِئْتَ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْبَلْعُ

وَقَالَ آخَرُ :

حُرِّمَتْ مُنَافِي مَعَكَ إِنْ كَانَ دَا الْبَيْتِ ^(١) أَنَا لَنْ رَهْ الْوَائِسُونَ عَمِّي كَمَا قَالُوا

وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ شَرِيعَةً ^(٢) إِلَى تَوَاصُوا بِالْبَيْعَةِ وَاجْتَنَبُوا

فَقَدْ رِصَرَتْ أَدْنَى الْوُشَاةِ سَمِيعَةً يَنْتَالُونَ مِنْ عِرْصِي وَلَوْ شِئْتَ مَا بَالُوا

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْجَمْعِيُّ وَقَدْ حَرَجَ بِوَدَّعِهِ لَمَّا شَحَصَ إِلَى خُرَاسَانَ :

أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحِبِّ أَنْ تَكُونَ لِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) فِي دَا لَمْ يَكُنْ الْبَيْتُ ، وَهُوَ مَسْجِدُ الْوَرْدِ وَالْمَعْنَى أَيُّهَا .

(٢) الشَّرِيعَةُ : مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ .

مكوني على الواشي لذاء شعبة كما أنا للواشي الذ شئوب^(١)
قال : بل أكون كما قال القائل :

وإذا الواشي وشي يوماً بها مع الواشي عما جاء يصير
وقال العباس بن الأحنف :

ما حطك الواشوان من رنية عندي ولا حرك مغتاب
كأنهم أثوا ولم يملوا عليك حدى بالذى عابوا

قوله عليه السلام : « ولا تدخل في منورتك بحيلة يبدل بك عن الفصل ، ويمدك
الفقر » ، مأخوذ من قول الله تعالى . ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمرُكم بآفحشاء والله
يعدُّ لكم مفرجةً منه وفصلاً ﴾^(٢) ، ول المسرون . الفحشاء ها هنا ابخل ، ومعنى « يعدكم
الفقر » ، يجعل إبيكم أسكم إن سمعتم نواصيكم أصغرتم فيخوفكم فتحتلون فتسجلون .
قوله عليه السلام : « فإن البخل والخب والحرص عرار شتى يجمعها سوء الظن بالله » ،
كلام شريف عال على كلام الحكماء ، يقولون : يسها قدرا مشتركا وإن كانت غرائر وطوائع
مختلفة ، وذلك التقدير المشترك هو سوء الظن بالله ، لأن الحمار يقول في نفسه : إن أقدمت
قُتِلت ، ولخيل يقول : إن سمحت وأنفقت أصغر ، والحرص يقول : إن
لم أجده وأحتد وأدأب فإني ما أروم ، وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن
بالله ، ولو أحسن الظن الإنسان بالله وكان يقينه صادقا لعلم أن الأحل مقدَّر ،
وأن الرق معدَّر ، وأن امسى والفقر مقدَّر ، وأنه لا يكون من ذلك إلا ما قصي
الله تعالى كونه .

الأصل :

شَرُّ وَرَدَاتِكَ مَنْ كَانَ قَسْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِرَاءَ ، وَمَنْ شَرَكْتَهُمْ فِي الْآثَامِ ،
فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَغْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ؛ وَأَنْتَ وَاحِدٌ
مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ يَمْنُ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَسَارِهِمْ
وَأُوزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ ، يَمْنُ لَمْ تَعَاوَرَ طَلِيقًا عَلَى طَلِيقٍ وَلَا آثَمًا عَلَى إِثْمٍ ، أُولَئِكَ
أَحَفُّ عَلَيْكَ مَوَدَّةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَخْسَى عَلَيْكَ عَطْمًا ، وَأَقْلُّ لِمَعِيرِكَ إِفْقًا .
فَاتَّحِدْ أُولَئِكَ حَاصَّةً لِحَلَوَاتِكَ وَحَقْلَانِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ
عَمْرُ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ بِمَا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلَادِهِ ، وَأَوَمَّا
ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .



الشرح :

نهاه عليه السلام ألا يتحد بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة ، وذلك لأن الظلم
وتحسبه قد صار منكبة ثالثة في أنفسهم ، فمفيد أن يحكمهم الخير منها إذ قد صارت
كالخلق المريرى اللارم لتكرارها وحيرونها عدة ، فصدحات المسووس في الكتاب
والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم ، وتحريم الاستعانة بهم ، فإن من استعان بهم
كل مميأ لهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّحِدًا بِمُصِيبِينَ عَصُودًا ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ لَا تَحْدُ
قَوْمًا يَوْمِسُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(٢) .
وجاء في الخبر المرفوع : « يُبَادَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ : ابْنُ مَنْ رَرَى ^(٣) لهم - أى الظالمين - قَدَمًا » .

(١) سورة الكهف ٥١ . (٢) سورة المائدة ٢٢ .

(٣) ب : « يرى » ، تحريف ، صوابه في ١ ، د .

أبي الوليد بن عبد الملك وحل من الخوارج ، فقال له : ما تقول في الحجاج ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيه ! هل هو إلا حطيئة من خطاياك ، ومترد من نارك ؟ فلمنك الله ولعن الحجاج معك ! وأقل يشتها ، قالت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال : ما تقول في هذا ؟ قال : ما أقول فيه ! هذا رجل يشتكم ، فإم أن تستموا كما شتمكم ، وإما أن تصفوا عنه . فغضب الوليد وقال لعمر : ما أظنك إلا خريفا ! فقال عمر : وما أظنك إلا محونا ؛ وقام فخرج مغصبا ، ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد ، فقال له ما دماك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين ! لقد صرت يدي إلى قائم سني أنظر متى بأمرني نصرب عنك ؛ قال : أو كنت فاعلا لو أمرك ؟ قال : نعم . فمما استخلف عمر حاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيعه ، فنظر إليه وقال : يا خالد ، مع سيفك فإني مطيعنا في كل أمر بأمرك به . وكان بين يديه كاتب للولد ، فقال له : ضع أنت قلبك ، فإني كنت نصر به ونفع ، اللهم إني قد وضعتهما فلا ترفعهما ، قال : فوالله ما ذللا وشتمين مهينين حتى ماتا .

وروى ابن أبي شيبة في كتاب " إحياء علوم الدين " ، قال لما خالط الزهري الشيطان كتب أح له في الدين إليه : عاها الله وإياك أبا بكر من العن ، فقد أصبحت محال يميني لمن عرفك أن يدعوا الله لك ويرحمك ، فقد أصبحت شيحا كبيرا ، وقد اتقنتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَتَنِيَّهَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ ﴾ ^(١) . واعلم أن أيسر ما لنسكت ، وأخف ما احتمك ، أنك آتت وحشة الطالم ، وسهلت سبيل النى بدوئك إلى من لم يؤد حقا ، ولم يترك ماعلا حين أدراك ، اتحدوك أبا بكر قطعا تدور

عليه رَحْمًا ظَلَمَهُمْ ، وَحَسْرًا يَمْرُونَ عَلَيْهِ إِلَى بِلَاسِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ، وَسُلْطًا يَصْعَدُونَ فِيهِ إِلَى ضَلَالَتِهِمْ ، يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَيَقْتَدُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهْلَاءِ ، فَمَا أَيْسَرُ مَا عَمَرُوا لَكَ فِي جَنِّ مَا حَرَّوْا عَلَيْكَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا أَحْذَوْا مِنْكَ فِي جَنِّ مَا أَمْسَدُوا مِنْ خَالِكَ وَدِينِكَ ! وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾^(١) يَا أُمَّا بَكْرُ ، إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَحْمِلُ ، وَيَحْفَظُ عَلَيْكَ مَنْ لَا يَعْمَلُ ، فِدَاؤِ دِينِكَ فَقَدْ دَحَلَهُ سَقَمٌ ، وَهَيْئُ رَادِّكَ فَقَدْ حَصَرَ سَفَرُ بَعِيدٍ ؟ ﴿ وَمَا يَحْقِقُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) ، وَالسَّلَامُ .

الأصل

وَأَنْصَقُ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالْمَدَنِيِّ ثُمَّ رَضَيْتُهُمْ عَلَى أَلَا تُطْرُقُوكَ وَلَا تُحَافِظُوكَ بِسَاطِلِهِ
لَمْ يَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُخْدِتُ الرَّهْمَ ، وَتَذِييُ مِنَ الْبَرَةِ .
وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةً سَوَاءً ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ
الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَذَرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، وَالْإِزْمُ كُلُّهُمَا مَا أَلَزَمَ
نَفْسَهُ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٨ .

(١) سورة مريم ١٢٥ .

البُزْج :

قوله : « والصق بأهل الورع » ، كلمةٌ صليحةٌ ، يقول : اجعلهم خاصيتك وخلصاءك .

قال : ثم رَضُّهم على ألا يُطْرُوكَ ، أى عودهم ألا يمدحوك فى وجهك . ولا يبتجحوك بما طل : لا يحملوك ممن يبتجع أى يمتخر ما طل لم يفعله كما يبتجح أصحابُ الأمراء الأمراء بأن يقولوا لهم : ما رأينا أعدلَ منكم ولا أسمعَ ، ولا حتى هذا الثمرَ أميرَ أشدَّ ناساً منكم وبحو ذلك ، وقد جاء فى الخبر : « اختروا فى وحوه المذاحين اتراب » .

وقال عبد الملك لمن قام بسارته : ما تريد ! أتريد أن تمدحنى وتصفى ، أنا أعلم بنفسى منك .

وقام خالد بن عبد الله القسرى إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيئته فقال : يا أمير المؤمنين ، من كانت الخلافة رائيتَه فقد ربيتها ، ومن كانت شرته فقد شرفتها ، فإياك لكا قال القائل :

وإذا الدُّرُّ رانَ حُسنَ وُحوهِ كان للدرِّ حُسنٌ وُحوهُك رَيناً

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد أعطى صاحبكم هذا مقولاً ، وخُرمَ مقولاً . وأمره أن يجلس .

ولما عقد معاوية السيمة لأنه يريد قام الناس بخطبون ، فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدق : قم فأخطب يا أبا أمية ، فعام فقال : أما بعد ، فإن يريد ابنَ أمير المؤمنين أمله تأملونه ، وأحل تأملونه ، إن افتقرتم إلى جميعه وسيعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن اجتديتم ذات يده أعساكم وتكيلكم ، حذع قارح ، سوين قسبق ، ومؤجد فمجد ،

وقورع قَرَم ، وهو خَلَف أمير المؤمنين ، ولا حَتَفَ منه . فقال معاوية : أوسعت يا أما
أمية فاحلس ، فإِنما أردنا بعضَ هذا .

وأثنى رجلٌ على عليٍّ عليه السلام في وجهه ثاءً أوسعَ فيه - وكان عنده مَتَمَّها - فقال
له : أنا دونَ ما تقول ، وفوقَ ما في نفسك .

وقال ابن عباس لعُثْمَةَ بن أبي سُفْيَانَ وقد ثَنَّى عليه فأكثر : رويداً فقد أمهيتُ
يا أبا الوليد - يعني مالت ، يقال أمهى حمارٌ السُرَّ ، إذا استقصى حمارها .

فأما قوله عليه السلام : « ولا تكوننَّ المحس والمسيء عندك عنزة سواء » ، فقد أخذه
الصَّانِي فقال : « وإدا لم يكن للمُحْسِن ما يرفعه ، وبمسيء ما يَصُغُه ، رَهْدُ المحسن في الإحسان ،
واستمرَّ المسيء على الطغيان » ، وقال أبو العيث :

شرُّ البلاد بلادُ لا صديقَ بها ونشر ما سكب الإنسان ما دهم^(١)
وشرُّ ما قسَّمته راحتي قسَمٌ شهبُ البراة سواء فيه والرحمُ
وكان يقال : قضاء حقِّ المحس أدبٌ لمسيء ، وعقوبة المسيء حرًا للمحسِن .

• • •

الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَأْذِي إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ،
وَتَحْمِيلِهِ الثَّوَابَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ . فَلْيَكُنْ
مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَحْتَمِيعُ لَكَ بِهِ أَحْسَنُ ظَنٍّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ
عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ
مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ .

وَلَا تَقْضُ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا مُدْرُغٌ هَدِيهِ الْأُمَّةُ ، وَأَخْتَمَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ ،
وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ .

وَلَا تُخْذِلَنَّ سُنَّةَ تَصَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَأْصِي نَذَرِ الشَّيْءِ ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَبَّهَا ،
وَالْوَرْدُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَعْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُتَابَعَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَتَثْبِيتِ مَصَالِحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ
بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ فَتَلُكَ .

البُخَرْجُ :

حلاصة صدر هذا الفصل ، أن مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ حَسُنَ طَعْمُ فَيْكِ ، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ
أَسْتَوْحَشَ مِنْكَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ إِلَى إِنْسَانٍ وَتَكَرَّرَ مِنْكَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ مَعَ
ذَلِكَ أَعْتَقَاذُكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ ، ثُمَّ يَنْسَعِ ذَلِكَ الْاعْتِقَادُ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّكَ نَحْتَهُ ؛ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى أَنْ يَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ ، وَإِذَا أَحْبَبْتَهُ سَكَنَ إِلَيْهِ وَحَسُنَ طَعْمُ فَيْكِ فِيهِ ،
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَسَاءْتَ إِلَى رِيْدٍ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَسَاءْتَ إِلَيْهِ وَتَكَرَّرَتْ الْإِسَاءَةُ تَبْعَ
ذَلِكَ أَعْتَقَاذُكَ أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَكَ ، ثُمَّ يَنْسَعِ ذَلِكَ الْاعْتِقَادُ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنْ تُبْغِضَهُ أَيْتَ ،
وَإِذَا أَبْغَضْتَهُ انْقَبَضَتْ مِنْهُ وَأَسْتَوْحَشْتَ ، وَسَاءَ طَعْمُ فَيْكِ بِهِ .

قال المنصور للرَّيِّعِ : سَلِّني لنفسك ! قال . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَلَأَتْ يَدِي قَلَمٌ يَبْقَى
عِنْدِي مَوْصِعٌ لِلْمَسْأَلَةِ ؛ قَالَ : فَسَلِّني لَوَدِدْتُكَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَحْتَمِنَهُ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
يَارَبِّيعُ ، إِنَّ الْحَبَّ لَا يُسْأَلُ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ بِتَقْصِيهِ الْأَسْبَابِ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا
أَسْأَلُكَ أَنْ تَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِكَ ، هَذَا تَكَرَّرَ أَحْبَبْتُكَ ، وَإِذَا أَحْبَبْتُكَ أَحْبَبْتَهُ . فَاسْتَحْسَنَ

المنصور ذلك ، ثم نهى عن نقض استن الصالحة التي قد عمل بها من قبله من صالحى الأمة ،
 فيكون الوزر عليه بما نقض ، والأحر لأولئك بما أمسوا ، ثم أمره بمطارحة العلماء
 والحكام في مصالح عمله ، فإن المشورة بركة ، ومن استنر فقد أضى عقلا إلى عقله .
 ومما جاء فى معنى الأول :

قال رجل لـإياس بن معاوية : من أحب الناس إليك ؟ قال : الذين يطؤونى ، قال :
 ثم من ؟ قال : الذين أعطيهم .

وقال رجل لهشام بن عبد الملك . إن قد حمل المطاء محبة ، والمع معة ،
 فأعنى على حثك ، ولا تعنى فى نفسك



الأصل :

واعلم أن الرعية طقات ، لا يصنع لعمها إلا بغير ، ولا رعى بغيرها
 عن بغير ، فمنها جنود الله ، ومنها كذب انعامه وانعامه ، ومنها قصة العدل ،
 ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الحرارة والخراج من أهل الدمة
 ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من
 دوى الحاجات والمسكنة ، وكل قد سعى الله له سهمه ، ووضع على حده وفريسته
 فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا .

فالجند يادى الله حصون الرعية ، ورين أولاده ، وغير الدين ، وسر الأمن ،
 وليس قوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج
 الذى يفوزون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من
 وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والمال

وَالْكِتَابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَادِ ، وَيَجْتَمِعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ
مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا ؛ وَلَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالشُّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ،
فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنْ
التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ ، بِمَا لَا يَتَلَمَّهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ الطَّلَقَةُ الشَّقَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَنُكْبَةِ الدِّينِ يَحِقُّ رَفْدُهُمْ وَمَمُونَتُهُمْ .
وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ سَعَةٌ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ يَقْدِرُ مَا يُصْلِحُهُ .

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ سَائِلَ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ
وَالِاسْتِمَاعَةِ بِاللَّهِ ؛ وَتَوَطُّبِ نَفْسِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا حَبَّ عَلَيْهِ
أَوْ قُفِّلَ .



البُشْرُخُ :

قَالَ الْحَكَمَاءُ : الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِنَظَرٍ ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خُلِقَ حِفْظًا لَابِدًا مَعَهَا مِنْ أَنْ
يَكُونَ مَصْنُوعًا إِلَى أَشْخَاصٍ مِنْ بَنِي حِمْلِهِ ، وَمَتَمِّدًا فِي مَكَانٍ لَيْسَ بِهِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَدَنِيِّ
سَاكِنَ الْمَدِينَةِ ذَاتِ السُّورِ وَالسُّوْقِ ، بَلْ لَابِدًا أَنْ يَقِيمَ فِي مَوْضِعٍ مَا مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْبَشَرِ ؛
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَصْطَرَفًا إِلَى مَا يَأْكُلُهُ وَشَرُّهُ لِيَقِيمَ صُورَتَهُ ، وَمَصْطَرَفًا إِلَى مَا يَلْبَسُهُ ،
لِيُدْفَعَ عَنْهُ أَذَى الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَإِلَى مَسْكَنٍ يَسْكُنُهُ لِيَرُدَّ عَنْهُ طَائِفَةٌ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ،
وَلِيَكُونَ مَنَرًا لَهُ لِيَتِمَكَّنَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ عَلَيْهِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ
لَا يَسْتَقِلُّ بِالْأُمُورِ الَّتِي عُدِدْنَاهَا ، بَلْ لَابِدًا مِنْ جَمْعَةِ يَخْرُثُ بَعْضُهُمْ لِمِيزَةِ الْخُرْثِ ، وَذَلِكَ
الْمِيزُ يَحْوِيكَ لِلْحَرَاثِ الثَّوْبِ ، وَذَلِكَ الْخَائِثُ يَسِي لَهُ غَيْرُهُ الْمَسْكَنُ ، وَذَلِكَ الْبَسَاءُ يَحْمِلُ لَهُ

غيره^(١) الماء ، وذلك التقاء يكفيه غيره أمرٌ بتحصيل الآلة التي يطحن بها الحب ويصحن بها الدقيق ، ويحجر بها العجين ، وذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التي تدعو إليها داعية الشئ ، فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض ، لولا ذلك لما قامت الدنيا ، فلها معنى قوله عليه السلام : « إناهم طبقات لا يصح نعضها إلا يعض ، ولا فناء يعضها عن بعض » .

ثم فصلهم وقسمهم فقال : منهم الجند ،^(٢) ومنهم الكتاب ، ومنهم القضاة ، ومنهم العمال^(٣) ، ومنهم أرباب الحرية من أهل الذمة ، ومنهم أرباب الجراح من المسلمين ، ومنهم التجار ، ومنهم أرباب الصناعات . ومنهم دوا الحيات والمكة ، وهم أدون الطبقات .

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال : الجند للحماية ، والجراح تُصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لما يحكمونه من المعاهد ، ويحمونه من المانع ، ولابد لمسؤوليهم جميعاً من التجار لأجل البيع والشراء الذي لا غناء عنه ، ولابد لكلٍّ من أرباب الصناعات كالحداد والتجار والنساء وأمثالهم . ثم نبى هؤلاء الطبقة السلي ، وهم أهل الفقر والحاجة الذين تحب معونتهم والإحسان إليهم .

وإنما قسمهم في هذا الفصل هذا التقسيم تمهيداً لما يذكره فيما بعد ، فإنه قد شرع بعد هذا الفصل ، فذكر طبقة طبقة وصفاً جيناً ، وأوصاه في كل طبقة وفي كل صنف منهم بما يليق بحاله ، وكأنه^(٤) مهّد هذا التمهيد ، كالتمهيد لما يأتي بعده من التفصيل .

(١) ب : « غير تصريف » . (٢-٢) ساقط من ب ، وأثبتته من د .

(٣) ١ : « دكاه » .

الأصل :

قَوْلٌ مِنْ جُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِلَيْمِكَ ، وَأَطَهَرَهُمْ جَبِينًا ،
وَأَفْصَلَهُمْ حِلْمًا ، وَمَنْ يُدْطِئُ عَنِ الْعَصَبِ ؛ وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَيَرَأُفُ بِالضُّعْفَاءِ ،
وَيَسْتَوْ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ؛ وَمَنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُفْ ، وَلَا يَقْدُرُ بِهِ الضَّعْفُ .

ثُمَّ الصَّقُ يَذَوِي الْمَرْوَاتِ وَالْأَحْسَابِ ؛ وَأَهْلُ النُّيُونَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّوَابِقِ
الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ الْبُخْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّحَاءِ وَالسَّاحَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ رِجَافٌ مِنَ الْكَرَمِ ؛
وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ .

ثُمَّ يَقْدُرُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَقْدُرُ الْوَايِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا ؛ وَلَا يَتَعَاوَنُ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ
قَوِيَّتَهُمْ بِهِ ، وَلَا تُحَقِّقُونَ لَطْفًا نَعَاهُتَهُمْ بِهِ وَهِنْ قَلْبٍ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى تَدْلٍ
الْمُصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الطَّنِّ بِكَ .

وَلَا تَدْعُ تَقْدُّرَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَنْكَلاَ عَلَى حَسِيمٍ ؛ فَإِنَّ لِلْبَسِيرِ مِنْ لَطْفِكَ
مَوْصِيًا يَتَعَمَّرُ بِهِ ؛ وَلِلْحَسِيمِ مَوْفِيًا لَا يَسْتَمُونُ عَنْهُ ؛ وَلِيَكُنْ آثَرُ رُحْمٍ
جُودِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَاسَاغِهِمْ فِي مَمَوَاتِهِ ، وَفُصِّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَدِيثِهِ ، بِمَا يَسْمُهُمْ
وَيَسَّحُ مِنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ حُلُوبِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونُ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ،
فَإِنَّ عَظَمَتَكَ عَلَيْهِمْ يَمْلِكُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ . وَلَا نَصِيحُ نَصِيحَتَهُمْ إِلَّا بِمَحِيطَتِهِمْ^(١)
عَلَى وَلَاذِ أُمُورِهِمْ ، وَقِلَّةِ اسْتِنْقَالِ دَوْلَتِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ اسْطِغَارِ مُدَّتِهِمْ .

فَفَسَّحْ فِي أَمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ مِنْ حُسْنِ التَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَمْدِيدِ مَا أُنْتَلَى ذَوُو الْبَلَاءِ

(١) عظومة النهج * * محيطتهم * * الباء المنددة للكسرة .

مِنْهُمْ ، فَإِنْ كَثُرَتْ الدُّكْتُ لِحُسْنِ فَعَالِهِمْ تَهَرُّ الشُّعَاعِ ، وَتَحَرُّصُ اسَاكِلِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا نَلَى ، وَلَا تَبْصُرْ تَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ عَابَةِ بَلَائِهِ .

وَلَا يَدُهُوْنَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْطَمَ مِنْ تَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا صَعَةُ
امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَمِيرَ مِنْ تَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا ، وَارْذُدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُصِدمُكَ
مِنَ الْخُطُوبِ ، وَبَشْتِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُسُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ
إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١) ، فَارْذُدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَحَدُ بِحُكْمِهِ .
كِتَابِهِ ، وَارْذُدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَحَدُ بِسُنَنِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَرْفُوقَةِ .

البَنْزَجُ :

هذا الفصل مختصٌّ بالوصاية فيما يتعلق بأمراء الحبش ، أمره أن يولَّى أمر الحبش
من حنوده من كل أوصيهم لله في حبه ، وأظهرهم حينا ، أى عفيما أمينا ، ويكسى
عن العفة والأمانة بطهارة الجلب ، لأن أذى سرق يحمل السروق في حبه .

فإن قلت : وأى تعلّق لهذا بولاية الحبش ؟ إنما ينبغي أن تكون هذه الوصية
في ولاية الخراج !

قلت : لا بد منها في أمراء الحبش لأجل العنائم .

ثم وصف ذلك الأمير فقال : « مَنْ يَطْلُءَ عَنِ الصَّبِّ ، وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْعَدْرِ » ، أى يقل

أَذَى عَذْر ، وَيَسْتَرْحُ إِلَيْهِ ، وَيَسْكُنُ عِنْدَهُ . وَيَرْؤُفُ^(١) عَلَى الضَّعَاءِ ، يَرْفُقُ بِهِمْ وَيَرْحُمُهُمْ ، وَالرَّأْفَةُ : الرَّحْمَةُ . وَيَذْهَبُ عَنِ الْأَقْوِيَاءِ : يَتَجَاوِزُ عَنْهُمْ وَيَعْدُو ، أَيْ لَا يُعْكُتُهُمْ مِنْ الظُّلْمِ وَالْتِمَادِي عَلَى الضَّعَاءِ . وَلَا يَشْرِبُهُ الْعُتْفُ : لَا يَهْبِيعُ عَضْنَهُ عُتْفٌ وَقَسْوَةٌ . وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الصَّعْفُ ، أَيْ لَيْسَ طَاحِرًا .

ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَلْصُقَ بِدَوَى الْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، أَيْ يَكْرُمُهُمْ وَيَجْمَلُ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَتَعَدَّاهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِدَوَى الْأَحْسَابِ ؛ فَإِنْ هُمْ لَمْ يَتَكْرَمُوا اسْتَحْيُوا^(٢) .

ثُمَّ ذَكَرَ نَعْدَهُمْ أَهْلَ الشُّجَاعَةِ وَالسَّحَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِيَّاهَا جَمَاعُ مِنَ الْكُرَمِ ، وَشُعْبُ مِنْ الْمَرْفِ ؛ مِنْ هَاهُنَا رَائِدَةٌ ؛ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْإِيْحَابِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَحْمَشِ ، أَيْ جَمَاعُ الْكُرَمِ ، أَيْ يَجْمَعُهُ كَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « الظُّرُجُ جَمَاعُ الْإِثْمِ » . وَالْمَرْفُ : الْمَرْوْفُ .

وَكُنْ ذَلِكَ « مَر » فِي قَوْلِهِ : « وَشُعْبُ مِنَ الْمَرْفِ » أَيْ وَشُعْبُ الْمَرْفِ ، أَيْ هِيَ أَصْلُهَا وَأَحْرَاؤُهُ ، وَيَحْوُرُ أَنْ تَكُونَ « مَر » عَلَى حَقِيقَتِهَا لِلتَّبْعِيصِ ، أَيْ هَذِهِ الْحَالُ حُلَّةٌ مِنَ الْكُرَمِ وَأَقْسَامُ الْمَرْوَفِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُهَا يُصَابُ مِنَ الْكُرَمِ وَالْمَرْوَفِ ، وَنَحْوُ الْعَدْلِ وَالْمَقَّةِ .

قَوْلُهُ : « ثُمَّ تَقَعَّدُ مِنْ أُمُورِهِمُ » الصَّغِيرُ هَاهُنَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَخْفَادِ لَا إِلَى الْأَمْرَاءِ لِمَا سَدَّكَرَهُ ، مِمَّا يَدُلُّ الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ لِلْأَخْفَادِ ذِكْرًا فِيمَا سَقَى ؛ وَإِنَّا الْمَذْكُورُ الْأَمْرَاءُ ! فَبَلَّ : كَلَّا بَلَّ سَقَى ذِكْرَ الْأَجْسَادِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : « اصْصَعَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ » .

(١) د : « رَأْف » ، تَحْرُفُ .

(٢) د : « اسْتَحْيُوا » ، ب : « اسْتَحْيُوا » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي أ .

وأمره عليه السلام أن يتفقد من أمور الحبس ما يتفقد الوالدان من حال الوالد ؛ وأمره ألا يعظم عنده ما يقوهم به وإن عظم ، وألا يستحق شيئاً تعهدهم به وإن قل ، وألا يعلنه تفقد جسم أمورهم عن تفقد صغيرها . وأمره أن يكون آثره وسجنوده عنده وأحطاهم عنده وأقربهم إليه من أساهم في معونه ؛ هذا هو الصير الدال على أن الصير المذكور أولاً للحنن لا لأمراء الحنف ؛ لولا ذلك لما تنظم الكلام .

قوله : « من حُوف أهليهم » ، أى ممن يحملونه من أولادهم وأهليهم .
ثم قال : لا يصح نصيحة الحنف لك إلا بحيطتهم على ولايتهم ؛ أى بشغلهم عليهم وتحسُّهم . وهى الحيلة على درر الشيعة ، مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطاً ، وحيلة ، أى كلاء ورعاء ، وأكثر الناس يروونها « لا يحيطتهم » نشديد آباء وكرها ، والصحيح ما ذكرناه .

قوله : « وقلة استنقال دُولهم » ؛ أى لا تصح نصيحة الحنف لك إلا إذا احتوا أمراءهم ثم لم يستنقلوا دُولهم ؛ ولم يتمنوا زوالها .
ثم أمره أن يذكر في المجالس والمجال بلاء دوى البلاء منهم ؛ فإن ذلك مما يرفع عزم الشجعان ويحرك الجبان .

قوله : « ولا نصنَّ بلاء امرئ إلى غيره » ، أى اذكر كل من أئلى منهم مفرداً غير مصموم ذكر بلائه إلى غيره ، كي لا يكون معموراً في حب ذكر غيره .

ثم قال له : لا تعظم بلاء دوى الشرف لأهل شرهم ، ولا تحقر بلاء دوى الصفة لصفة أسابهم ، بل اذكر الأمور على حقائقها .

ثم أمره أن يرد إلى الله ورسوله ما يصلحه من الخطوب ؛ أى ما يشوده ويميله

ثقله ، وهذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء ؛ وإن كان لتلك وجه .

[رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه]

ويبين أن يذكر في هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الإسكندر في معنى المحافظة على أهل البيوتات ودوى الأحباب ، وأن يحصتهم بالرياسة والإمرة ؛ ولا يعدل عنهم إلى العامة والسفلة ، فإن في ذلك تشييداً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصيته .

لما ملك الإسكندر إيران شهر - وهو العراق مملكة الأكاسرة - وقتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو وهو يولد اليونان :

عليك أيها الحكيم منا السلام ، أما بعد فإن الأملاك الدائرة ، والعمل السائية ؛ وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح أساس لها دائمة ، فإنما حدث واحد من ليس الاضطراب إلى حكمتك ، غير واحد من فصلك والإقرار بملكك ، والاستعانة^(١) إلى مشورتك والافتداء رأيك ؛ والاعتماد لأمرك ونهيتك ، إنما يكون من حدا ذلك علينا ، ودعا من حدا منعمته ، حتى صار ذلك بهجوعه في أدهاننا وعقولنا كالعداء لنا ، فما نملك نعوّل عليه ، ونستمد منه استمدّة الحداول من التحور ، وتعويل الفروع على الأصول ، وقوة الأشكال بالأشكال . وقد كان مما سبق إلينا من النصر والفتح ، وأتيح لنا من الطائر ، وبلغنا في العدو من التكاية والمنطق ما يحجر القول عن وصفه ، ويقصر شكر اسم عن موقع الإعظام به ، وكان من ذلك أن حاورنا أرض سورية والجزيرة إلى بابل وأرض فارس ، فلما حللنا بعقوة^(٢) أهلها وساحة بلادهم ، لم يكن إلّا دينا تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا ، وطمعاً للخطوة عددا ، فأمرنا بصلب من

(١) كذا في ١ ، واستقام إلى الأمر : سقى إليه ؛ وفي ب : « الاستعانة » .

(٢) العقوة : ماحول الدار .

جاء به وشهرته لسوء ثلاثة ، وقلة أروعته ووفاته ؛ ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم ودوى الشرف منهم ؛ فرأينا رجالاً^(١) عظيمة أجسامهم وأحلامهم ، حاصره الناسم وأدهانهم ، رائحة منطرحهم ومناطقهم ، دليلاً على أن ما يظهر من رؤائهم ومسطحهم أن وراءه من قوة أيديهم ، وشدة نخبتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم ، لولا أن انقضاء أداثنا منهم ، وأظفرنا بهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم تر بعيداً من الرأي في أمرهم أن نستأصل شفتهم ، ونحت أصلهم ، ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم ، لتكن القلوب بذلك الأمن إلى حرائرهم وبوائسهم ؛ فرأينا ألا نحمل بأسعاب يادى الرأي في قتلهم دون الاستطهار عليهم عشورنك فيهم . فرفع إليا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحتة عندك ، وتقديسك إياه بحلى نظرك ، وسلام أهل السلام ، فليكن علينا وعليك :

فكتب إليه أرسطو :

لملك الملوك ، وعظيم المطاه ، الإسكندر المؤيد بالصر على الأعداء ، المهدي له الظفر بالملك ، من أسمر عبده وأقل حوله ؛ أرسطو طاليس السخوع بالسجود والتدلل في السلام ، والإذعان في الطاعة :

أما بعد ، فإنه لا قوة بالمطلق وإن احتشد المطلق فيه ، واحتهد في تشيف معايه ، وتأليف حروفه ومسانيه على الإحاطة بأقر منائله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول ، وإبراره على كل وصف ، واعترافه بكل إطماب . وقد كان تقرر عمدي من مقدمات إعلام فصل الملك في صهنة سمته ، وبرور شأوه ، وبمن نقيته ، صدأت إلى حاسة نصري صورة شخصه ، واضطرب في حس ممضى صوت لفظه ، ووقع وهمي

(١) ب : « رجاله » .

على تعقيب محاربه رأيه ، أيام كنت أؤدى إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على
نفسى بالحاجة إلى تعلمه منه . ومهما يكن متى إليه في ذلك ، فإنما هو عقل مردود إلى
عقله ، مسسطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته . وقد حلا إلى كتاب الملك ومحاطبته إياي
ومسأله لي عما لا يتحلى الشك في نفاذ تلك وإتاحة من عنده ، فعنه صدر وعليه ورد ؛
وأنا فيما أشير به على الملك - وإن احتجبت فيه واحتشدت له ، وتجاوزت حد الوسع والطاقة
متى في استنطافه واستقصائه - كالعدم مع وجود ، بل كما لا يتجرأ في جب معظم الأشياء ،
ولكنى غير ممتنع من إحالة الملك إلى ما سأل ، مع على وبقيى تعظيم غناه عنى ، وشدة
عاقبى إليه ، وأنا راد إلى الملك ما اكتسبه منه ، ومشير عليه عما أحدثه ،
منه ففائله :

إن لكل زمة لا محالة فنا من امصائل ، وإن لعارس قسمها من لتجدة والقوة ،
وإنك إن نزل أشراهم تحف الوضوء على أسقامهم ، وورث سقمهم على موارل عديتهم ،
وتعلب أدبياءهم على حرام دوى أحظارهم ؛ ولم تقتل الملوك قط سلاء هو أعظم عليهم
وأشد توهيبا لسلطانهم من علة السفة ، ودر الوحوه ، فحدر الحدر كله أن تمكى تلك
الطليقة من العنة والحركة ، فإنه إن يحم منهم بعد اليوم إلى حيدك وأهل بلادك ناهم
دهمهم منه ما لا روية فيه ، ولا نقيّة معه ؛ ونصرف عن هذا الرأى إلى غيره ، واعمد إلى
من قبلك من أولئك العلماء والأحرار ، موزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك
كل من وليته منهم ناحيته ، واعقد التاج على رأسه وإن صغر ملكه ، فإن التسمي
بالملك لازم لاسمه ، والمعقود التاج على رأسه لا يحصع لميره ، فليس ينشب^(١) ذلك أن
يوقع كل ملك منهم يسه وبين صاحبه تد رأ وتقاطعا ونفادا على الملك ، وتاخرا بالمال
والخند ؛ حتى ينموا بذلك أصنامهم عبيك وأوتارهم فيك ، ويمود حربهم لك حربا

بينهم ، وحقهم عليك حقا منهم على أنفسهم ، ثم لا يزدادون في ذلك نصرة إلا أحدثوا لك بها استقامة ؛ إن دنوت منهم دانوا لك ، وإن تأيت عنهم تعززوا بك ، حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ، ويسترهته محمدك ، وفي ذلك شاعل لهم عليك ، وأمان لإحداهم بعدك ، وإن كان لا أمن للدهر ، ولا ثقة بالأيام .

قد أدبت إلى الملك ما رأيت في خطأ ، وعي حقا ، من بحانت إياه إلى ما سألني عنه ، ومحضته الصيحة فيه ، والملك أعلى حياء ، وأقدر روية ، وأفضل رأيا ، وأمد همه فيما استعان بي عليه ؛ وكفى نسيبه والشورة عليه فيه . لا زال الملك متمزعا من عوائد النعم وعواقب الصنع ، وتوسيد الملك ، وتفسر الأحول ، ودرك الأمل ، ما تأتي به قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر !

والسلام الذي لا انتصاء له ، ولا انتهاء ولا غاية ولا ماء ، فسكن على الملك .

قالوا . فعيل الملك رأيه ، واستحلف على إبراهيم شهر أسماء ابوك واسطفا من أهل فارس ، فهم ملوك الطوائف الذين عوا دمه ؛ والملكة مودعة يسهم إلى أن جاء أردشير ابن بابك فاتزع الملك منهم .

الأفضل :

ثُمَّ أَحْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ وَنَفْسِكَ ، يَمْنُ لَا تَصِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَلَا تَمَحْكُهُ الْخُصُومُ ، وَلَا يَتَأَدَّى فِي الرِّقَّةِ ، وَلَا يَخْصَرُ مِنْ أَنْفِي إِلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَذَى صَهِرٍ دُونَ أَنْصَاءِ . وَأَوْقِفْهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَآخِذْهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَمْلَهُمْ تَرْتَمَا عَمْرَأَتَهُ الْخُصْمِ ، وَأَصْبِرْهُمْ

عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ ، وَأَضْرَمَهُمْ عِنْدَ تَصَاحِرِ الْحُكْمِ ، رَمْنٌ لَا يَزِدُّهُ إِلَّا ظُرًّا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا غُرًّا ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ .

ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدَ قَصَائِرِهِ ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي التَّبَدُّلِ مَا يُرِيحُ عِلَّتَهُ ، وَتَقِلُّ مَمَّهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَرْئَةِ نَدِيكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ حَاصِنِكَ ، لِيَأْمَنَ بِدَلِّكَ اعْتِيَالَ الرَّحَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَاطِنًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَثَرَارِ ، يُدْمَلُ فِيهِ بِالنَّهْوِ ، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا .

البِنْخُ :

تَمْحُكُهُ الْحَصُومُ : تَجْمَلُهُ مَاحِكًا ، أَيْ لَجُوجًا ، مَحَكَ الرَّحْلَ ، أَيْ لَحَ ، وَمَلَحَكَ رِيدَ حُمْرًا ، أَيْ لَاجَةً .

قوله : « وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّوْءَةِ » ، أَيْ إِنْ رُلَّ رَجَعَ وَأُنَابَ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادَى فِي الْبَاطِلِ .

قوله : « وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْوَاءِ » هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لِمَعْنَاهُ ، وَالْوَاءُ : الرَّجُوعُ ، إِلَّا أَنَّ هَاهُنَا زِيَادَةٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَحْصَرُ ، أَيْ لَا يَمْلَأُ فِي الْمَطْلُوقِ ، لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا زُلَّ حَصِرَ عَنْ أَنْ يَرْجِعَ وَأَسَابَهُ كَالْمَهَامَةِ وَالْمَيَّ خَجَلًا .

قوله : « وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ » ، أَيْ لَا تَشْفِقُ . وَالْإِشْرَافُ : الْإِشْفَاقُ وَالْخُوفُ ، وَأَنْشَدَ اللَّيْثُ :

وَمِنْ مُضَرِّ الْحُرَاءِ إِسْرَافًا نَفْسِهِ عَلَيْنَا وَحَيَاهَا عَلَيْنَا تَمْضَرًا

وقال عروة بن أدبئة :

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خُلُقٍ أن الذي هو رزقٌ سوف يأتي (١)

والمعنى : ولا شغل نفسه ، ونحوه من قوت المانع والمراقب .

ثم قال : « ولا يكتفى بأدنى فهم » ، أى لا يكون قاعاً بما يحظر له بآدى الرأى من أمر الخصوم ، بل يستقصى ويبحث أشد البحث .

قوله : « وأقلهم نرجساً مراحمة الخصم » ، أى نصجراً ، وهذه الحصلة من محاسن ما شرطه عليه السلام ، فإن القلق والنصر والتبرم قبيح ، وأصح ما يكون من القاصى .

قوله : « وأصرمهم » ، أى أنطمهم وأمضهم . واردة كذا ، أى استحقته . والإطراء : المدح . والإعراء : التحريض .

ثم امره أن يتطمع على أحكامه وأفضته ، وأن يمرض به عطاء واسما يملأ عينه ، ويتعفف به عن المراقب والرشوات ، وأن يكون قريب المكان منه ، كثير الانحصار به لئلا يقر به من سعاية الرجال به وتقبيحهم ذكره عنده .

ثم قال : « إن هذا الدين قد كان أسيراً » ، هذه إشارة إلى قصة عثمان وحكامه ، وأنهم لم يكونوا يقصون بالحق عنده ، بل بالهوى لطلب الدنيا .

وأما أصحابنا فيقولون : رحم الله عثمان ! به كان صميماً ، واستولى عليه أهله ، قطعوا الأمور دونه ، فأنعمهم عليهم وعثمان يرى منهم .

[فصل في القضاة وما يلزمهم وذ كر بعض نواذرهم]

قد جاء في الحديث الرفوع : « لا يقضى انقامي وهو غصبان » . وجاء في الحديث الرفوع أيضا : « من انتاب القضاة بين المسلمين فليعدل بينهم في خطه وإشارته ومحاسنه ومقصدته » .

دخل ابن شهاب على الوليد - أو سليمان - فقال له : يا ابن شهاب ، ما حديث يرويه أهل الشام ؟ قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنهم يروون أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات ، فذر : كذبوا يا أمير المؤمنين ، إنما أقرب إلى الله ، مني أم خليفة ! قال : بل مني ؛ قال : فإنه تعالى يقول لبيه داود : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الْأَئِيدِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) . فقال سليمان : إن الناس ليُمرؤنا عن ديلا .

وقال بكر بن عبد الله العدوي لابن أرمطة - وأراد أن يستقصيه : والله ما أحسن القضاء ، فإن كنت صادقا لم يحمل لك أن تستغفر من لا يحسن ، وإن كنت كادما فقد فسقت ، والله لا يحمل أن تستغفر الفاسق .

وقال الزهري : ثلاث إذا كن في الناصي فليس بفاصل ، أن يكره اللائمة ، ويحب المحمدة ، ويخاف العزل .

وقال محارب بن زياد للأعمش : ولئت انقصا فسكى أهل ، فلما عزلت بكى أهلي ، فما أدى من ذلك ؟ قال : لأبك ولئت القضاء وأت تكبره ونحرع منه ،

فبكي أهلك لجزعك ، وعزت عنه فكرهت العزل وحررت فكي أهلك لجزعك . قال : صدقت .

أُتِيَ ابنُ سُرمَةَ يقومُ يشهدون على قَراح^(١) محل ، فشهدوا - وكانوا عدولا - فمتحنهم فقال : كم في القَراح^(٢) من محلة ؟ قالوا : لا علم ، مردُّ شهادتهم ، فقال له أحدهم : أنت أيتها القاضي تنفي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فاعْلَمَا كم فيه من أسطوانة ؟ فسكت وأبازهم .

خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتنقى الخيران ، وقد أبليت تريد الملح ، وقد كل استنقى وهو كاره ، فأتى شامي^(٣) ، فقام بها ثلاثا ، فلم تواف ، فخف رادُّه وما كان معه ، فحمل بيته بالماء ومأكله بالملح ، فقل العلاء بن المهthal القسوى .

فإن كان الذي قد قلبَ حَقَّ فإن مدأ كرهوك على الفساء^(٤)
ما لك موصيا في كل يوم تلقى من يَحجُّ من النساء
مقبيا في قرى شامي ثلاثا فلا رادٍ سوى كثره وماء

وتقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث - وكانت جميلة - وأحوها الوليد ابن سريع إلى عبد الملك بن عُمر ؛ وهو ماض بالكوفة ، فقصى لها على أحبها ، فقال هُذَيْل الأشجعي :

أنا وليدٌ بالشهود يسوقهم على ما ادعى من صامت المال والحول
وحاءت إليه كلثم وكلامها شماء من الداء الخامر والجبل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه وكان وليدٌ ذا وراء وذا حدل
فدَّهت القبطى حتى قصى لها نعيم قضاء الله في محكم الطول

(١) القراح هنا : البطان ، واسطر يافوت (قراح) . (٢) شامي : موضع قرب القادسية .

(٣) الجعر والأبيات في معجم البلدان ٢ : ٢٢٤

فلو كان من في القصر يعلم عنه لما أستمع القبطي فينا على عمل
له حين يقضي للنساء تحاورن وكان وما فيه التناؤن والحوار
إدادات دلي كلفته الحاجة فهم بأن يقصّي تفتح أو سئل
وبرق عيبه ولألك لسانه يرى كل شيء ما حلا وسليها حلل

وكان عبد الملك بن هير يقول: لعن الله لأشعري ، والله لئنما جاءتني السعة والسخنة
وأنا في الترشا فأردتها لما شاع من شعره.

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية : أما بعد ، فقد كتبت إليك في القضاء بكتاب لم
آلت وعسى فيه حيراً ؛ الزم غنى حصل يسم لك دينك ، وتأخذ بأفضل حطك : إذا تقدم
إليك الخصمان فليك بائنة العادلة أو البين القاطعة ، وأدب الضعيف حتى يشتد قلبه ويسقط
لسانه ، ونهت القريب فإتاك إن لم تعهده ترك حقه ورجع إلى أهله ؛ وإتانا صيغ حقه من لم
يرفق به ، وآس بين الخصوم في لحظك ونفقتك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبين
لك فصل القضاء .

وكتب عمر إلى شريح : لا تسارر ولا تصارر ، ولا تسع ولا تنتع في مجلس القضاء ،
ولا تقض وأنت عصا ، ولا شديد الجوع ، ولا مشغول القلب .

شهد رجل عند سوار القاضي ، فقال : ما صاعتك ؟ فقال : مؤدب ، قال : أما لا أجر
شهادتك ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعميم القرآن أحرا ، قال : وأنت أيضا تأخذ على
القضاء بين المسلمين أحرا ، قال : إنهم أكرهوني ؛ قال : نعم أكرهوك على القضاء ، فهل
أكرهوك على أخذ الأجر ! قال : هلم شهادتك .

ودخل أبو ذؤلمة ليشهد عند أبي ليلى ، فصر حين جلس بن يديه :

إذا الناس عطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني قضيت مباحث^(١)

وإن حَمَرُوا بَثْرَى حَمَرَتْ بَثْرَهُمْ ليعلم ما تُخفيه تلك السَّائِثُ
فقال : بل تعطيك يا أُمّ دُلَامَة ولا سَحْثَكَ ، ومَرَفَه رَصِياء ، وأعطى المشهود عليه من
عنده قيمة ذلك الشيء .

كان عامرُ بْنُ الطَّارِبِ أَمَدَوَانِيَّ حَكَمَ العرب وفاصِيَهَا ، فَنَزَلَ به قوم يسميونه في الخنثى
وميراثه ؛ فلم يَدِرْ ما يَقْصِي به ، وكان له حارية اسمها حَصِيلَة ، رَتَمَ لامها في الإبطاء عن
الرَّعْيِ وفي الشيء يَحْدُهُ عليها ، فقال لها : يا حُصِيلَة ، لِمَ أُسْرَخَ هؤلاء الموم في عَمِي ،
وأَطالوا المكث ، قالت : وما يَكْثُرُ عَيْثُ من ذلك ؟ اتَّعَمَ مَسَالَهُ وحَلَاك حَمَ ، فقال لها :
« مَسِيٌّ ^(١) حُصِيلُ بَعْدَهَا أو رُوْحِي » .

وقال أعرابي لقوم يسارعون : هل لكم في الحق أو ما هو خبر من الحق ؟ قيل :
وما أتى هو خبرٌ من الحق ؟ قال : الحباطُ والتهضم ؛ فإن أحد الحق كله صرَّ .
وعمل عمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بعضَ قصائده ، فقال : لم عرِنتُني ؟ فقال : نلستُ أن كلامك
أَكْثَرُ من كلام الخصمين إذا تعاكما إليك

ودخل إياسُ بْنُ معاويةَ الشام وهو علام ، فقدم حصناً إلى باب القاصي في أيام عبد الملك ،
فقال القاضي : أما تَسْتَحْيِ ! تُحَاصِمُ وأنت علامٌ شيخاً كبيراً ؟ فقال : الحقُّ أكبرُ منه ،
فقال : اسكُتْ وَيَحْمُكَ ا قال : من يطق بحقِّي بَدَأَ ا قال : ما أطبكت بقول اليوم حقاً حتى
تقوم ؛ فقال : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . فقدم القاصي ودخل على عبد الملك وأخبره ، فقال : اقض
حاجته وأخرجهُ من الشام كي لا يُعْسِدَ علينا الناس .

وأحتصم أعرابيٌّ وَحَصَرِيَّ إلى قاصِرٍ ، فقال لأعرابيٍّ : آتِها القاضي ، إنه وإن كَهَنَجَ ^(٢)
بلى الباطل ، فإنه عن الحق لَمَطُوف .

ورَدَّ رجلٌ حاريةً على رَجُلٍ اشراها منه «الْحُمُق» ، فترافعا إلى إياسِ بْنِ معاوية ،

(١) في مجمع الأمثال ٢٩٥.٢ «مسي سخيلا بعدها أو وصحي» . (٢) هجج : أسرع .

فقال لها إياس : أى رَحْلِيكِ أطول ؟ فقالت : هذه ، فقال : أتذكرين ليلة ولدتك أمك ؟ قالت : نعم ، فقال إياس : ردّ ردّ !

وجاء في الخبر الرفوع من رواية عبد الله بن عمر : « لا قدستُ أمةً لا بُضِي فيها بالحق » ؛ ومن الحديث الرفوع من رواية أبي هريرة : « ليس أحدٌ يحكم بين الناس إلا جيء به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عُقْبِهِ ، فكفه العدل ، وأسلمه الخور » .

وأستمدى رجلٌ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه وعلىّ حلس ، فالتفت عمرُ إليه ، فقال : هم يا أبا الحسن ما حلس مع حَصْمِكَ ، فقام فجلس معه وتناظرا ؛ ثم أنصرف الرجل ورجع علىّ عليه السلام إلى محله ، فتبقي عمر التبري وجهه ، فقال : يا أبا الحسن ، مالي أراك متغيراً ! أكرهت ما كان ؟ قال : نعم ، قال : وما ذلك ؟ قال : كنتني محصرة حَصْمِي ، هَلَا قَلْتُ : قم يا عليّ ما حلس مع حَصْمِكَ ! فاعسق عمرُ عليّاً ، وحمل بقتل وجهه ، وقال يا بني أتم ! رِيسكم هذا ما الله ، وبكم أحرصاً من الطلّمة إلى النور .

أما بن عبد الحميد اللاحق في سوار بن عبد الله القاضي :

لا تَقْدَحِ الطُّنَّةُ في حُكْمِهِ شَيْعَتُهُ عَدْلٌ وَإِصَافُ
يَمْحِي إِذَا لَمْ تَلْقَهُ شُهَّةٌ وَفِي أَعْرَاصِ الشَّكِّ وَقَافُ

كان ينفذ رجلٌ يدكر بالصّلاح والزهد بقل له رؤيم ، فوُلّي القضاء ، فقال الجليد : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ مَرءً مِنْ لَا يَفْشِيهِ فَصْلِيهِ بِرُؤِيمٍ ، فَإِنَّهُ كَتَمَ حَبَّ الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ قَدَّرَ عَلَيْهَا .

الأشهب الكوفي :

بِأَهْلِ بَغْدَادِ قَدْ قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ مَدَّ مَادَ قَاضِيَكُمْ نُوْحَ بْنَ دَرَّاجِ
لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَاجُّ مَا سَلِمَتْ صَحِيحَةٌ بِدَهْ مِنْ وَسْمِ حَجَّاجِ

وكان الحجاج يسم أيدى السبط بالشرائط والنيل .

لما وقعت فتنة أبي الزبير أعتزل شريح القضاء وقال : لا أقصي في الفتنة ؛ فسقى
لا يقضي تسع سنين ، ثم عاد إلى القضاء وقد كبرت سنه ، فاعترضه رجل وقد أنصرف من
مجلس القضاء ، فقال له : أما حق لك أن تحصى الله ! كرت ستك ، وفقد زهرك ،
ومارت الأمور تحور عليك ، فقال : والله لا يموتها بعدك لي أحد . فلم يمت .
حتى مات .

قيل لأبي قلابة وقد هرب من القضاء : لو أحت ؟ قال : أخاف الهلاك ، قيل :
لو أجهدت لم يكن عليك بأس ؟ قال : ويحكم ! إذا وقع الساع في البحر كم عسى
أن يسبح !

دعا رجل لسليمان الشاذ كوفي ، مد : أرايك الله يا أبا أتوب على قضاء إسمهان !
قال : ويحك ! إن كان ولا بد فملى حراجه ، فإن أحد أموال الأعياء أسهل من أحد
أموال الأيتام .

ارتفعت حميلة بنت عيسى بن حراد - وكانت حميلة كاسمها - مع حصم لها إلى الشعي -
وهو قاضي عبد الملك - فقصى لها ، فقال هديل الأشجعي :

فَقَصَّ الشَّعْبُ لَمَّا	رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَّتْهُ بَشَابَا	هَا وَمَوْتَى حَاجِبَيْهَا
وَمَشَتْ مَشْيًا رُوَيْدًا	ثُمَّ هَزَّتْ مَسْكِبَيْهَا
فَقَصَّى جَوْرًا عَلَى الْحَمَى	مَرَّ وَلَمْ يَقْصُرْ عَلَيْهَا

فقبض الشعي عليه وضربه ثلاثين سوطا .

قال ابن أبي ليلى : ثم أنصرف الشعي يوما من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات

وتناشدنا الناس ، ونحن معه ، فررنا بحادم نَعْسَل الثياب ، ونقول :

• فُتِنَ الشَّيْءُ لَنَا •

ولا تَحْفَظ تَمَّةَ الْبَيْتِ ، فَوَقَّعَ عَلَيْهَا وَنَقَبَهَا ، وَقَالَ :

• رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا •

ثُمَّ صَحَّكَ وَقَالَ : أَمَدَّ اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا قَصِيصًا ^(١) لَهَا إِلَّا مَا لَحِقَ .

جاءت امرأة إلى قاصٍ فقالت : مات تَمْلَى وَرَكَ أَبُوَيْنِ وَأَبَا وَبَنَى عَمَّ ، فقال القاصي :

لأَبَوَيْهِ التَّكْلُ ، ولأَبِيهِ الْيَتَمُ ، وَلَكَ الْمَلَايِمَةُ ، وَلِنِسَى عَمَّةِ الدَّالَّةِ ، وَأَجَلِي الْمَالُ إِلَيْنَا إِلَى أَنْ تَرْتَمِعَ الْحَصُومُ !

لَقِيَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ شَرِيكَاً بَعْدَ مَا أُسْتَقْبِلَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالْمِنَةِ

وَالصَّلَاحِ بَلَى أَمْعَاءُ ! قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَهَلْ لِلنَّاسِ بَدٌّ مِنْ قَاصٍ ! قَالَ : وَلَا بَدَّ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِلنَّاسِ مِنْ شَرِّ طَلِيٍّ .

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ بَنٍ حَتَّى يَقُولَ لَمَّا وَلَّى شَرِيكَهُ الْقَصَاءَ : أَيُّ شَيْخٍ أَفْسَدُوا !

قَالَ أَبُو دَرْدَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَمَّا دَرْدَرٌ ، اعْقِلْ ^(٢)

مَا أَقُولُ لَكَ ؛ جَعَلَ يَرُدُّهَا عَلَى سِتَّةِ أَهْلَامٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَاحْشَن ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَلَوْ سَقَطَ سَوْطُكَ ، وَلَا تَتَقَلَّدَنَّ أَمَانَةً ، وَلَا تَلْبِسَنَّ وِلَايَةً ، وَلَا تَكْفُرَنَّ بِهَا ، وَلَا تَنْصِبَنَّ بَيْنَ أَثْنَيْنِ .

أَرَادَ عُمَارُ بْنُ عَفَّانَ أَنْ يَسْمَعَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ قَدْ مَحَمَّتَ النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « مَنْ أَسْتَعَادَ بِاللَّهِ فَقَدْ عَادَ بِعَمَادٍ » ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَسْتَقْصِيَنِي .

(١) ١ ، د : « قضيت » ، وأثبت ما في د . (٢) في د : « افعل » .

وقد ذكر الفقهاء في آداب القاضي^(١) أموراً، قالوا: لا يجوز أن يقبل هدية في أيام القضاء إلا ممن كانت له عادة يهدي إليه قبل أيام القضاء، ولا يجوز قبولها في أيام القضاء ممن له حكومة وخصومة، وإن كان ممن له عادة قديمة، وكذلك إن كانت الهدية أقدس وأرفع ممن كانت قبل أيام القضاء لا يجوز قبولها. ويجوز أن يحضر القاضي الولايم، ولا يحضر عند قوم دون قوم؛ لأن التخصيص يشير بالمثل، ويجوز أن يعود الرضى، ويشهد الحاضر، ويأتي مقدم النائب، ويكره له مباشرة البيع والشراء. ولا يجوز أن يقضى وهو غضبان ولا حائط ولا عطشان، ولا في حال الحرب الشديد، ولا الفرج الشديد، ولا نقى وشماس ينفله، والرص يلقفه، ولا وهو يدافع الأعداء، ولا في حرّ مزيج، ولا في برد مرعج. وينبغي أن يجلس للحكم في موضع نادر يصر إليه كل أحد، ولا يحتجب إلا بعدد. ويسحب أن يكون محله فيجاء لا يتدنى بذلك هو أصلاً. ويكره الجلوس في المساحد للقضاء، فإن احتاج إلى وكلاء، حرّ أن يتخذهم ويوصيهم بالرفق بالحصوم. ويسحب أن يكون له حش، وأن يتحد كلاً من احتاج إليه؛ ومن شرط كونه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء.

وأختلف في حوار كونه دميّاً، ولأظهر أنه لا يجوز. ولا يجوز أن يكون كونه هاسقاً، ولا يجوز أن يكون أشهود عهده قوماً معينين، بل شهادة عامة فيما استكمل شروطها.

الأفضل:

ثم انظر في أمور عمالك، فستعلمهم اختياراً، ولا تولهم عناية وأثرة، فإنهما يجامعان من شعب الحور والحياة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والتقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقرب المطامع إشرافاً، وأجمع في عواقب الأمور نظراً.

(١) كما في ١، وهو الصواب وفي ب: «نفس».

ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَرَغْنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا نَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ .
ثُمَّ تَقَدَّرْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ صِدْقٍ وَاتِّقَاءٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي اسْرٍّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأُمَانَةِ ، وَالرَّقْفِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفُّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَسَطَ يَدَهُ إِلَى حَيَاتِهِ اخْتَمَمَتْ بِهَا عَلَيْهِ بِمَذَكِ أَجْبَارِ عُيُوبِكَ ، اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَسَطَطْتَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنَةَ فِي نَدْبِهِ ، وَأَحْدَثْتَ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ عِزَّامِ الْمَدِينَةِ ، وَوَسَّيْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَدَّرْتَهُ عَرَّ التَّهْمَةِ .

البِنْجُ :

لَمَّا مَرَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِ الْعِصْيَةِ ، شَرَعَ فِي أَمْرِ الْقِتَالِ ، وَهُوَ مَقَالُ السَّوَادِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْوُقُوفِ وَالْمَصَالِحِ وَغَيْرِهَا ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمْ بِمَدِّ احْتِسَارِهِمْ وَتَحْرِيرِهِمْ ، وَلَا يُولِيَهُمْ عِمَانًا لَهُمْ ، وَلَمْ يَشْعَعْ فِيهِمْ ، وَلَا آثَرَةً وَلَا إِنَامًا عَلَيْهِمْ .
كَانَ أَبُو الْحَسَنِ مِنَ الْفَرَاتِ يَقُولُ : الْأَعْمَالُ لِلْكَفَاةِ مِنْ أَصْحَابِهَا ، وَقَصَادَةُ الْحَقُوقِ عَلَى خَوَاصِّ أَمْوَالِهَا .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَالِدٍ يَقُولُ : مَنْ نَسَبَ يَدَهُ لَشُعَاعَةٍ فِي عَمَلٍ ، صَدَّ حُلَّ عِبَادِهِ مَحَلٍّ مَنْ يَنْهَضُ لِمِيزِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْهَضْ بِمَعْنِهِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَمَلِ أَهْلًا .

وَوَقَعَ حَمْرُ بْنُ يَحْيَى فِي رُقْعَةٍ مَتَحَرِّمَةٍ : هَذَا قَتْلِي لَهُ حُرْمَةُ الْأَمْرِ ، فَامْتَحَنَهُ بِالْعَمَلِ ؛ فَإِنْ كَانَ كَافِيًا فَالْسلطانُ لَهُ دُونَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كَافِيًا فَحُجَّتْ لَهُ دُونَ السُّلْطَانِ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَايَهُمَا » - يَعْنِي اسْتَعْمَلَهُمْ لِمَحَابَةِ وَالْآثَرَةِ - جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْحَوَرِ وَالْحَيَاةِ . وَقد تَقَدَّمَ شَرْحٌ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ ضَرْبًا مِنَ الْحَوَرِ وَالْحَيَاةِ .
أَمَّا الْحَوَرُ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عُدِلَ عَنِ الْمُسْتَحَقِّ إِلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ فَوِي ذَلِكَ حَوَرٌ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ ،

وأما الخيانة فلأن الأمانة تقتضى تقبيل الأعمال الأكفاء ؛ فمن لم يعتمد ذلك فقد حن من ولأه .

ثم أمره بتحرر من قد جرب ؛ ومن هو من أهل البيوتات والأشراى لشدة الحرص على الشيء والخوف من فواته .

ثم أمره بإسباغ الأوراق عليهم ؛ فإن الخائف لا أمانة له ، ولأن الحجة تكون لازمة لهم إن خانوا ، لأنهم قد كفوا مؤنة أنفسهم وأهلهم بما فرض لهم من الأوراق^(١) . ثم أمره بالتطلع عليهم وإدراك^(٢) ، يعبر والأرصاد على حركاتهم .

وحدوة ناعث ، يقال : حداني هذا لأمر حدوة على كذا ، وأمه سوق الإبل ، ويقال للشمال حدواء ؛ لأنها تسوق السحاب .

ثم أمره بمواخذة من ثبتت حياته واستعادة ابل منه ؛ وقد صبح عمر كثيرا من ذلك ، وذكرناه فيما تقدم .

قال بمص الأكامرة لعامل من عماله : كيف بومك بالليل ؟ قال : أممه كله ، قال : أحسنت ! لو سرفت ما نعت هذا النوم .

الأفضل :

وَنَقَدْ أَمَرَ الْحَرَاحَ إِذَا يُصْبِحُ أَهْنَهُ ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِمَالٌ عَلَى الْحَرَاحِ وَأَهْلِهِ .

وَلَيْسَ كُنْ تَطْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ نَسْعَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْحَرَاحِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْمِرَّةِ ؛ وَمَنْ طَبَّ الْحَرَاحَ يَعْبُرُ عِمَارَةَ أُخْرَبِ الْبِلَادِ ، وَأَهْلَكَ

(٢) في ١ ، د د وبت .

(١) في د د الرزق .

أَيَّامَهُ ، وَلَمْ يَسْتَمِمْ أَمْرَهُ إِلَّا قَلِيلًا ؛ فَبِنْ شَكْرًا يَمْلَأُ أَوْ عِلَّةً ، أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ ،
أَوْ بَالَةً ، أَوْ إِحَالَةً أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا عَرَقٌ ، أَوْ أَحْجَفَ بِهَا عَطَشٌ ؛ خَفَّتْ عَنْهُمْ
بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ .

وَلَا يَنْفُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ لَا خَفَّتْ بِهِ الْمَوْتَةُ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ دُحْرٌ يَمُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ
فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَرْيِيں وَلَابَتِكَ ؛ مَعَ اسْتِحْلَالِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ، وَتَسْجِيحِكَ
بِاسْتِفَاضَةِ الْمَدْلِ فِيهِمْ ؛ مُتَمِّدًا فَعَلَ قَوْلُهُمْ ، بِمَا دَحَرَتْ عَنْهُمْ مِنْ إِجْمَاعِكَ لَهُمْ ؛
وَالثَّقَّةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ ؛ فَرُتِمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ
مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعَدُّ احْتِمَاؤِهِ ، طَبِئَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعُمَرَاءَ مُحْتَمِلُ
مَا سَخَّطَتْهُ ؛ وَإِنَّمَا بُوَّتْ خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَارِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْمِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ
أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى التَّحَمُّرِ ؛ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِإِبْقَاءِ ، وَهَلِ اسْمَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .



البَنْزُجُ :

انتقل عليه السلام من ذكر العمال إلى ذكر أرباب الحراج ودَهَافِين السَّوَادِ ، فقال :
تَفَقَّدَ أَمْرَهُمْ ، فَإِنَّ أَنْفُسَ عِيَالِ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ يَقَالُ : اسْتَوْسُوا بِأَهْلِ الْحَرَاجِ ؛ فَإِنَّكُمْ
لَا تَرَالُونَ سَمَانًا مَا تَمَيُّوْا .

وَرُدُّهُ إِلَى أَنْوَشِيرْوَانَ أَنَّ عَامِلَ الْأَهْوَازِ قَدْ هَلَكَ مِنْ مَالِ الْحَرَاجِ مَا يَرِيدُ عَلَى الْمَادَةِ ؛
وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ قَدْ أَجْجَفَ بِالرَّعِيَّةِ ، فَوَقَعَ : يُرَدُّ هَذَا الْمَالُ عَلَى مَنْ قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ ؛
فَإِنَّ تَكْثِيرَ الْمَلِكِ مَالَهُ بِأَمْوَالِ رَعِيَّتِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَحْصَنُ سَطُوحَهُ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ قَوَاعِدِ
بَيْتِهِ .

وكان على حاتم أنوثيروان : لا يكون مُمران ، حيث يحور السلطان .

وروى : « استحلاب الحراج » بالخاء .

ثم قال : « فإن شكوا ثِقَلًا » ، أى تفر طَسَق^(١) الحراج المضروب عليهم ، أو ثقل وطأة المامل .

قال : « أو علة » ، نحو أن يصيب العلة آفة كالخراد والبرق أو الرد .

قال : « أو انقطاع شرب »^(٢) ، بأن يَنْقُصَ ماء فى الهر ، أو تتملق أرض الشرب عنه لفقد الحجر .

قال : « أو بآلة » ، يعنى المطر .

قال : « أو إحالة أرض اعمرها عرق » ، يعنى أو كون الأرض قد حلت ، ولم يحصل منها ارتفاع ؛ لأن العرق عمرها وأفسد رَوعَها

قال : « أو أختف بها عطش » ، أى سبها .

فإن قلت : فهذا هو انقطاع الشرب ؟

قلت : لا ، قد يكون الشرب غير منقطع ، ومع ذلك يُخَفِّفُ بها العطش ، بأن لا يكفيها الماء الموجود فى الشرب .

ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك ؛ فإن التحفيف يصلح أمورهم ، وهو وإن كان يُدْخِلُ على المال نقصاً فى الساحل إلا أنه يعصى^(٣) توفير ريادة فى الأحل ؛ فهو عندة التجارة التى لا تدفع فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه .

(١) فى اللسان عن التهذيب : « الطسق شيء جراح له مقدار معلوم ؛ وليس يعرف حاتم » .

(٢) الشرب بالكسر : النصب من الماء .

(٣) أى د « يعصى إلى » .

قال : « ومع ذلك فإنه يفضى إلى تزيين بلادك بمارتها ، وإلى أنك تخرج بين
الولاة بإقامة العدل في رعيتك معتمداً فصل قوتهم » ؛ و « معتمداً » ، منصوب على الحال
من الصمير في « حقت » الأولى ، أي حقت عنهم معتمداً بالتخفيف فصل قوتهم .
والإجماع : الترفيه .

ثم قال له : وربما احتججت فيما بعد إلى مكافئهم بحادث يحدث عندك المساعدة
بمال يفسطونه عليهم قرصاً أو معونة محصة ؛ فإذا كاث لهم ثروة بهصوا بمثل ذلك ، طيبة
قلوبهم ^(١) به .

ثم قال عليه السلام : فإن العمران محتمل ما حلتته .
سمعت أبا محمد بن حنيد . وكل صاحب ديوان الخراج في أيام الأسير لدين الله —
يقول لمن قال له : قد قيل عنك : إن واسط والنصرة قد حوت لشدة السيف بأهلها في
تحصيل الأموال ! فقال أبو محمد . ما دام هذا شط بحره ، واسط والنصرة في ماله بحاله ،
ما تخرب واسط والنصرة أبداً .

ثم قال عليه السلام . « بما تُؤوى الأرض » ، أي إنما تُدعى من إغوار أهلها ،
أي من غرقم .

قال : والموجب لإغوارهم طمع ولائهم في الحيازة وجمع الأموال لأنفسهم وسلطانهم
وسوء طبعهم بالبقاء يحتمل أن يريد به أنهم يعطون طول النقاء ويمسكون الموت والزوال .
ويحتمل أن يريد به أنهم يتحيلون العزل وصراف ، فينهرون اغراض ، ويقتطمون الأموال ،
ولا يسطرون في عبادة البلاد .

(١) في د « قلوبهم » .

[عهد سابور بن أردشير لابنه]

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاماً يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد ؛ وهو قوله :

واعلم أن قوام أمرك بدور الحراج ، ودور الحراج نعمة البلاد ، وبلوغ العافية في ذلك استصلاح أهلها بالعدل عليهم ، والمودة لهم ، فإن نصح الأمور لمعصر سبب ، وعوام الناس لخواصهم عدوة ، وكل صنف منهم إلى الآخر حادة ، فاحتر لملك أفضل من تمدر عليه من كتمانك ، وليكونوا من أهل النصح والعاف والكفاية ، واسترسل إلى كل امرئ منهم شخصاً^(١) يصطلم به ويملكه تمجيد العراج منه ؛ فإن اطلعت على أن أحداً منهم خان أو تعدى منكراً ، وباع في عفته ، واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير حراجها إلا سعيد الصوت ، اعطيم شرف منزلة ولا تولين أحداً من فواد حديدك الدين هم غدة للحرب ، وحشة من الأعداء ، شيئاً من أمر الحراج ، فملكهم من مصهم على خيانة في المال ، أو تصيب للعمل ؛ فإن سوتته المال ، وأعصيت له على التصيب ، كان ذلك هلاكاً وإصراراً بك ورعيته ، وداعية إلى فساد غيره ؛ وإن أت كفايته فقد استفسدته ، وأصقت^(٢) صدره ، وهذا أمر توفيه حرم ، والإقدام عليه حرق ، والتقصير فيه قبحر .

واعلم أن من أهل الحراج من يدعي نصح أرسه وصياحه إلى حاشية الملك ويطاقتة ، لأحد أمرين ؛ أت جرى نكراهنهما : إما لامتناع من حوز العمال وظلم الولاية ؛ وتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك ويحلله عما تحت يده ، وإما للدفع عما يرمهم

(١) في د د شخصاً . (٢) في د د وأصقت .

من الحق والتيسر له ، وهذه حنة تقُد بها آداب الرعية ، وتُنقص بها أموال الملك ،
فاحذر ذلك ، وعاقب المتجشئين والملجأ إليهم .

ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضياع والروع ، فرأى عمارة حسنة ، فتعجب منها ،
تخاف أهلها أن يريد في حراحهم ، فلما نزل دعا وحوه البلد ، وقال : بارك الله عليكم ،
فقد أحسنتم العمارة ، وقد وضعت عنكم مائة ألف درهم . ثم قال : ما توفروا على من تهالك
عمرهم على العمارة وأمسهم خوزى أصناف ما وصفت عن هؤلاء الآن ؛ والذي وصفته بقدر
ما يحمل من ذلك ، وثواب عموم العمارة وأمن الرعية أفصل ربح .

الأصل :

ثم انظر في حال كتابك ؛ فوال على أمورك خيرهم ، واحص من رسل تلك التي
تدخل فيها مكائيدك وأسرارك ، يا ختمهم يوحد صالح الأخلق بمن لا تُطِرُهُ
الكرامة ، فيجترى بها عنيت في خلاف لك بحصرة ملا . ولا تُقصر يد العنة
عن إيراد مكاتبات عمالك عنيت ، وإصدار حوائجها على الصواب عنك ، وفيما
يأخذ لك ويُعطى منك ، ولا يصيب عدا انتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما
عقد عليك ، ولا يجهل منعه قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه
يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراسيتك واستينامتك وحسن الظن منك ،

فَإِنَّ الرِّجَالَ يَقْرَءُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَدِ يَتَصَنِّعُهُمْ وَحُسْنَ حَدِيثِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ؛ وَلَكِنْ احْتَرَهُمْ بِمَا وَلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَمَلَكَ ، فَاعْمِدْ لِأَخْسِهِمْ كَأَنَّ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَاعْرِضْهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ، وَلَيْعَنَ وَلَّيْتَ أَمْرَهُ .

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ ؛ لَا يَفْهَرُهُ كِبَرُهَا ، وَلَا يَتَشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ؛ وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ غَيْبٍ فَتَمَایَنَتْ عَنْهُ أَرْمَتْهُ .

[فصل فيما يجب على صاحب الملك]

البُزْجُ :

لما خرج من أمر الخراج ، شرع في أمر^(١) الكتب التي يكون أمر الحصة ، ويرسلون عنه إلى عماله وأمرائه ، وإلهم تعاقد التدبير وأمر الديوان ، فأمره أن يتخير الصالح منهم ، ومن يوثق على الاطلاع على لأسرار والمكايد والخليل والتسديرات ، ومن لا يبطره الإكرام والتقريب ، فيقطع فيجترئ على مخالفته في ملأ من الناس والرد عليه ، في ذلك من الوهن للأمر وسوء الأدب الذي اكتشف الكاتب عنه ما لا حماء به .

قال الرشيد للكسائي : يا علي بن حمزة ، قد أحطت بحمل الذي لم تكن تعلمه همتك ، مرونا من الأشعار أعنتها ، ومن الأحاديث أحققها بحاسن الأخلاق ، وداكرنا بآداب الرُّس والهند ، ولا تسرع علينا الرد في ملأ ، ولا تترك تنقيصا في حلاء .

وفي آداب ابن النقع : لا تكون محبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على

(١) و د ذكر .

طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما حالك ، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافطاً إذا ولوك . حذراً إذا فرتوك ، أمياً إذا اتصوك ، تعلمهم وكأنتك تتعلم منهم ، وتأذبهم وكأنتك تتأذب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ؛ دليلاً إن صرّموك ، راصياً إن أسخطوك ، ولا فالمد منهم كل اسعد ، والحدّر منهم كل الحدر . وإن وجدت عن السلطان وصحته عي فاستمع عنه ، فإنه من يحدّم السلطان حقّ خدمته يحلّي بينه وبين لذة الدنيا وسمل الأخرى ، ومن يخدمه غير حقّ الخدمة فقد احتمل ورر الآخرة ، وعرض نفسه للهلكة والفصيحة في الدار . فإذا صحّت السلطان فعليك بطول الملاممة من غير إملا ، وإذا رتّ منه عملة اشقة فعزل عنه كلام المنق ، ولا تُكثّر له من الدّعاء ، ولا تردّنّ عليه كلاماً في حفل وإن أحمّ ، فإذا حلوت به فصّره في رفق ، ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالسائة ، ولا تسندطه وإن أبطأ ، ولا تحبرنه أن لك عليه حقاً ، وأنتك تتمد عليه يلاء ، وإن استطعت ألا تنسى حقك وبلائك بتجديد الصبح والاحتياط فافعل ، ولا تعطيه المجهود كلّ من نفسك في أوّل صحبتك له ، وأعدّ موصفاً للمريد . وإذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن الجيب .

واعلم أن استلامك الكلام حفة فيك واستحقاق منك بالسائل والسئول ، فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما يأك سالت ؛ أو قال السئول : أحب بمجالسته ومخاطبته أيها المعص بنفسه ، والمستخفّ بسلطانه .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن أختصّه بمجالسته ومخاطبته : يا عبد الله ، كنّ على التماس الخطّ فيك بالسكرات أحرص منك على التماسه بالكلام ، فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبت اصمت فسكرم . وأعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد ، فإن اتلّبت نصيبته فاحترس ، وإن عوفيت فأشكر الله على السلامة ، فإن السلامة أصل كلّ نعمة . لا تساعدني على ما يقصّب بي ، ولا تردّنّ عني

خطأ في مجلس ، ولا تكافئني جواب التسميت والتهنئة ، ودع عنك : كيف أصبح الأمير ، وكيف أمسى ! وكلمني بقدر ما أستطيعك ، واحمل مذل التقريط لي صواب الاستماع متى . واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، فإذا سمعتني أنحدث فلا يفوتك منه شيء ، وأرني فهمك إتياء في طرفك ووجهك ، فما طناك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما يسمعك إتياء ، وأحلتك محل من لا يسمع منه ! وكل من هذا يُحبط إحسانك ، ويُسقط حق حُرمتك ، ولا تستدع الزيادة من كلامي عما تظهر من استحصان ما يكون متى ، فمن أسرا حالاً متى يستكد الملوك بالدخل ، وذلك يدل على تهاونه قدر ما أوحى الله تعالى من حَقِّهم . واعلم أنني جعلتك مؤدَّ ، بمسداً كَتَّ معلماً ، وجمعتك حلساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً ، حتى لم تعرف نقصان ما حرحت منه ، لم تعرف دُخْصان ما دخلت فيه ، وقد ظلوا من لم يعرف سوء ما أُولى ، لم يعرف حُسن ما أُبْلَى .



ثم قال عليه السلام : وليكن كانت غير مقصّر عن عرض مكتوبات عمالك عليك ، والإجابة عنها حسن الوَ كالة واليساية عنك فيما يحتاج به لك عليهم من مكتوباتهم ، وما يُصدره عنك إليهم من الأخوة ، فإن عَقَدَ لك عقداً قواه وأحكمه ، وإن عَقَدَ عليك عقداً احتهد في تقضيه وحلّه . قال : وإن يكون عارفاً بنفسه ، فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره .

ثم مهأ أن يكون مستند اختياره لهُؤلاء مِرَاسُته فيهم ، وغنة طُلّه بأحوالهم ، فإن التدليس يتم في ذلك كثيراً ، وما زال الكتّاب يتصمّمون للأمراء بحُسن الطاهر ، وليس وراء ذلك كثير طائل في الصبيحة والمعرفة ، ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت

به التجربة لهم ، وما وُثِّقَ من قبل ، فإن كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم هم ، وإلا فلا ، ويشترطون لفراسات الولاية ، يحملون أنفسهم بحيث يعرف نظروب من التصنع ، وروى : « يتعمّضون » .

ثم أمره أن يقسم فنون الكتابة وصروفها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء ، والآخر لأخوة عمال السواد ، والآخر محصرة الأمير في خاصته وداره ، وحشيته ومقاته .

ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما ينجاى عنه ، ويتعافى من عيوب كتابه ، فإن الدين لا يبيح الإغضاء والعنة عن الأعوان والحوال ، ويوجب النطق عليهم .



[فصل في الكتاب وما يلزمهم من الآداب]

واعلم أن الكاتب الذي يشير أمير المؤمنين عليه السلام إليه هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح المُرْفِيّ وزيراً ، لأنه صاحب تدبير حصرة الأمير ، والنائب عنه في أموره ، وإليه يصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الأخوة ، وبه الرّض على الأمير ، وهو المستدرك على العمال ، والمهيمن عليهم ، وهو على الحقيقة كاتب الكتاب ، ولهذا يسمونه : الكاتب المطلق .

وكان يقال : للكاتب على الملك ثلاث : رفع الحجاب عنه ، وإتمام الوشاة عليه ، وإقضاء السرّ إليه .

وكان يقال : صاحب السلطان بصفه ، وكأنه كُتِّه . ويبغى لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس ، ويدبم العُيُوس ، ويستغنى بالشفاعات .

وكان يقال : إذا كث الملك ضعيفا ، وانوريرُ شرهًا ، والقاصي جائرًا ، فرّقوا الملك شعاعا .

وكان يقال : لا تحفّ صولة الأمير مع ربحا نكاتب ، ولا تثق برضا الأمير مع سُخط السكاتب ، وأحد هذا المعنى أبو الفضل بن العبيد فقال :

ورعمت أُنك لست تُفكر بعد ما عِلقت يداك بذِمّة الأمراء

هيهات قد كدبتك فكرتك آتى قد أوهمتك عني عن الوزراء

لم تُسر عن أحدٍ صمّا لم تحد أرضا ولا أرضُ سر صمّا

وكان يقال : إذا لم يُشرف الملك على أموره ، صار أعشى الناس إليه ويريه .

وكان يقال : ليس الحرب العشومُ بأسرع وأُحتياح^(١) الملك من تصييع مراتب السكاتب حتى يصيبها أهل الدلالة ، ويرعد فيها أولو الفضل .

[فصل في ذكر ما نصحت به الأوائِلُ الوزراء]

وكان يقال : لا شيء أذهب بالدّول من استكفاء الملك الأمراء .

وكان يقال : من سعادة حدة المرء ألا يكون في الزمان المحتط وديرا للسلطان .

وكان يقال : كما أن أشجع الرّاحل يحتاج إلى اسلّاح ، وأسقى الخيل يحتاج إلى السّوط ، وأحد الشّمار يحتاج إلى الإسِن ، كذلك أحرم الملوك واعتقلهم يحتاج إلى الوزير الصالح .

وكان يقال : صلاح الدينا بصلاح ملوك ، وصلاح الملوك بصلاح الوزراء ،

(١) اجتياح الملك : الذهاب به .

وكما لا يتصلح الملك إلا بمن يستحق الملك ، كذلك لا تصلح الوزارة إلا بمن يستحق الوزارة .

وكان يقال : الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه في نفسه كائن صلاحاً حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته ، وأن تكون عاقبته فيها عطف الملك على رعيته ، وفيما استمطف قلوب الرعية والامة على الطاعة للملك ، وفيما فيه قوام أمر الملك من التدبير الحسن ، حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الأمن . وإذا طرقت الحوادث ، كان للملك حدة وعتادا ، وللرعية كاميا محتاطا ، ومن ورائها عاميا دائماً ، يعيه من صلاحها مالا يعيه من صلاح نفسه دونها .

وكان يقال : مثل الملك الصالح إذا كان وزيره حسداً مثل الماء المذب الصافي وفيه التماسح ، لا يستطيع الإنسان - وإن كان ساجداً ، وإلى الماء ظامئاً - دحوله ، حدرا على نفسه .

قال عمر بن عبد العزيز ل محمد بن كعب انفرج حتى حين استعيف : لو كنت كاتبي وردياً لي على ما دُفعت إليه ا قال : لا اعمل ، ولكني سارشدك ؛ أسرع الاستماع ، وأطع في التصديق حتى يأتيتك واصحُ الرهان ، ولا تسمع منحتك فيما تكتفي فيه بلسانك ، ولا سوطك فيما تكتفي فيه بتمحتك ، ولا سيمك فيما تكتفي فيه بسوطك .

وكان يقال : التقاط الكائب للرث وصطر الملك لا يحتملان .

وقال أبو روير لكانه : اكتم السر ، واصدق الحديث ، واحتهد في الصيحة ، وعليك بالحدار ؛ فإن لك على ألا أعجل عنك حتى أستاذ لك ، ولا أقبل فيك قولاً حتى أستيقن ، ولا أطمعُ فيك أحدا فتضل ؛ واعلم أنك محتاجة^(١) رفة فلا تحطها ، وفي

(١) الحاجة : ما ارتفع من الأرض .

ظلّ مملوكاً فلا تستر بلبّه . قارب الناس بحاملة من نفسك ، وبعدهم مساعاة عن عدوك ، واقصِد إلى الجيـل اأرداء لعدك ، ونزّه بالصف صوناً لمروءتك ، وتحسن عندى بما قدرت عليه . احذر لا تُسر عن الألسنة عليك ، ولا تقبّض الأحدثة عليك ، وصن نفسك صون الدرة الصافية ، وأخلصها إخلص الفضة البيضاء ، وطابها معاتبة الحذر المشفق ، وحصنها تحصين المدينة المنيع . لا ندع أن نرفع إلى الصغير فإنه يدل على (١) الكبير ، ولا نكتمن عني الكبير فإنه يس بشاعل عن الصغير . هدب أمورك ثم التقى بها ، وأحكم أمرك ثم راحنى فيه ، ولا نخرثن على قائمتين ، ولا نقصن متى فأتهم ، ولا نمرضن ما تنقانى ، ولا نحدثه (٢) ؛ وإذا أمكرت فلا نحل ، وإذا كشت فلا تُدبر ، ولا نستمع بالمصول فإنها علاوة على الكفاية ، ولا تقصرن عن التحقيق فإنها هُخنة بالمقالة ، ولا نلتس كلاماً بكلام ، ولا سعدن معنى عن معنى . واكرم لى كتابك عن ثلاث بموضوع يستحقه ، وإنتشار بهجته ، ومعانٍ بقده . واجمع الكثير مما تريد فى العليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام الشوفة كسطة الملك الذى تحدثه على الملوك . لا يكن ما نلته عطياً ، وما تكلم به صغيراً ، فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك ، فأحمله عالياً كملوه ، وهنأ كتموته ، فإنما جماع الكلام كله حصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وحبرك عن الشيء ؛ فهذه الحصال دعائم المقالات ، إن التمس إليها حامس لم يوجد ، وإن نقص منها واحد لم يتم ؛ فإذا أمرت فأحكم ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا طلست فأصحح ، وإذا أحدثت فحقق ، فإنك إذا فعلت ذلك أحدث بحرائم القول كله ، فلم يشته عليك واردة ، ولم تُعجزك صاعرة . أشت فى دواويرك ما أحدث ، وأخصر فيها ما أخرجت ، ونيقظ لما تُعطى ، وتجرّد لما تأخذ ، ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ، ولا الأناة عن التقدم ، ولا تخرجن

(١) كذا فى ١ ، وهو الوجه ؛ وفى ب : « عن الكبير » .

(٢) التمرىض : التوهين ، والتخدير : أن تأتى بالشيء ناقصاً .

وزنَ قيراط في غير حق ؛ ولا تعظمن إخراج الأثواب الكثيرة في الحق ؛ وليكن ذلك كله عن مؤامرتي .

الأسئل :

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَدَوَى الصَّاعَاتِ ، وَأَوْصِ بِهِمْ حَيْرًا ، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِّبِ عَالِهِ ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِيَدَيْهِ ؛ فَلَهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْنَابُ الْمَرَافِقِ ، وَجَلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ ؛ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَقِمُ النَّاسُ لِمَوَاصِيهَا ، وَلَا يَحْتَزِرُونَ عَنْهَا ؛ فَابْتِهِمْ سِلْمٌ لَا نُخَافُ نَتِيقَتَهُ ، وَصِلِحْ لَا تَخْشَى عَائِدَتَهُ .

وَنَقَدَّ أُمُورَهُمْ بِمَحْضَرَتِكَ ، وَفِي حَوَالِي بِلَادِكَ . وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا ، وَشُحًا قَسِيحًا ، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيعَاتِ ، وَدَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ ، فَامْنَعْ مِنَ الْإِخْتِكَارِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنَعَ مِنْهُ . وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْنًا صَمَحًا بِمَوَارِي عَدْلٍ ، وَأَسْفَارٍ لَا تُجْجِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ؛ فَمَنْ قَرَفَ حُكْرَةً نَعَدَ سَهْمَكَ إِيَّاهُ فَسَكَّلْ بِهِ ، وَعَافِهِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ .

الْبَيِّنُ :

خرج عليه السلام الآن إلى ذكر التجار ودوى اصصاعات ؛ وأمره^(١) بأن يعمل معهم الخير ، وأن يؤصّي غيره من أمرائه وعماله أن يعملوا معهم الخير . واستوصى بمعنى «أوص»

(١) ا ، ب ؛ «أمره» ، بسون واو .

نحو قر في المكان واستقر ، وعلا قرته واستعلاء .

وقوله : « استوصوا بالتجار حيرا » ، أي أوصي نفسك بذلك ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله : « استوصوا بالنساء حيرا » ؛ ومفعولا « استوصوا وأوصوا » ها هنا معدوفان للعلم بهما ، ويجوز أن يكون « استوصوا » أي اقبل الوصية متى بهم ، وأوصي بهم أنت عيرك .

ثم قسم عليه السلام الوصى بهم ثلاثة أقسام : اثنان منها للتجار^(١) ، وهما القيم ، والصطرب ، يعني المسافر . والصرب : السر في الأرض ؛ قال تعالى : ﴿ إِذَا صَرَفْتُمْ فِي الْأَرْضِ^(٢) ﴾ ، وواحد لأرباب الصناعات ، وهو قوله : « والمرق بيده » ، ورؤى « بيده » ، ثنية يد .

والمطاريح : الأماكن البعيدة .

وحيث لا يلتم الساس : لا يحتمون ، ورؤى « حيث لا يلتم » ؛ محذوف الواو . ثم قال : « فإتهم أولو سلهم » ، يعني التجار والصناع ، استمطفه عليهم ، واستأله إليهم .

وقال : ليسوا كمال الحراج وأمرء الأحاد ، فجاءهم سنى أن يراعى ، وحالهم يجب أن يحاط ويحمى ، إذ لا يتحوف منهم باثقة لا في مال يحبون فيه ، ولا في دولة يفسدونها . وحواشي البلاد : أطرافها .

ثم قال له : قد يكون في كثير منهم نوع من الشح والخس فيدعوم ذلك إلى الاحتكار في الأفوات ، والخيف في البيعات . والاحتكار^(٣) . انتياع الملات في أيام

(١) د : « التجار » . (٢) سورة اساء ١٠١ .

(٣) د : « فالاكتكار » .

رحصها ، واذخارها في المحازن^(١) إلى أيام السلاء والنحط . والحليف : تطفيف في الوزن والكيل ، وريادة في السر^(٢) ، وهو الذي عبر عنه بالتحكم ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاحتكار ؛ وأما التطفيف وزيادة التسمير فنهي عنهما في نص الكتاب^(٣) . وقارَفَ حُكْرَةً : واقمها ، والحاء مصمومة ، وأمره أن يؤدب قاعل ذلك من غير إسراف ، وذلك أنه دون المعاصي التي توجب الحسود ، ضاية أمره من التعرير الإهانة والمنع .

الأصل :

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي سَطَقَةِ السُّفْلَى مِنْ أُنْدِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ؛ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ
وَأَهْلِ الْيُوسَى وَالرَّهْمَى ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّطَقَةِ قَالِمًا وَمُحَرًّا
وَاحْظِ اللَّهُ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاحْظِ لَهُمْ فِيمَا مِنْ بَيْنَ مَالِكَ ،
وَفِيمَا مِنْ عِلَاتِ سَوَائِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ تَلَدٍ ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى؛
وَكُلٌّ قَدِ اسْتَرْجِعَتْ حَقُّهُ .
وَلَا يَشْمَلُكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُعَدُّ بِصَيِّعِ النَّافَةِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ
الْمُهْمِّ ، فَلَا تُشْجِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُحَرِّ حَدَّكَ لَهُمْ . وَتَعَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ
إِلَيْكَ مِنْهُمْ ، يَمْنَنْ بَقَعَتِهُ الْمَيُوءُ ، وَتَحْقِرْهُ الرَّحَالُ ؛ مَعَرَّغٌ لِأَوْلِيكَ تَقَتَّكَ
مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالنَّوَاصِعِ ، فَتَبَرَّغَ إِيَّيْكَ أُمُورُهُمْ .
ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ نَدَقَاهُ ؛ فَإِنَّهُ هُوَ لَا دِينَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ
أَخَوَاحٍ إِلَى الْإِنْصَابِ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ وَكُلٌّ مُعَدُّ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ .

(١) د : « المحازر » . (٢) د : « السر » .

(٣) وهو قوله تعالى ﴿ وَبُذِّلَ لِلْمُطَّغِيينَ ﴾ .

وَتَعْمَدُ أَهْلَ الْيَتِيمِ ، وَذَوِي الرِّقَةِ فِي السَّنِّ ، يَمْنَنُ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ
نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ تَقِيلٌ ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ تَقِيلٌ ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ
طَلَبُوا الْمَآقَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَقَفُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ .

البَنْجُ :

انتقل من التجار وأرباب الصناعات إلى ذكر فقراء الرعية ومعموريها ، فقال :
وأهل البؤس ، وهي البؤس كالنعمى للنعيم ، والبرمى أولو الرماة .
والقانع : السائل ؛ والمتر : الذي يترص لك ولا يسألك ، وهما من الفاظ الكتاب
العزيز (١) .

وأمره أن يعطيهم من ثمن مال المسلمين لأنهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى :
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَسُولًا لِلَّذِينَ الْإِيمَانُ عَلَى
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (٢) ، وأن يعطيهم من غلات صوائ الإسلام - وهي الأرضون
التي لم يوحف عليها نخيل ولا ركاب - وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله ،
فلما قصصت لفقراء المسلمين ، ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام .

ثم قال له : « فإن لأقصى منهم مثل الذي للأدى » ، أي كل فقراء المسلمين سواء
في مهامهم ، ليس فيها أقصى وأدى ، أي لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد
من حاصتك على من هو بعيد ليس له صب إليك ، ولا علة يسه وبينك . ويمكن
أن يريد به : لا تصرف غلات ما كل من الصوائ في بعض البلاد إلى مساكين ذلك

(١) وهو قوله تعالى في سورة الحج ٣٦ . (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَارِعَ وَالْمُعْتَرَّ) .

(٢) سورة الأهل ٤١ .

البلد خمسة ؛ فإن حق البعيد عن ذلك البلد فيها كمثل حق القيم في ذلك البلد .
والثاني : الحقيير . وأشخصت زيدا من موضع كذا ؛ أخرجته عنه . وفلان يصغر خذله
للناس ، أى يتكبر عليهم .
وتفتحجه العيون : تزدريه . وتحتقره والإعذار إلى الله : الاجتهاد والمبالغة في تأدية حقه
والقيام بفرائضه .

كان بعض الأكسرة يجلس للظالم بنفسه ، ولا يثق إلى غيره ، ويقعد بحيث يسمع
الصوت ، فإذا سمعه أدخل التظلم ، فأصيب بصم في سمعه فادى مناديه ، إن الملك يقول :
أيها الرعية ، إني إن أصبت بصم في سمعي فلم تسب وبصري ؛ كل ذي طلالة فليئس ثوبا
أحر ، ثم جلس لهم في مستشرق له .
وكان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت ممد بيت القصص ، يلقى الناس فيه دافعهم ،
وكذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق ، من حياء بني العباس .

■ ■ ■

الأصل :

وَاحْتَمِلْ لِدَوَى الْأَحَابِ مِنْكَ فِيمَا تُعْرِجُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَخْلِسًا
عَامًّا ، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِدَوَى حَقِّكَ ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ حُدُوكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَخْرَاسِكَ
وَشُرَطِكَ ؛ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَمِّعٍ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : « لَنْ تَقْدَسَ أُمَّةٌ لَا يُوَحِّدُ لِلصِّمِيمِ فِيهَا حَقَّهُ
مِنَ الْقَوَى ؛ غَيْرَ مُتَتَمِّعٍ » .

ثُمَّ احْتَمِلَ الْحَرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ، وَبَعَّ عَنْهُمْ الضَّيْقَ وَالْأُفَّ ، يَنْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْثَرَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِيَ مَا أَعْطَيْتَ هَيْبَتًا ، وَامْتَعَ فِي إِحْمَالٍ وَإِعْدَارٍ .

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُشَارَكَتِهَا ؛ مِنْهَا إِحَابَةُ عَمَّا لَكَ عَمَّا يَفْعَلُ عَنْهُ كِتَابُكَ ، وَمِنْهَا إِهْدَارُ حَاحَاتِ الدَّسِ عِنْدَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ عَمَّا تَخْرُجُ بِهِ مِنْ صُدُورِ أَعْوَانِكَ . وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ .

الْبَسْرُخُ :

هذا الفصل من تَتَمَّةِ مَاقِلِهِ ، وَقَدْ رُوِيَ : « حَتَّى يَكَلِّمَكَ مَكَلِّمُهُمْ » ، فاعِلٌ مِنْ « كَلَّمَ » وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَحْسَنُ .

وَعَبْرٌ مُتَمَتِّعٌ : عَبْرٌ مَرِيعٌ وَلَا مَعْلُوقٌ . وَتَمَتَّتَعَ فِي الْحَرِّ السَّوْبَى : الْمَتَرَدَّدُ الْمَصْطَرَبُ فِي كَلَامِهِ عَيْنًا مِنْ حَوْفِ لَحْقِهِ ، وَهُوَ رَاحِعٌ إِلَى الْمَسَى الْأَوَّلِ .

وَالْحَرْقُ : الْحَبْلُ . وَرُوِيَ : « ثُمَّ احْتَمِلَ الْحَرْقَ مِنْهُمْ وَانْتَهَى » . وَالنَّيْ : وَهُوَ الْحَبْلُ أَيْضًا ، وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَحْسَنُ .

ثُمَّ يَقْنُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ لِأَمْرِ آخَرٍ عَنِ مَا قَدَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي حَاحَاتِ الدَّسِ مَا يَضِيقُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِهِ ، وَالثَّوَابُ عَنْهُ ، فَيَتَمَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَبَاشَرَهَا سَفْسَهُ ؛ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي كَتَبِ عَمَلِهِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهِ .

ما يمينا كتابه عن حواه ، فيجيب عنه نعمته . ويدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة ومصلحة الولاية أن يصلح الكتاب عليه ، فيجيب أيضا عن ذلك بملءه .

ثم قال له : لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فتضيعك ويكدرك ؛ فإن لكل يوم ما فيه من العمل .

الأمنل :

واحتقر لنفسيك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل رتلك المواقيت ، وأجزل رتلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله ؛ إذا صلحت ربهما النية ، وسليمت منها الرعية .
وليكن في خاصة ما يخص به الله دينك إمامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من دينك في ليلتك ونهارك ، ووف ما فرقت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير منلوم ولا منقوص ، بما من دينك ما يبع .

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكوس مفرا ولا مضيقا ، فإن في الناس من به العلة ، وله الحاجة ؛ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني إلى اليمن : كيف أصي ريم ؟ فقال : « صل بهم كصلاة أضعفهم ؛ وكن بالمؤمنين رحيمًا » .

الشرح :

لما فرغ عليه السلام من وصيته بأمور دينه ، شرع في وصيته بأداء الفرائض التي

افترضها الله عليه من عبادته ، ولقد أحسن عليه السلام في قوله : « وإن كانت كلها لله » ،
أى أن النظر في أمور الرعية مع صحة النية وسلامة النية من الظلم من حملة العبادات
والفرائض أيضاً .

ثم قال له : « كاملاً غير مثلوم » ، أى لا يحملك شغل السلطان على أن تختصر
الصلاة اختصاراً ، بل صلها بمرائضها وسننها وشعارها في نهارك وليك ؛ وإن أتيتك ذلك
ونال من بدتك وقوتك .

ثم أمره إذا صلى بالناس جماعة ألا يطيل فينترهم عنها ، وألا يمدح الصلاة وينقصها
فيضيئها^(١) .

ثم روى خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله ، وهو قوله عليه السلام له : « صل بهم
كصلاة أضعفهم » ، وقوله : « وكن بالؤمنين رحماً » ؛ يحتمل أن يكون من تمة الخبر
السوى ، ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، والظاهر أنه من كلام
أمير المؤمنين من الوصية للأئمة ؛ لأن اللفظة الأولى عند أبواب الحديث هي المشهور
في الخبر .

الأصل :

وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا ؛ فَلَا تُطَوِّلَنَّ اخْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوُلاَدَةِ عَنْ
الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ السَّقَرِ ، وَقِلَّةُ عِلْمِهِ بِالْأُمُورِ . وَالْإِخْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ
عِلْمَ مَا اخْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْنُرُ عِنْدَهُمُ الْكِبَرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ ،
وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ
النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ رِمَامَاتٌ تُعَرِّفُ بِهَا ضُرُوبُ السُّدُوقِ مِنَ

(١) د : « فيضيئها » .

الْكُذُوبِ ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِنَّمَا أَمْرُؤُا سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ
أُخْتِجَابِكَ مِنْ وَاحِدٍ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فِئْدِ كَرِيمٍ تُسَدِّيهِ ! أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ، فَمَا
أَمْرَعَكَ كَمَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ
النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْوَدَّةَ فِيهِ عَيْنُكَ ، مِنْ شَكَاةٍ مَظْلُمَةٍ ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ
فِي مُعَامَلَةٍ .

البُخْرُ :

نهاه عن الاحتجاب ؛ فَإِنَّهُ مَعْطَنَةُ اسْعَوَاءِ الْأُمُورِ عَمَهُ ، وَإِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ دَخَلَ عَلَيْهِ
كُلُّ أَحَدٍ فَمَرَّفَ الْأَخْبَارَ ، وَلَمْ يَحْتَفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ كَمَلِهِ .

ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَحْتَفَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْتَضِرُونَ كَيْلًا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ الرُّقْدُ !
وَأَمَّا فَإِنْ كُنْتَ حَوَادِثَ تَمْتَحِنُ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى الْحِجَابِ دَايِعٌ ، وَإِنْ كُنْتَ مُمَكِّمًا فَسَيَعْلَمُ
النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ ، فَلَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ شَيْئًا .

ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَنْ أَكْثَرَ مَا يَسْأَلُ مِنْكَ مِمَّا مَوْوَدَّةٌ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ ؛ كَرَدِّ ظُلَامَةٍ أَوْ إِصْافٍ
مِنْ حَصْنٍ .

[ذَكَرَ الْحِجَابَ وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ وَالشَّعْرِ]

وَالْقَوْلُ فِي الْحِجَابِ كَثِيرٌ :

حَصْرَ بَابِ عَمْرٍَ حَمَاعَةً مِنَ الْأَشْرَافِ : مِنْهُمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ
ابْنُ حَابِسٍ ، فَحِصُّوا ، ثُمَّ خَرَجَ الْأَدْنُ فَنَادَى : ابْنَ عَمَارٍ ؟ ابْنَ سَلْمَانَ ؟ ابْنَ صُهَيْبٍ ؟

فأدخلهم قسمت^(١) وحوه انقوم ، فقال شهيل بن عمرو : لم تتمر وحوهم ! دعووا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم عدأ لهم^(٢) أحمد .
وأستاذن أبو سفيان على عثمان فحببه ، فقيل له : حصك ! فقال : لا عدت من أهلي
من إذا شاء حببني .

وحب معاوية أبا الدرداء ؟ فقيل لأبي الدرداء : حصك معاوية ! فقال : من يش
أبواب الملوك يهن ويكرم ، ومن صاوب باب متقا عليه وخذ إلى حابه بابا مفتوحا ،
إن سأل أعطى ، وإن دعا أجيب ، وإن يكن معاوية قد احتجب فرث معاوية
لم يحتجب .

وقال أروير لحاجبه : لا تصم شربا تصونه حجاب ، ولا ترف من وصيما سهولته ؟
صع الرجال مواضع أخطارهم ، فم كان قديم شرفه ثم اردعه^(٣) ولم يهدمه بعد آثاته
هدمه على شرفه الأول ، وحس رأيه الآخر ، ومن كان له شرف متقدم وم ينش ذلك
حياطة له ، ولم يردعه تنمبر الممارسة ، فألحق بآثاته من دفعة طاله بصصيه سابق شرفهم ،
والحق به في حاسته ما ألحق نفسه ، ولا تاذ به إلا ذريته وإلا سرارا ؛ ولا ملحقه بطيقة
الأولين . وإذا ورد كتاب عامل من ملى فلا تحسه على طرفة عين إلا أن أكون على
حال لا نستطيع الوصول إلى فيها ، وإذا أنك من يدعى الصيحة لنا فليكتبها سرا ثم
أدخله بعد أن تستأذن له ، حتى إذا كان متى بحيث أراه فادفع إلى كتابه ، فإن أحدثت
قبلت ، وإن كرهت رفضت . وإن أنك عام مشهر بالعلم والفصل يستأذن ، فاذن له ، فإن
العلم شريف وشريف صاحبه ، ولا تحجب عنى أحدا من أقبا اساس ، إذا أحدث مجلسي
مجلس العامة ، فإن الملك لا يحجب إلا عن ثلاث : عى يكره أن يطلع عليه منه ،
أو يحل يكره أن يدخل عليه من بسأله ، أو رية هو مصر عليها فيشع من إبدائها ،

(١) تمزت وجوههم : عبرت عبطا وحقا . (٢) ساقطة من د (٣) اردعه : أثبته .

ووقوف الناس عليها ، ولا بد أن يحيطوا بها عينا ، وإن اجتهد في سترها . وقد أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق فقال :

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابـه	ورد دوى الحاجات دون حجابـه
طننت به إحدى ثلاث ورثـا	رحت نظرت واقع نصوابـه
أقول به مس من العي ظاهر	ففي يده للناس إظهار ما بهـ
فإن لم يكن عي اللسان ضالـ	من النخل يحصى ماله عن طلالـه
وإن لم يكن لادا ولادا فربة	يكتصها مستورة ثيابـه

أقام عند العزيز بن ربيعة الكلبي على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يأتى له؛ ثم أتى له وعرته وأدامه ، ونظف محله عنده حتى ولأه مصر ، فكان يقال : استأذن أقوام لعند العزيز بن ربيعة ، ثم صار يستأذن لهم ، وقال في ذلك :

دحت على معاوية بن حرب	ولكن مديش من دحولـ
وما ملت النخول عليه حتى	حطت شملة الرجل الذليلـ
وأعصيت الحمور على قدامها	ولم أطر إلى قال وقيلـ
وأدركت أذى أملت به	وحرمان المني راد العجولـ

ويقال : إنه قال له لما دخل عليه أمير المؤمنين : دخلت إليك بالأمل ، وأختمت حموتك بالصبر ، ورأيت بك أقوام قد همم الحظ ، وآخرين أخرهم الحرمان ، فليس ينبغي للمقدم أن يأمن عواقب الأيام ، ولا للمؤخر أن يتيسر من عطف الزمان .

وأول المعركة الاحتار ، فابل واحتار بن رأيت . وكان يقال : لم يلزم باب السلطان أحد فصر على ذل الحجاب ، وكلام النواب ، وألقى الأنف ، وحل الضيم ، وأدام الملامة ، إلا وصل إلى حاجته أو إلى معظما .

قال عبد الملك لحاحه : إنك غيرُ أطرُها ، وحةٌ أسترُ بها ، وقد وليتكَ ما وراء
بابي ، فإذا تراك صامسا برعيتي ؟ قال : أطرُ إليهم نبيك ، وأحمدُهم على قدرِ منازلهم عندك ،
وأصمهم في إبطائهم عن بابك ، ولزومِ خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث وضعهم
ترتيبك ، وأحسن إبلاعهم عنك وإبلاعتك عنهم . قال : لقد وقيت بما عليك ، ولكن إن
صدقت ذلك فعليك . وقال دُعبل وقد حُجب عن باب مالك بن طوق :

لعمري لئن حجبني العبيدُ	لما حجتُ دولك القافية ^(١)
سأرى بها من وراء الحجابِ	شعاعاً تأتيسك بالذهابِ
نصيم السميع ، وتُسمى البصيرَ	ويُسال من مثلها القافية

وقال آخر :

سأرك هذا الباب مادام إدنه	على ما أرى حتى يلبس قبيلا
ها حاب من لم يأتَه مرقفاً	ولا فار من قد رام فيه دُحولا
إذا لم يحسد للإذن عندك موصفاً	وجَدَّنا إلى ترك الهوى سيلا

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف وكان وقد حججه :

وإن عدتُ بمد اليوم إني لعالمٌ	سأصرف وجهي حيث تبمى الكارمُ
متى يُصلح العادي إليك لحاحه	ويصعك محجوبٌ ، ويصمك نائمٌ

يسى ليله ونهاره .

استأذن رجلان على معاوية ، فآذن لأحدهما - وكان أشرف منزلةً من الآخر - ثم
آذن للآخر فدخل ، فجلس فوق الأول ، فقال معاوية : إن الله قد أكرمنا تأديبكم

(١) ديوانه ٢١٢ ، ونقلها عن ابن أبي الحديد (الشعب ١٩٦٢) .

كما أرمسار عاتكم ، وإنا لم نأخذ له قبض ، ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك ، فقم
لا أقام الله لك وزنا . وقال بشار :

تأبى حلائقُ خالدٍ وفما له إلا نجبَ كلِّ أمرٍ عائبٍ
وإذا أتينا البابَ وقتَ عدائه أدنى النداءِ لسارِعِ المحابِ
وقال آخر يهجو :

يا أميرا على حربٍ من الأَر صر له تسمَةً من الحجابِ
قاعد في الحرابِ بمنجى عتا ما تممنا محابٍ في حرابِ
وكتب بعضهم إلى حمزة بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب :
أبا حمزة إنَّ الولايةَ إنَّ تكُنْ مستلة فوسا فأت لها نزلُ
فلا ترتفع عتا لأمرٍ وليته كما لم يصمرَّ عدنا شأنك القزلُ
ومن حميد ما مدح به بشر بن مروان قول الغائل :

بعيدُ مراد الطرف ما رَدَّ طَرَفه حذار المولثي باب دارٍ ولا سِتْرُ
ولو شاءَ بِشْرُ كان من دونِ مائه طهاطُ سُودٍ أو صقاله ^(١) مُجرُ
ولكنَّ بِشرا يَستُر البابَ للثي يكون لها في عتِها الحمدُ والأحر
وقال بشار :

حليٌّ من كعبٍ أعيأ أحاكما على دهره إنَّ الكريمَ يمينُ
ولا تَخَلَّا بجلَّ ابنِ قرعةٍ إبه مخافة أن يرجي نداءَ حَرينُ
إذا جِسه للعُرفِ أعلق مائه فلم تَلقَه ، لا وأنتَ كَمينُ
فقل لأبي يحيى متى تُدرِكُ العلا وفي كلِّ معروفٍ عليك يمينُ !

وقال إبراهيم بن هرمة :

هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ سَاهُ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَذِّبُ الْحَدَلَمِ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ثُمَّ نَدَدَ أَيْهَمَا دَوَى الْأَرْحَامِ

وقال آخر :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي الْكَرِيمَ إِذَا آتَى عَلَى طَمَعٍ عَدِ اللَّثِيمِ يُطَالِهِ
وَأُرِي لَهُ مِنْ مَحَلِّسٍ عِنْدَ بَابِهِ كَرِهْتَنِي لِلطَّرَفِ وَالْمَلْجِ رَاكِهِ
وقال عبد الله بن محمد بن عيسى :

أَتَيْتُكَ رَاثِرًا لِنَصَاءِ حَقٍّ لِحَالِ السَّرِّ دُونَكَ وَالْحِجَابِ
وَرَأَيْتُ مَدْمَعًا عَنْ كُلِّ نَادٍ يَحَامِيهِ إِذَا عَرَى الدَّهَابِ
وَلَسْتُ نَسَاطِطِي فِي قَدْرِ قَوْمٍ وَبَنَ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الدَّهَابُ
وقال آخر :

مَا صَافَتْ الْأَرْضُ عَلَى رَاغِبٍ تَصُبُّ الرُّقَى وَلَا رَاهِبٍ
بَلْ صَافَتْ الْأَرْضُ عَلَى شَاعِرٍ أَصْحَحَ بِشَكْوَى حَمَوَةِ الْحَاحِبِ
قَدْ شَتَمَ الْحَاحِبَ فِي شِعْرِهِ وَنَمَّا يَقْصِدُ لِلصَّاحِبِ

الأسئل :

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي حَاسَةً وَبِطَانَةً ، فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَرَقْلَةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ،
فَأَحْسِنُ مَثْوَنَةَ أَوْلِيَاكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ نِكَاحِ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تَقْطَعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ
وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَنَّ مِنْكَ وَاعْتَصِدِ عَقْدَةً تَضُرُّ مَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي

شَرِبَ أَوْ عَمِلَ مُشْرَكٍ ، يَحْمِلُونَ مَوَدَّتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَرِمَهُ مِنْ أَقْرَبِ وَأَسْمَدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَحَوَاصِّكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتِغِ عَاقِبَتَهُ عَمَّا يَنْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَإِنَّ مَنَّةَ ذَلِكَ عَمُودَةٌ .

وَإِنْ طَلَبَ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيِّمًا ، فَاصْنَحْ لَهُمْ بِعَدْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ طُوبَاهُمْ بِاصْنَحَارِكَ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِعْدَارًا تَنْسُجُهُ خَاصَّةً مِنْ تَقْوِيَعِهِمْ عَلَى الْحَقِّ .



الْبَيْزُجُ .

مهاء عليه السلام عن أن يحمل أقاربه وحشيتته وحواصيه على رقاب الناس ، وأن يحكمهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإدلال ، ومهاء من أن يقطع أحداً منهم قطعة ، أو يملكه صبيحة تصرّعى يحاورها من السادة والدّهافين^(١) في شرب يتعلّون على اللهاء منه ، أو ضياع يُصيعونها إلى ما منكمهم يئنه ، وإعواء لهم من مؤنة ، أو حفر وعيره ، فيعميهم الولادة منه مرافقة لهم ، فيكون مؤنة ذلك الواجب عليهم قد أسقطت عنهم ، وحمل ثقلها على غيرهم .

ثم قال عليه السلام . لأنّ ممعة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك ، والورْد في الآخرة عليك ، والعيب والدم في الدنيا أيضاً لاحقان بك .

ثم قال له : إن اتهمتك الرعية بحميمٍ عليهم ، أو طست بك حوْراً ، فادكر لهم عدرك

(١) الدهافين : جمع دهقان ؛ وهو من ألقاب رؤساء الأعاجم .

في ذلك ، وما عندك ظاهراً غير مستور ، فإنه الأولى والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق .

وأصحرت بكذا ، أى كشفته ؛ مأخوذة من الإصحار ، وهو الخروج إلى الصحراء .
وحامة الرجل : أقربه وطاقته . واعتقدت عقدة ، أى أدخرت دحيرة . والمهناً مصدر
هنا كذا . ومنبئة الشيء : ما قبلته .
واعدل عنك ظنونهم : نحمها . والإعذار : إقامة المذر .

[طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وزايعته في خلافة]

ردَّ عمر بن عبد العزيز المطالم التي احتجبها^(١) بنو مروان فأبصره ودموه ؛ وقيل :
إنهم سمّوه هات .

وروى الزبير بن بكار في " الموقعتات " أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
دخل على أبيه يوماً وهو في قائلته ، فأيقظه . وقال له : ما يؤمنك أن تؤتى في منامك
وقد رُفِيت إليك مطالم لم تقض حقَّ الله فيها ! فقال : يا بني إن نفسي مطيئة إن لم أرفق بها
لم تبلّغني ، إني لو أنعبت نفسي وأعوانى لم يكن ذلك إلا قليلاً حتى أسقط ويسقطوا ،
وإني لأحتسب في نومي من الأجر مثل الذي احتسب في يقظتي ، إن الله حلّ ثناؤه
لو أراد أن ينزل القرآن جملةً لأنزله ، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر^(٢) الإيمان
في قلوبهم .

ثم قال : يا بني مما أنا فيه أمرٌ هو أهم إلى أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقبلهم
ما قبلهم ، فلو جمعت ذلك في يوم واحد خشيتُ انتشارهم عليّ ، ولكي أصف من الرجل

(١) يقال احتجب فلان الإثم ؛ كأنه حجه واحتجبه من خلفه . (٢) د : د استكثر .

والأثنين ، فيبلغ ذلك من وراءهما ، فيكون أنجع له ، فإن يُرد الله إتمام هذا الأمر أتمه ، وإن تكن الأخرى تحت عبدٍ أن يعظم الله منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

وروى خويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناديه : الصلاة جامعة ! فحشيت السجدة ، فإذا عمرُ على المنبر ، بحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإن هؤلاء - يمي حنفاء بني أمية صله - قد كانوا أعطونا عطايا ما كان يسمى لنا أن نأخذها منهم ، وما كان يسمى لهم أن يُعطوناها ، وإني قد رأيت الآن أنه ليس عليّ في ذلك دور الله حبيب ، وقد بدأتُ بنفسى والأقربين من أهل بيتي ، اقرأ يا مزاحم ، فحصل مزاحمُ يقرأ كتابا فيه الإقطاعات بالصباغ والتواحي ، ثم يأخذه عمرُ بيده فيقتطعه بالحلم^(١) ، لم يزل كذلك حتى جردى بالظهر .

وروى الثورات بن السائب : قال كان عند قاطمة بنت عبد الملك من مروان حوهر حليل ، وهنأ أبوها ، ولم يكن لأحد مثله ، وكانت تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي الخلافة قال لها : احتاري ؛ إما أن تردّي حوهرك وحليتك إلى بيت مال المسلمين ، وإما أن تأدني لي في فراشك ، فإني أكره أن أجمع أنا وأنتِ وهو في بيت واحد ، فقالت : بل أختارك عليه وعلى أصنافه لو كان لي ، وأمرت به فحمل إلى بيت المال ، فلما هلك عمر وأستخيف يريد ابن عبد الملك قال لقاطمة أخته : إن شئتِ رددته عيك ؛ قالت : فإني لا أشاء ذلك ، طستُ عنه نفسا في حياة عمر ، وأرجع فيه بعد موته ! لا والله أبدا . فلما رأى يزيد ذلك قسّمه بين ولده وأهله .

وروى سهيل بن يحيى المزورّي عن أبيه ، عن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما دفن سديانُ صبيد عمرُ على المنبر قال : إني قد خلعتُ ما في رقتي من بيعتكم . فصاح الناسُ صيحةً واحدة : قد أحترناك ، فزل ودخل وأمر بالاستور فهُتكت ،

والثياب التي كانت تُبسط للحلفاء فحُمِلَتْ إلى بيت المال ، ثم حُرق ونادى متاديه : مَنْ
كان له مظنةٌ من نبيد أو قريب من أمير المؤمنين فليحضر؛ فقام رجل دمي من أهل رخص
أيضُ الرأس واللحية ، فقال : أسألك كتابَ الله ! قال : ما شأنك ؟ قال : أعباسُ بن الوليد
ابن عبد الملك أعتصني صيغتي - والعباس حاس - فقال عمر : ما تقول يا عباس ؟ قال :
أقطعنيها أميرُ المؤمنين الوليد ، وكتب لي بها سحرًا . فقال عمر : ما تقول أنت أيها الدمي ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، أسألك كتابَ الله ! فقال عمر : أيها لعمري إن كتابَ الله لأحقُّ أن
يُسبَّح من كتاب الوليد ، اردد عليه يا عباس صيغته ، فحصل لا بدع شيئًا مما كان في أيدي
أهل بيته من الطامم إلا ردّها مَطْلِمةً مَضْمِمةً .

وروى ميمونٌ ومهران ، قال : بعث إلى عمرُ بن عبد العزيز وإلى مكحول وإلى قلاية
فقال : ما رآوكم في هذه الأموال التي أحدها أهلي من الناس طُلُمًا ؟ فقال مكحول قولاً
صحيحاً كرهه عمر ، فقال : أرى أن تستأنف وتدع ما مضى ، فطر إلى عمرُ كالسميث في ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحضر ولدك عندك لسطر ما يقول فحضر ، فقال : ما تقول
يا عبد الملك ؟ فقال : ماذا أقول ؟ ألسنتُ تعرف مواضعها ! قال : بلى والله ، قال : فارددوها ،
فإن لم تفعل كنتُ شريكاً لمن أخذها .

وروى ابن درستويه ، عن يعقوب بن سُفيان ، عن حويرة بن أسماء ، قال : كان بيد
عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة صيغته المروفة بالسهلة ، وكانت باليمامة . وكانت امرأة
عطيها لها عتقة عظيمة كثيرة ، إناعيشه وعيش أهلها منها ، فمّا وليَ الخلافة قال لمُراحم مولاة -
وكان فاضلاً - : إني قد عرمت أن اردد أسهنةً إلى بيت مال المسلمين ، فقال مُراحم : أتدري
كم ولدك ؟ إنهم كذا وكذا ، قال : فدرتُ عياله ، فحصل يستدمع ويمسح الدّمنة بأصبعه
الوسطى ، ويقول : أركلهم إلى الله ، أركلهم إلى الله ! فعصى مُراحم فدخل على عبد الملك
ابن عمر ، فقال له : ألا تعلم ما قد عزم عليه أولك ! إنه يريد أن يردّ السهلة ، قال : فافقتُ

له ؟ قال : ذكرتُ له ولداه فجعل يستدمع ويقول : أكرمهم إلى الله . فقال عبد الملك :
 بشى وزير الدين أنت ! ثم وثب واطلق إلى أبيه فقال للآذن : استأذن لى عليه ، فقال :
 إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة ، فقال : استأذن لى عليه ؟ فقال : أما ترجونه ! ليس له
 من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لى عليه لا أم لك ! فسمع عمرُ كلامهما ،
 فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل هال : على ماذا عرمت ؟ قال : أردتُ السهلة قال : فلا تؤخر
 ذلك قم الآن . قال : فحمل عمرُ يرفع يديه ويقول : الحمد لله الذى حمل لى من ذريتى من
 يعينى على أمر دينى . قال : نعم يا بنى أصلى الظهر ، ثم أصدد السر فأردتها علانية على
 رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن نمش إلى ظهر ! ثم من لك أن نسلّم منك إلى الظهر
 إن عشت إليها ! مقام عمر فعصد السر ، فخطب الناس ورد السهلة .



قال : وكتب عمرُ بن الوليد بن عبد الملك إلى عمرُ بن عبد العزيز لما أحسب من مروا
 ردّ المطالم كتاباً أعلط له فيه ، من محبة بركاتك أوردت على كل من كان قبلك من الخلفاء
 وعبتهم ، وسرت بغير سيرتهم بعضاً لهم وشأنا لن ندم من أولادهم ، وقطعت ما امر
 الله به أن يوصل ، وعمدت إلى أموال قريبى ومورثهم فأدخلتها بيت المال خوفاً وعدواناً ،
 فاتق الله يا بن عبد العزيز وراقبه ، فإنك خصصت أهل بيتك بالظلم والخور . ووالدى خص
 محمدًا صلى الله عليه وآله بما حصه به لقد أزددت من الله ثمناً بولايتك هذه التى رعت أئها
 عليك بلاء . فأقصر عن بعض ما صنعت ، وأعلم أنك بغير حبار عرير وفى قبضته ،
 ولن يتركك على ما أنت عليه .

قالوا : فكتب عمرُ جوابه : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وسوف أجيئك بنحو منه ،
 أما أول أمرك يا بن الوليد فإن أملك مائة أمة السكر ، كانت تطوف فى أسواق رحص ،
 وتدخل حوايتها ، ثم الله أعلم بها : اشتراها ديبان بن ديبان من قى المسلمين ، فأهداها

لأبيك ، محمات بك ، فبئس الحاملُ وشس المحمول ! ثم نشأت فكنت جئارا عنيدا . وترغم
أثر من الظالمين لأنى حرمتك وأهل بيتك في الله الذى هو حق القرابة والمساكين
والأرامل ! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سعيها على حمد المسلمين تحكّم
فيهم برأيك ، ولم يكن له في ذلك نية إلا حب الله ولده ، فويل لك وويل لأبيك ! ما أكثر
خصماءك يوم القيامة ! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الخجاج بن يوسف على
محتسى العرب ، يسبك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام . وإن أظلم منى وأترك لعهد
الله من استعمل قرة بن شريك ، أعراتيا حافيا على مصر ، وأخذ له في المعارف والخمر
والشرب واللهو . وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز ،
فيشد الأشعار على سر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن حمل للمالية بررية سهما في
الخنس ؛ فرويدا بن سانة ، ولو التفت حلقا لاطن^(١) وردا بنى إلى أهله ، لتعرفت
لك ولأهل بيتك فوصفتكم على المحجة البيضاء ، فطاما تركتم الحق ، وأحدثتم في مناسبات
الطريق ! ومن وراء هذا من الفصل ما أرحوئن أعيناه ، سمع دفتك ، وفهم ثمتك بين
الأرامل واليتامى والمساكين ، فإن لكل فيك حقا ، والسلام علينا ، ولا يدل سلام
الله الظالمين .

وروى الأوزاعي قال : لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان من قبله
يخرجونه عليهم من أرزاق الخاصة ، فتكلم في ذلك عتبة بن سعيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن لنا قرابة ، فقال : متى إن يسمع لكم ، وأما هذا انال خفكم فيه كحق رجل بأقصى
برك انعماد^(٢) ، ولا يسمع من أحده إلا بعد مكاه . والله إنى لأرى أن الأمور

(١) التفت حلقا لاطن : مثل يصرب بالأمر بغيره .

(٢) برك العباد : موضع بين مكة وريد .

تو أَسْتَحَالَتْ حَتَّى يُصْبِحَ أَهْلُ الْأَرْضِ بِرُؤْيِ مِثْلِ رَأْيِكُمْ لَعَلَّتْ بِهِمْ بَاقَةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

وَرَوَى الْأَوْدَاعِيُّ أَيْضًا ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ يَوْمًا وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَلَامُهُمْ أَعْضَبُهُ : إِنَّ اللَّهَ وَبَنِي أُمَيَّةَ يَوْمًا - أَوْ قَالَ : دِيحًا - وَابْنُ اللَّهِ لَنْ كَانَ ذَلِكَ الذَّبْحُ - أَوْ قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمُ - عَلَى يَدَيِ الْأَعْدِدِ اللَّهُ فِيهِمْ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَهُمْ ذَلِكَ كَفَّوْا ، وَكَانُوا يَعْتَمُونَ حَرَامَتَهُ ، وَبِهِ دَاوَقِعٌ فِي أَمْرٍ قَضَى فِيهِ .

وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ يَوْمًا لِحَاحِهِ : لَا تُدْجِنَنَّ عَلَى الْيَوْمِ إِلَّا مَرَّوَانِيَا . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ : يَا بَنِي مَرْوَانَ ، إِنَّكُمْ هَذَا عَظِيمٌ حَقًّا وَشَرَفًا وَأَمْوَالًا ، إِنِّي لَأَحْسِبُ شَطْرَ أَمْوَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ تُنْشِبَهَا فِي أَيْدِيكُمْ ، فَسَكَّتُوا ، فَقَالَ : أَلَا تُحْيِيُونِي ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : مَا بِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُتْرَعَ بِكُمْ ، فَارُدَّهَا إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَحْجَأَ مِنْ دُونِنَا وَأَحْسَادِنَا ، وَاللَّهِ لَا نُكْفِرُ أَسْلَافَنَا ، وَلَا نَقْعِرُ^(١) أَوْلَادَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ سَمِعْتُمُوهُ عَلَى عَنٍّ أَطْلَبُ هَذَا الْحَقَّ لَهُ لِأَصْرَعْتُ حُدُودَكُمْ أَفَرَمُوا عَنِّي .

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَرِيرِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمَرْوَانِيَّةِ فَمَنْبِهِمْ ، وَعِنْدَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا وَاللَّهِ نَكْرَهُ أَنْ نَسُبَ آبَاءَنَا ، وَنَتَصَعَّ شَرَفَنَا ؛ فَقَالَ عُمَرُ : وَآيَ عَيْبٍ أَعْيَبُ مِنْ عَائَةِ الْقُرْآنِ ؟

وَرَوَى ثَوْفَلُ بْنُ الْمُرَاتِ ، قَالَ : شَكََا بَنُو مَرْوَانَ إِلَى عَائِكَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَمْرًا ، فَقَالُوا : إِنَّهُ يَعْيبُ أَسْلَافَنَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَنَا ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ - وَكَانَتْ عَظِيمَةً عِنْدَ بَنِي مَرْوَانَ - فَقَالَ لَهَا : يَا عَمَّةُ ، إِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبِضَ وَتَرَكَ

الناس على شهر مؤزود ، فولى ذلك الشهر بعده رجلا لم يستحسأ أقسمها وأهلها منه بشيء ، ثم وليه ثالث فكري منه سافية ، ثم لم تزل الناس يكرؤون منه السواق حتى تركوه يادسا لا فطرة فيه ، وأبى الله أن أبغى الله لأسكرك^(١) تلك السواق حتى أعيد الشهر إلى محراء الأول ؛ قالت : فلا يستبون دأ عبدك ! قال : ومن يستهم ! إنما يرفع الرجل مطلقته فأردّها عليه .

وروى عبد الله بن محمد التيمي ، قال : كان من أمة يبرلون منك ست مروان بن الحكم على أبواب قصورهم ، وكانت حبيبة لجميع عديم ، فعما ولي عمر قال : لا يسلي برأها أحد عري ، فأدخلوها على دانتها إلى باب قنته ، فأتركها ، ثم طس لها وسادتين ، إحداهما على الأخرى ، ثم أتاها يمارحها - ولم يكن من شأنه ولا من شأنها المراح - فقال : أما رأيت الحرس الذين على الباب ؟ قالت : بلى ، ورتما رأيتهم عديم هو خير منك ! فلما رأى العصف لا تتحلل عنها ترك المزاج وسأها أن تذكر حاجتها ، فقالت : إن قرأتك يشكو بك ، ويرعمون أنك أخذت منهم خير عرك ، قال : ما منعهم شئ هو لهم ، ولا أحدث منهم حقاً يستحقوه ! قالت : أني أحس أن يهيجوا عليك يوماً عصيا^(٢) ، وقال : كل يوم أحافه - دون يوم القيامة - فلا وفاني الله شره . ثم دعا بديار وعجوة وحلده فأتى الديار في النار ، وحمل يسمع حتى أحمر ، ثم تناول به شيء فأخرج فوضعه على الحلاله ، فمش وفتر ، فقال : يا عممة ، أما تأوين لابن أخيك ، من مثل هذا ، فقامت فخرحت إلى ابني مروان فقالت : تروحو في آل عمر بن الخطاب ، فإذا ترعوا إلى الشمة^(٣) حزعتم ! اصبروا له .

وروى وهيب بن الورد ، قال : اجتمع من مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، فقالوا لولده له : قل لأبيك يادن لنا ، فإن لم يادن فأبلغ إليه عتاً وسالة ، فلم يأذن لهم ، وقال :

(١) سكر الساقية : سبعا . (٢) د : « أن يهيجوا عليك عصا يوما » .

(٣) كذا في د ، وفي أ ، ب « السنة » .

فليقولوا ، فقالوا : قل له : إن من كان قبلك من ائمة كان يعطينا ، ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرّمنا ما في يديه . فدّخل إلى أبيه فأبلغه عنهم ، فقال : اخرج فقل لهم : إني أخف إن عصيتُ ربّي عذاب يوم عظيم .

وروى سعيدُ بنُ عَمْرٍو ، عن أسماء بنت عبيد ، قال : دخل عتبة بنُ سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منتدأها ، ولي عيال وصبيحة ، فأدب لي أخرج إلى صيمى ، وما يصلح عيالي ! فقال عمر : إن أحسبكم إلينا من كمانا مؤوته . فخرج عتبة ، فلما صار إلى الباب ناداه : أباحلدا ! أباحلدا ! مرجع فعال . أكثر ذكر الموت من كس في صيق من العيش وسعة عليك ، وإن كس في سعة من العيش ضيقه عليك .

وروى عمرُ بنُ عليّ بن مقدم ، قال : قال ابنُ سُلَيْمان بن عبد الملك لمُراحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ؛ قال : فاستأذنت له ، فأدخله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجدت قطيعة ؟ قال : معاذ الله أن آخذ قطيعة مني في الإسلام ! قال : فهذا كتابي بها . وأخرج كتابا من كفه . فقرأ عمر وقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : كانت للمسلمين ، قال : فاسلموا أولي بها . قال : فردد عليّ كتابي ؛ قال : إنك لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما إذ حثتني به فليست أدعك تطلب به ما ليس لك بحق . فبكى ابن سُلَيْمان ، فقال مُراحم : يا أمير المؤمنين ، ابنُ سُلَيْمان تصع به هذا . قال : وذلك لأن سُلَيْمان عهد إلى عمر ، وقدمه على إخوته . فقال عمر : وبُحك بمُراحم ! إنّي لأحد له من اللوط^(١) ما أرشد لوُلدي ، ولكنها نفس أحادلُ عنها .

وروى الأوزاعي ، قال : قال هشام بن عبد الملك ، وسعيد بن خالد بن عمر بن عثمان

(١) و اللسان : « قد لاطحه خفي ، أي صق ، وفي حديث أبي الحثرى . ما أُرغم أن عسا أقص من ابن بكر وعمر ؛ ولكن أحد له من اللوط ما لأحد لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم » .

ابن عفان لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، استأير العمل برأيك فيما تحت يدك ، وخل بين من سبقك وبين ما ولّوه عليهم كان ، أولهم ، فإنك مستكف أن تدخل في خير ذلك وشره . قال : أشد كما الله الذي إليه تمودان ، لو أن رجلا هلك وترك بين أصغر وأكبر ، ففزع الأكار الأصار بقوتهم ، فأكبر أموالهم ، ثم بلغ الأصغر الحلم فجاء وكأ بهم وبما صنعوا في أموالهم ما كننا صابرين ؟ ولا : كما ردّ عليهم حقوقهم حتى يستوفوها . قال : فإني وجدت كثيرا ممن كان قسلي من بؤلاء عزّ أساس سلطانه وقوته ، وآثر بأموالهم أتباعه وأهله ورهطه وخاصته ، وما نيت أنوي بذلك ، فلم يسئني إلا الرد على الضعيف من القوى ، وعلى الأدنى من الشريف . فعلا : بوفق الله أمر المؤمنين .

الأضلل

وَلَا تَدْفِنْ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ قَبْلَ رِصَاةٍ مِنْهُ وَالصُّلْحُ دَعَا لِيُجُودِكَ ، وَرَاحَةٌ مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمَّا لِيَلَدِكَ ، وَلَا يَكُنْ أَنْجَدَ كُلِّ أَنْجَدٍ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَعَمَّلَ . فَعَدِّ بِالْحَرَمِ ، وَأَتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَهْدًا ، أَوْ أَلَسْتَهُ مِنْكَ دِمَّةً ، فَحُطَّ عَهْدُهُ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ دِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ .

وَاحْمِلْ نَفْسَكَ حُجَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ قَرَائِصِ اللَّهِ شَيْءٌ ، النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ احْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَشَتُّ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِأَهْوَاؤِهِمْ ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ مُسْلِمِينَ ؛ يَمَّا اسْتَوْتَلَوْا مِنْ عَوَاقِبِ الْعَدْرِ ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِدِمَّتِكَ ، وَلَا تَحْيِسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلَا تَحْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَقَدْ حَمَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِمَّتَهُ أَمَّا أَفْصَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ،

وَحَرَبًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيزُونَ إِلَى حَوَارِيهِ ، فَلَا إِذْعَالَ وَلَا مَدَالَسَةَ وَلَا حِدَاعَ فِيهِ .

وَلَا تَعْقِدُهُ عَقْدًا تَحَوَّرَ فِيهِ الْعِلَلُ ، وَلَا تَمَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ نَمَذَالَتًا كِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ صِيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِصَاحِهِ بِفَيْزِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى صِيْقِ أَمْرٍ تَرَّخُوْهُ انْفِرَاجُهُ وَقَعْلُ حَاقِقَتِهِ ، حَزْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَاوُ تَعَمُّهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنْ اللَّهِ طِلْسَةٌ لَا تَسْقِطُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتُكَ .

البُرْخُ :

أَمْرُهُ أَنْ يَقْبَلَ السُّمَّ وَالصَّلَحَ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ دَعَاةِ الْحَمْدِ ، وَالرَّاحَةِ مِنَ الْهَمِّ ، وَالْأَمْنِ لِلْإِلَادِ ، وَلِسَكْنِ يَمْنَى أَنْ يَحْتَدِرَ لَعْدُ الصَّلَحِ مِنْ عَائِلَةِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ ، فَإِنَّهُ رَمَا قَارِبَ الصَّلَحِ لِيَتَمَعَّلَ ، أَيْ يَطْلُبَ عَمَلَتِكَ ، نَحْدَ مَا لَحَزَمَ ، وَأَتَاهُمْ حُسْنُ طَبْعِكَ ، لَا تَشَقُّ وَلَا تَسْكُنُ إِلَى حُسْنِ طَبْعِكَ بِالْعَدُوِّ ، وَكُنْ كَالطَّائِرِ الْحَدِيرِ .

ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْوَفَاءِ بِالْجُودِ ، قَالَ : وَاحِدٌ مِنْكَ حَتَّى دُونَ مَا أُعْطِيتَ ، أَيْ وَلَوْ دَهَبَتْ نَفْسُكَ فَلَا تَقْدِرُ .

وَقَالَ الرَّائِدِيُّ : النَّاسُ مُبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ مُبْتَدَأُ ثَانٍ ، وَمِنْ تَعْلِيمِ الْوَفَاءِ خَبْرُهُ ، وَهَذَا الْمُبْتَدَأُ الثَّانِي مَعَ حَبْرِهِ مُبْتَدَأُ الْأَوَّلِ ، وَمَعْرُوفُ الْجَمْعَةِ نَصْبُ لَأَيِّهَا حَبْرٌ لَيْسَ ، وَمَحَلٌّ لَيْسَ مَعَ اسْمِهِ وَخَبْرُهُ رَفْعٌ ، لِأَنَّهُ حَبْرٌ ، فَإِنَّهُ وَثِيٌّ اسْمٌ لَيْسَ ، وَمِنْ مَرَاتِبِ اللَّهِ حَالٌ ، وَلَوْ تَأَخَّرَ لَكَانَ صِفَةً لَشَيْءٍ . وَالصَّوَابُ أَنَّ « لَشَيْءٍ » اسْمٌ لَيْسَ ، وَجَارِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ سَكْرَةً لِاعْتِمَادِهِ عَلَى السُّمِّ ، وَلِأَنَّ الْحَارَةَ وَالْمَحْرُورَ قَدْ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَالصَّنَةِ ، فَتَحْصُنُ بِذَلِكَ وَقُرْبَ مِنَ الْعَرَةِ ، وَالنَّاسُ : مُبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ : حَبْرُهُ ، وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْ مُبْتَدَأٍ

وحبر في موضع رَفَع لآنها صفة « شيء » وأما خبر المبتدأ الذي هو « شيء » محذوف ، وتقديره « في الوجود » كما حذف الخبر في قولنا : لا إله إلا الله ، أي في الوجود . وليس يصح ما قال الراوندي من أن « أشد » مستداً ثان ، و « من تعظيم الوفاء » خبره ، لأن حرف الجر إذا كان حرفاً للمبتدأ تعلق بمحذوف ، وهما هنا هو متعلق بأشد نفسه ، فكيف يكون خبراً عنه ! وأيضاً فإنه لا يجوز أن تكون أشد من تعظيم الوفاء خبراً عن الناس ، كما رعم الراوندي ، لأن ذلك كلام غير مفيد ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تحبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذي هو « الساس » لم يبق من ذلك صورة محصلة تفيدك شيئاً ، بل يكون كلاماً مضطرباً !

ويمكن أيضاً أن يكون « من فرائض الله » في موضع رفع ، لأنه خبر المبتدأ ، وقد قدم عليه ، ويكون موضع « اساس » وما بعده رفع ، لأنه خبر المبتدأ الذي هو « شيء » كما قلناه أولاً ، وليس تمتع أيضاً أن يكون « من فرائض الله » منصوب الموضع ، لأنه حال ، ويكون موضع « الساس أشد » رهما ، لأنه خبر المبتدأ ، الذي هو « شيء » .

ثم قال له عليه السلام : وقد زعم المشركون مع شريكهم الوفاء بالعهود ، وصار ذلك لهم شريعة وبينهم مئة ، فالإسلام أولى بالبروم والوفاء .

واستولوا ؛ وحدوه وريلا ، أي ثعباناً ، استولب اللد ، أي استولحت حته واستغفلته ، ولم يوافق مراجك .

ولا تحسبن بعهدك ، أي لا تقودن ، حاس فلا بد بدمته ، أي عذر وسكت .
قوله : « ولا تحتلن عدوك » ، أي لا تمكرن به ، حنته ، أي حديثه .

وقوله : « أوصاه بين عساده » ، جمعته مشركاً بينهم ، لا يختص به فريق دون

فريق .

قال : « ويستفيضون إلى حوارهم » ، أى ينتشرون في طلب حاجتهم ومآربهم ، ساكنين إلى حوارهم ، وإلى ما هنا متعلقة بمحذوف مقدر ، كقولهم تعالى : ﴿ فِي سَبْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ ^(١) ، أى مرملا . قال : « فلا إدغال » ، أى لا إفساد ، والدَّعَل : الفساد . ولا مُدَالَسَة ، أى لا حديعة ، يقال : فلان لا يؤاس ولا يُدالس ، أى لا يهادع ولا يخون ، وأصل الدَّالَس الطلعة ، والتدليس في التبع : كتمان عيب السلعة عن المشتري .

ثم نهاء عن أن يمتدَّ عقدا يمكن فيه استاويلات والعلل وطلب المخارج . ونهاء إذا عقد العقد بينه وبين العدو أن يقرضه موقفا على تأويل حتى أو يطوى قول ، أو يقول : إنما عيت كذا ؛ ولم أعظ ظاهر النصبة ؛ فإن العقود إنما تُعقد على ما هو ظاهر في الاستعمال متداول في الاصطلاح والعرف لا على ما في الباطن .
وروى « امساحه » بالخاء المهملة ، أى سمته .

[فصل فيما جاء في الخبر من كيد العدو]

قد جاء في الخبر من كيد العدو والنهي عن التعريط في الرأي السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيرة ، وكذا في النهي عن المذار والنهي عن طلب تأويلات اليهود وفسخها بغير الحق .
وربط عبد الله بن طاهر في أيام أبيه في أمر أشرف فيه على العطب ، وبما بعد لآي ^(٢) فكتب إليه أبوه : أنا في يا بُني من حر تعريطك ما كان أكر عدى من سيك لو وُرد ، لأنى لم أرجُ قط ألا تموت . وقد كنت أرحو ألا تقتصح ترك الحرم والنيق .
وروى ابن الكلبي أن عيسى بن رهبير لما قتل حديفة بن بدر ومن معه بحفر الهباءة ،

(٢) بعد لآي ؛ بعد جهد .

(١) سورة النمل ١٢ .

خرج حتى لحق بالسَّير بن قاسط وقال : لا تضرُّ في وجهي عظمانيَّةٌ بعد اليوم ؛ فقال :
يا معاشرَ السَّير ، أما قيس بن رهبير ، عريبٌ حريصٌ طريدٌ شريدٌ موتورٌ ، فأطروا لي
امرأةً قد أدبها اليمى وأدلتها العتر . فزوجوه باصراةٍ منهم ، فقال لهم : إني لا أقيم فيكم
حتى أُحِبَّكم بحُلاقي ، أنا محورٌ عيورٌ أيب ، ولستُ أحرُّ حتى أُبتلى ، ولا أَعُدُّ حتى أَرى ،
ولا آتُ حتى أُظلم . فرضوا أحلاقه ، فأقم فيهم حتى وُبدله ، ثم أراد أن يتحولَ عنهم ،
فقال : يا معاشرَ السَّير ، إنَّ لكم حَقًّا على من مُصَهَّرني فيكم ، ومُتَّعاني بين أظهركم ،
وإني موصيتكم بحصاليِّ أمرُكم هب ، وأماكم عن حصاليِّ : عليكم بالأنانة فإنَّ بها تُدرَكُ
الحاجة ، ونال الفُرصة ، ونسويد من لا تمانون بتسويده ، والوفاء باليهود فإنَّ به
يعيشُ الناس ، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل الإتمام ،
وإحارة المار على الدهر ، وسفير السيوف عن ممدرك الأيامي ، وحلُّط العثيف باليسال .
وأماكم عن العذر ، فإنه عارُ الدهر ، وعن الرَّماء فإنَّ به نَكِلْتُ ما لكأ أحى ، وعن
البنى فإنَّ به صُرِّع رهيضٌ أبنى ، وعن الشَّرَف في الدِّماء ؛ فإنَّ قتلَ أهلِّ الحماة أوردني
العار . ولا تُعطُوا في الفُصول فتعجزُوا عن الحُفوق ، وأسكجُوا الأيامي الأَكفاء فإنَّ
م تصيخوا من الأَكفاء خبزُ بيوتهم الصَّور . وأعلموا أنَّ أسحفتُ طالما ومطلوما ، ظلمني
بأنَّه يذرُّ بقتلهم مالكا ، وطلعتهم بقتلي مَنْ لا دَبَّ له . ثمَّ رحل عنهم إلى عمار^(١) فتتصرَّ
سها ، وعَفَّ عن أكل حتى أكل الحُطَّطَ بنى أن مات .

الأصل :

إِنَّكَ وَالِدُ الدِّمَاءِ وَسَفَكُهَا يَغْيِرُ حِلَّهَا . وَبِهِ يَبْسُ شَيْءٌ أَدْعَى لِقَعَةٍ ؛ وَلَا أُعْظَمُ

(١) عمار : اسم وادٍ سجد .

لِتَبْمَةِ ، وَلَا أُخْرَى بِرَوَالِ نِعْمَةٍ ؛ وَ نَقِطَعُ مُدَّةً ، مِنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ،
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعَمْدِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفَكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ دَنِكَ رَحْمًا يُصِغُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ
وَيَنْقُلُهُ .

وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ، لِأَنَّ رِيسَ قَوَدِ الْبَدَنِ ،
وَإِنْ أَتَيْتَ بِخَطَا ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْصُتٌ أَوْ يَدَأَتْ بِالْمَقُوتَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْرِ
فَمَا فَوْقَهُ مَقْتَلَةٌ ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدَّى إِلَى أَوْلِيَةِ الْمُقْتُولِ
حَقَّهُمْ .



البَنْرُخُ :

قد ذكرنا في وصية فبس بن زهير آتفا النعمي عن الإبرار في الدماء ، وتلك وصية
مبينة على شريعة الجاهلية مع حثتها وسبأ أسكها على القتل واستال ، ووصية أمير المؤمنين
عليه السلام مبينة على الشريعة الإسلامية ، وانتهى عن القتل والمُدُولِ الَّذِي لَا يُسِغُهُ
الدين ، وقد ورد في الخبر المرفوع : « إِنْ أَوْزَ مَا يَقْصِي اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْعَادِ أَمْرُ
الدِّمَاءِ » . قال : إنه ليس شيء أدعى إلى حلول النعم ، وروال النعم ، وأنتقل الدُّول ، من
سَفَكِ الدَّمِ الْحَرَامِ ، وَإِنْ طَلَبْتَ أَمَّا تَقَوَّى سُلْطَانَكَ بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَنْتَ ،
بَلْ تَصْغُهُ ، بَلْ تُعَدِّمُهُ بِالْكَلِيَّةِ .

ثم عرّفه أَنَّ قَتْلَ الْعَمْدِ يُوْحِبُ الْقَوْدَ وَقَدْ لَه : « قَوْدُ الْبَدَنِ » أَيِ يَحِبُّ عَلَيْكَ هَدْمُ
صُورَتِكَ كَمَا هَدِمْتَ صُورَةَ الْمُقْتُولِ ، وَالْمُرَادُ بِرَهَائِهِ هَهُدِ اللَّفْظَةُ أَنَّهَا أُلْبَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ :
« فَإِنَّ فِيهِ الْقَوْدَ » .

ثم قال : إِنْ قَتَلْتَ خَطَأً أَوْ شِئَهُ عَمْدٍ كَأَصْرَبِ السُّوْطِ فَعَلَيْكَ الدِّيَّةُ . وقد اختلف

الفتياء في هذه المسألة ، فقال أبو حسيمة وأصحابه : القتل على حجة أوجه : عمد ، وشبه عمد ، وخطأ ، وما أحرى بحري الخطأ ، وقتل بسبب .

فالعمد : ما تعتمد به ضرب الإنسان بسلاح ، أو ما بحري بحري السلاح ، كالحمد من الحشيش وريطة^(١) القصب ، والرؤوة^(٢) محدة ، والمار ؛ وموجب ذلك المأثم والقود إلا أن ينفو الأولياء ، ولا كفارة فيه .

وشبه العمد أن يعتمد انصرب بما ليس بسلاح ، ولا أحرى بحري السلاح ، كالخحر العظيم ، والحنشة المطيعة ، وموجب ذلك المأثم والكفارة ، ولا هود فيه ، وفيه الذية معلقة على العاقلة .

والخطأ على وجهين : خطأ في القصد ، وهو أن يرى شخصاً يخطئه متيداً ، فإذا هو آدي . وخطأ في العمل ، وهو أن يرى عرفاً فيصيب آدمياً ، وموجب السوءين حملاً الكفارة والذية على العاقلة ، ولا مأثم فيه .

وما أجرى بحري الخطأ مثل النائم يتنقب على راحل فيقتله ، فحكمه حكم الخطأ . وأما القتل بسب ، مخاف البئر وواضع الخحر في غير ملكه ، وموجب إذا تلف فيه إنسان الذية على العاقلة ، ولا كفارة فيه .

فهذا قول أني حنيفة ومن تأنه ؛ وقد سمعته صاحبه أبو يوسف ومحمد في شبه العمد ، وقالوا : إذا ضرب به بحجر عظيم أو حشيشة عليقة فهو عمد ، قال : وشبه العمد أن يعتمد ضربه بما لا يقتل به غالباً ، كالعصا الصغيرة ، واسطوط ؛ وبهذا القول قال الشافعي .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أن المؤذب من الولاة إذا تلف تحت

(١) اللط : قشر القصب اللارق به .

(٢) الرؤوة . حجر أبيض براق ؛ وفي الحديث ، دقن به عدي بن حاتم : إذا أصاب أحداً فاصداً وليس معه سكين ، أبدخ بالرؤوة وشقه العما .

يده إنسان في التأديب فليبه الدية ، وقال لى قوم من فقهاء الإمامية : إن مذهبنا أن لا دية عليه ، وهو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام

الأصل :

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَاشْفَعْ بِإِيْمَانِكَ مِنْهَا ، وَحُبِّ الْإِطْرَاءِ ، فَهَرُّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ مَوْصِلِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ ، لِيَمْتَحِنَ مَا نَكُونُ مِنْ إِخْسَارِ الْمُحْسِنِينَ .
وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى دَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانٍ ؛ أَوْ لَرْتَدِّ رِيْمًا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ نَعِدَهُمْ ، فَتَنْسَحَ مَوْعِدُكَ بِحُلْمِكَ ، فَإِنَّ نَمْنَ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالرَّيْثُ يَذْهَبُ بِسُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُفَّ يُوْحِشُ الْمَفْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُحْحَانَهُ وَتَعَالَى :
(كَرَّ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١) .

وَإِيَّاكَ وَالْمَحَلَّةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَائِهَا ، أَوْ التَّنَافُضَ فِيهَا عِنْدَ إِنْكَارِهَا ، أَوْ اللَّحَاحَةَ فِيهَا إِذَا تَكَرَّرَتْ ، أَوْ الْوَهْنَ عِنْدَ إِذَا اسْتَوْصَحَتْ ، فَصَحَّ كُلُّ أَمْرٍ مَوْضِعُهُ ، وَأُذِنَ كُلُّ عَمَلٍ مَوْفِقُهُ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ عَنِ النَّاسِ فِيهِ أَسْوَةٌ ، وَالتَّمَرُّقَ عَمَّا نَفَى بِهِ رِيْمًا فَدُ وُصِحَ لِلْيُيُورِ ، فَإِنَّهُ مَا أُخُوذُ مِنْكَ لِعَيْرِكَ ، وَهَمَّا قَبِيلٌ تَكْشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةَ الْأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ .

أَمْلِكْ حِمِيَّةَ أُنْفِكَ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَعَرَبَ لِسَانِكَ ، وَاحْتِرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ نَكَمَ الْمَدِيرَةِ ، وَتَأْخِيرَ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ عَصْكَ ، فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ . وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِدِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَتِّكَ .

(١) سورة الصب ٣ .

وَالوَاحِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى مِنْ قَدَمِكَ ، مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَصِيلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيصَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ بِمَا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَحْتَمِدَ لِنَفْسِكَ فِي انْتِاعِ مَا عَمِدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْفَقْتُ بِهِ مِنْ الْحُكْمَةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

البُيُوتُ :

قد اشتمل هذا الفصل على وصايا بحسن شرحوها ، منها قوله عليه السلام . « يَاكَ وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ عَمَلِكَ ، وَالثِّقَةُ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا » ؛ قد ورد في الخبر : « ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ : شَيْخٌ مُطَاعٌ ، وَهُوَ مُتَّعٍ ، وَاعْتَابَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ » ؛ وفي الخبر أيضا : « لَا وَحْشَةَ أَشَدَّ مِنَ الْمُحِبِّ » ، وفي الخبر : « النَّاسُ لَأَدَمَ ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، فَا لِبْنُ آدَمَ وَالْمُحَرِّ وَالْمُحِبِّ ! » . وفي الخبر : « الْجَارُ ثَوْتُهُ حَيْلَاءٌ لَا يَسْطُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ؛ وفي الخبر : « وَقَدْ رَأَى أَمَا دُجَانَةً يَلْبَخَّرُ : « إِنَّهَا لِمِشِيَّةٌ يُنْصَبُهَا اللَّهُ إِلَّا بَيْنَ الصَّقَيْنِ » .

ومنها قوله : « وَحُبُّ الْإِطْرَاءِ » ، نَظَرَ أَسْمُوعُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى الْقَاسِمِ السُّوشَعَانِيِّ التَّكْمِي ، فَجَعَلَ يَصْدَقُهُ وَيُطْرِيهِ وَيُسْتَحْسِنُ قَوْلَهُ ، فَقَالَ لَأَسْمُونُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَرَأَيْكَ تَقَادُّ إِلَى مَا نَطَرْتُ أَنَّهُ يَسْرَتُنِي قَبْلَ وَجُوبِ الْحُجَّةِ لِي عَلَيْكَ ، وَنُطْرِي بِمَا لَسْتُ أَحْتِ أَنْ أُطْرِيَ بِهِ ، وَتَسْتَخْدِي لِي فِي الْقَامِ الَّذِي يَبْغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ مُقَاوِمًا لِي ، وَبَحْتَجًا عَلَيَّ ، وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَقْبِرَ الْأُمُورَ بِفَصْلِ بَيَانٍ ، وَطُولِ لِسَانٍ ، وَأَعْتَصِبَ الْحَقَّ بِقُوَّةِ الْخِلَافَةِ ، وَأَسْهَ الرِّيَاسَةِ لَصَدَّقْتُ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ، وَصَدَّقْتُ وَإِنْ كُنْتُ حَاطِرًا ، وَصَوَّرْتُ وَإِنْ كُنْتُ مُخْطِئًا ،

لكنى لا أرضى إلا بملبة الحجة ، ودفع الشبهة ، وإن انتصر الملوك عقلاً ، واستخفهم رأياً ،
من رضى بقولهم : صدق الأمير .

وأثنى رجل على رجل ، فقال : الحمد لله الذى سترنى عنك . وكان بعض الصالحين
يقول إذا أطراه إنسان : ليسالك^(١) الله عن حسن طبعك .

ومنها قوله : « وإياك والآن » ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْطَلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى ﴾^(٢) . وكان يقال : لمن محبة للنفس ، مفسدة للصنع .

ومنها بهيه يباه عن التريدى عمله ، قال عليه السلام : إياه يذهب بتور الحق ، وذلك
لأنه محض الكذب ، مثل أن يسدى ثلاثة أحرار من الجليل فيدعى فى المجالس والمهافل
أنه أسدى عشرة ، وإذا حاط الحق الكذب أدهم بوزره .

ومنها بهيه إياه عن حلف الوعد^(٣) قد منح الله نبياً من الأنبياء وهو إسماعيل بن
إبراهيم عليه السلام بصدق الوعد . وكان يقال : وعد الكرم نقد وتمجيل ، ووعد اللئيم
مطل وتمطيل . وكتب بعض الكتاب : وحق لمن أهرى بقول ، أنت يُشمر بفعل .
وقال أبو مقاتل الصرير : قلت لأعرابي : قد أكثر الناس فى المواعيد ؛ فما قولك فيها ؟
فقال : بشئ ، الوعد مشغلة للقلب الفارغ ، متعبة للبدن الحافض ، خيرة غائب ، وشره
حاضر . وفى الحديث المرفوع : « غدة المؤمن كاحد باليد » ، فما أمير المؤمنين عليه السلام
فقال : « إياه يوجب القت » ، واستشهد عليه بالآية . والمقت : النقص .

ومنها بهيه عن المعجلة ؛ وكان يقال : أصاب متنبت أو كاد ، وأحطأ عجلاً أو كاد . وفى
المثل : « رب عجلة تهب ريثاً » ، ودعها الله تعالى فقل : ﴿ حَقِّقْ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَجَلٍ ﴾^(٤) .

ومنها نهيه عن التساخط في الشيء الممكن عند حصوره ، وهذا عبارة عن النهي عن الخرص والجشع ، قال الشعري :

وإنْ مَدَّتْ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ أعجَبِهِمْ إذْ أخشعُ القومِ أَعْجَلُ
ومنها نهيه عن اللحاح في الحاجة إذا تضررت ، كان يقال : من لاحت له حاجة فقد حصدته حصيا ، ومن كان الله حصمه فهو محصوم ، قال القرني :

دُفِئَ صِياوِيَّةٌ تَحْرِي على قَدَرٍ لا تُفِيدُهَا رَأْيُكَ مَعْكُوسِ
ومنها نهيه له عن الوهن فيها إذا استوصحت ، أي وصحت واستكثت ، ويروى :
« واستوصحت » فعل ما لم يسم فاعله ، ويوهن فيها إهابها وترك استهارة الفرصة فيها ،
قال الشاعر :

إذا أمكتْ قادِرٌ إليها حذرا من تَعَدُّرِ الإمكانِ

ومنها نهيه عن الاستنثار ، وهذا هو الخلق الشوي ، عيم رسول صلى الله عليه وآله عنائهم خير ، وكاب ميل ، الأرض سما ، فمراك داحلته وسار تبعه الناس يطلون القنائم وقسمها ، وهو ساكت لا يكلمهم ، وقد أكثروا عليه إلحاحا وسؤالا ، ثم شجرة سقطت^(١) رداه ، قالت فقال : ردوا على ردائي ، فلو ملكك عدد دمل بهامة معها لقسمته بينكم من آخره ثم لا تحبوسي محبلا ولا جانا ، ورتل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله ، لم يأخذ لنفسه منه وبرة .

ومنها نهيه له عن التعابي ، وصورة ذلك أن الأمير يوتى إليه أن فلانا من خاصته يعمل كذا ، ويفعل كذا من الأمور المفكرة ويرتكبها سرا ، فيتعابى عنه ويتغافل ، نهاه عليه السلام عن ذلك وقال : إنك مأخوذ منك لعيرك ، أي معاقب ؛ تقول : اللهم حذلي من فلان بحقي ، أي اللهم انتقم لي منه .

ومنها نهيه إتياء عن العصب ، وعن الحكم بما تقتضيه قوته النضبية حتى يسكن غصبه ، قد جاء في البحر المرفوع : « لا يقضى القاضي وهو غصبان » ، فإذا كان قد نهى أن يقضى القاضي وهو غصبان على غير صاحب الحصومة ، فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطور على إنسان وهو غصبان عليه .

وكان لكسرى أوشروان صاحب قدرته ونسبه لهذا المعنى يقف على رأس الملك يوم جلوسه ، فإذا غصب على إنسان وأمر به فرّعه سلسلة تاحه بتصيب في يده وقال له : إنما أنت نثر ، فارحم من في الأرض برحمتك من في السماء .

الأصل :

ومن هذا العهد وهو آخره :

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَمَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوقِعَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ ، مِنْ الْإِقَامَةِ عَلَى سُدُورِ الْوَاصِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ ، وَحَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْأَسْلَادِ ، وَتَعَامُلِ النِّعَمَةِ ، وَتَصْنِيفِ الْكَرَامَةِ ؛ وَأَنْ يَحْتَمِلَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ ؛ يَا إِلَهِي اللَّهُ رَاعِمُونَ ^(١) ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ[عَلَى ^(٢)] آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

البشرح :

رُوي : « كل رغبة » ، والرغبة ما يُرعى فيه ؛ فاما الرغبة فمصدر رغب في كذا ، كأنه قال : القادر على إعطاء كل سؤال ، أي إعطاء كل سائل ما سأل .

(١) و د ه و أنا إليه داعبون . (٢) من د ه .

ومعنى قوله : « من الإقامة على العذر » ، أى أسأل الله أن يوفقنى للإقامة على الاحتهاد ، وبذل الوسع فى الطاعة ، وذلك [لأنه ^(١)] إذا بذل جهده فقد أعذر ، ثم قسّر احتجاده فى ذلك فى رصا الحق ، ولم يمتدّ احتجاده فى رصا الخالق ، لأنه معلوم ؛ فقال : هو حسنُ الشاء فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد .

فإن قلت : فقوله « وتنام التهمة » على ماذا تعطّله ؟

قلت : هو معطوف على « ما » من قوله « لما فيه » ، كأنه قال : أسأل الله توفيقى لذا ولتنام التهمة ، أى ولتنام بعمته على ، وتضاعف كرامته لى ، وتوفيقه لها هو توفيقه للأعمال الصالحة التى يستوجبها بها .

[فصل فى ذكر بعض وصايا العرب]

ويذكر أن يذكر فى هذا الموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أو صوابها أولادهم ورهطهم ، فيها آدابُ حسن ، وكلام فصيح ، وهى مناسبة لعهد أمير المؤمنين عليه السلام هذا ، ووصايا المودعة فيه ، وإن كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام أحل وأعلى من أن يُسامنه كلام ، لأنه قدس من نور الكلام الإلهى ، وقَرَعَ من دَوْحة المنطق النبوى .

روى ابن الكلابى قال : لما ^(٢) حصرت الوفاة أوس بن حارثة أحد الخزرج ، لم يكن له ولدٌ غير مالك بن الأوس ، وكان لأخيه الحرح حصة ، قيل له : كُنّا نأمرُك بأن تفرّج فى شبابك فلم تفعل حتى حصرك الموت ، ولا ولدَ لك إلا مالكُ ! فقال : لم يهلك هالكٌ تركَ مثل مالك ، وإن كان الحرحُ ذا عَدَد ، وليس لمالك ولد ، فلمل الذى استخرج

الْعَذَقُ مِنَ الْجُرَيْمَةِ ^(١) ، وَالنَّارَ مِنَ الْوَيْثِمَةِ ^(٢) أَنْ يَحْمِلَ لِمَالِكٍ نَسْلاً ، وَرَحَلاً نَسْلاً ^(٣) ،
وَكُنَّا إِلَى الْمَوْتِ . يَا مَالِكُ ، الْمَيِّتَةُ وَلَا الدَّيْنَةُ ، وَالْمَتَابُ قَبْلَ الْمَقَابِ ، وَالتَّعَجُّدُ لَا التَّسَدُّ ،
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَقْرَ حَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِ قَاعِدًا حُرْمَ قَائِمَاءَ ، وَشَرَّ الشَّرْبِ الْأَشْتَبَاءُ وَشَرُّ
الطَّعْمِ الْأَقْتَنَاءُ ^(٤) ، وَدَهَابُ النَّصْرِ ، حَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ ، وَمَنْ كَرَّمَ الْكَرِيمَ الدَّفْعَ
عَنِ الْحَرِيمِ ، وَمَنْ قَلَّ ذَلٌّ ، وَخَيْرُ الْعَيْتِ الْقِنَاعَةُ ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُصُوعُ . الدَّهْرُ مَرْفَأٌ :
صَرَفَ رَحَاءً ، وَصَرَفَ بَلَاءً ؛ وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَلَّ لَكَ فَلَا تَنْطَرِ ،
وَإِذَا كَلَّ عَلَيْكَ فَاصْطَرِ ، وَكَلَامُ سَبِيحَتَيْسِرٍ ^(٥) وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ ، لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِقَامَةٌ ،
وَحَيَّاكَ رَبِّكَ .



وَأَوْصَى ^(٦) الْخَارِثُ بْنُ كُتَيْبٍ بِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، قَدَأْتُ عَلَى مِائَةِ وَسْتَوْرَ سَنَةً
مَا صَاحَبْتُ بِمِثْلِي يَمِينَ عَادِرٍ ، وَلَا فَتَمْتُ نَفْسِي بِخَلَّةٍ فَاحِرٍ ، وَلَا صَبَوْتُ بِأَسَةِ عَمٍّ
وَلَا كِنَّةٍ ^(٧) ، وَلَا بَحْتُ لَصَدِيقٍ دَرَسٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُوَيْسَةٍ قَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . وَقَدْ رَوَى عَلَى دِينِ شُعَيْبٍ - مِنَ الْعَرَبِ عَيْرِي وَبِعَرِّ عِمِّ بْنِ مَرْثَى أَسَدُ
ابْنِ حَزِيمَةَ ، هَوَتْوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَأُحْمَطُوا عَلَى ^(٨) [وَصِيَّتِي ، وَإِلَهُكُمْ فَاتَّقُوا ، بِكَيْفِكُمْ
مَا أَهَمَّكُمْ ، وَبِصَلَحِ لَكُمْ حَالِكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَهْصِيَّتَهُ ، فَيَحِلَّ بِكُمْ الدَّمَارُ ، وَيُوجِشَ بِكُمْ
الدِّيَارُ . كُونُوا جَمِيعًا ، وَلَا تَفَرَّقُوا فَتَكُونُوا شَيْعًا ، وَتُرَوَّاقِبَلُ أَنْ تُتَزَوَّا ^(٩) ، هَوَتْ

(١) الجُرَيْمَةُ : الرَّوْمَةُ ، وَالْعَذَقُ : النَّحْلَةُ . (٢) الْوَيْثِمَةُ : الصَّخْرَةُ .

(٣) نَسْلٌ : جَمْعُ نَسْلٍ ؛ وَهُوَ التَّحْنُوعُ . (٤) الْأَقْتَنَاءُ : الْاِمْتِنَاعُ وَالْاِقْتِنَاعُ . الْأَحَدُ صَعْلَةٌ .

(٥) يَتَنِي بِكَتَيْفٍ .

(٦) الْوَصَايَا ١٢٣ ، وَبَعْدَهُ الْوَصِيَّةُ إِلَى مَالِكِ بْنِ سَدْرٍ الْحَلِيِّ قَال : « وَقَدْ كَانَ أَصَابَ دُمًا فِي قَوْمِهِ ؛

فَخَرَجَ هَارِبًا بِأَهْلِهِ حَتَّى أَتَى بِهِمْ بَنِي هَلَالٍ ، فَمَا احْتَصَرَ أَوْصَى بِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْطُوا قَوْمَهُ النِّصْفَ مِنْ
حَدَثِهِ الَّذِي أَحْدَثَهُ فِيهِمْ .

(٧) الْكِنَّةُ : امْرَأَةُ الْاَبِي أَوْ الْاُخ . (٨) تَكْمَلَةٌ مِنْ د . (٩) بَرَاءٌ : سَلَامَةٌ .

في عزّة ، حيرٌ من حياة في دُلّ وعجّر ، وكلّ ما هو كائن كائن ، وكلّ جمع إلى تباین ، والذهر
صَرَخان : صرف بلاء ، وصرف رخاء ، ونيوم بومان : يومُ حرة ^(١) ، ويوم عبرة ، والناس
رجلان : رجلٌ لك ، ورجلٌ عليك . رَوّحوا نساء الأكفاء ، وإلا فانتظروا بهنّ انقضاء ،
وليكنّ أطيب طيبين الماء ، وإياكم والورْهاء ، فإنّها أدوا الداء ، وإنّ ولدها إلى أفن ^(٢)
يكون . لا راحة لقاطع القراءة وإذا احتلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة اسدّد اختلاف
الكلمة ، والتفعل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة تحول فيها ، وعمل السوء يُزيلُ
التماء ، وقطيعة الرّحم تُورث الهم ، وانتهك الحرمة يُزيل النعمة ، وعقوق الوالدين
يُمقّب المكّد ، ويُجرب اللد ، ويحقّق العدد ، والإصراف في الصبيحة ، هو النصيحة ،
والحقد منع الرّقد ، ولزوم الخطيئة يُدبّ اسية ، وسوء الدّعة ^(٣) يقطع أسباب النعمة ،
والصفائ تدعو إلى التباين ؛ يأتي أنّي قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وعرتُ ،
وكأني بهم قد لحقت ، ثم قال :

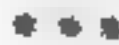
أكلتُ شاي ~~مَرَقَاتِي~~ ^{وَأَمْنِي} لمد دُهورٍ دُهوراً
ثلاثة أهدين صاحبهم هادوا وأصحتُ شيخاً كبيراً
قليل الطام عير الفيا يم قد ترك الدهرُ حظري قصيراً
أبيتُ أراعي نجوم السماء أقلبُ أمري نطوا طهوراً

وصي أكنم بنُ صنيّ نبيه ورهطه فقال : يأتي نيم ، لا يموتنكم وغطى ، إن
فانكم الدهر تنفسى ، إن بين حيروى وصندى لكلاماً لا أحد له موافق إلا ^(٤) أمتاعكم
ولا مقار إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مُضمية ، وقبوب دواعية ، تحمدوا مَقْبَتَه : الهوى

(١) الحرة : السرور . (٢) الأفن : الفساد .

(٣) الوصايا : الرعة . (٤) في د د عير .

يَقْطَان ، والمقل رافد ، والشهوات مطقة ، ولحرم مقول ، والنفس مهمل ، والروية مقيّدة ،
ومن جهة التوائ وترك الروية يتبع الحرم ، ولن يعدم المشاور مرشداً ، والمسبب براه
موقوف على مداحض الزلل ، ومن سمع سمع ، ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ،
ولو اعتبرت مواقع الهن ما وُحِدَتْ إِلَّا في مقاتل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ،
ومن سلك الخدد (١) أمّن العار ، ولن يعدم الخوذ أن يُتَمَّ قلبه ، وتُشَمَل فكره ،
ويُورث غيظه ، ولا تحاوز مصرته قسه . يا بني تميم ، الصبر على حرج الحلم أَعَدَّ من
حناء التدامة ، ومن حلّ مرصه دون ماله استهدف للدم ، وكلم اللسان أسكى من كظم
اللسان ، والكلمة صرهوة ما لم تنجم من الفم ؛ فإذا نَحَمَتْ مزجت ، فهي أسدٌ محَرَّب ،
أو نار تَلَهَّب ، ورأى الناصح اللب دليل لا يحور ، وبعد الرأي في الحرب ، أحدى من
العلمن والصرب .



وأوصى يزيد بن المهلب ابنه نَحْدًا حين استخفّه على حُرْحُلان ، فقال له : يا بني ،
قد استخلفتك على هذه البلاد ، وانظر هذا الحى من اليمن فكأن لهم كما قال الشاعر :
إذا كنت مرئاد الرّحالي لمفهمهم فريش واسطع عند الدين بهم ترمى
وانظر هذا الحى من ربيعة فإنهم شيمتك وأنصارك ، فافص حقوقهم ، وانظر هذا الحى
من تميم فأمطرهم (٢) ولا تره لهم ، ولا تدبهم فيطمعوا ، ولا تقصمهم فيقطعوا ، وانظر هذا
الحى من قيس فإنهم أكف قومك وجاهية ، وما يصومهم المآثر في الإسلام ، ورصام
ملك النُشَر . يا بني ، إن لأبيك صنائع فلا تنسدها ، فإنه كفى بالمرء نقصاً أن يهديم
ما بنى أبوه ، وإياك والدماء فإنه لا تقيّة معها ، وإياك وشتم الأعراض فإن الحرّ

(١) اجدد : الأمر الستوية . (٢) د : فاصرم .

لا يرضيه عن عرضه عوض، وإياك وضرب الأشرار فإنه عارٌ باقٍ، ووثر مطلوب، واستعمل على التجدة والفصل دون الهوى، ولا تمزَلْ إلا عن عَجْز أو خيانة. ولا يمنعك من اصطلاع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنك إنما تصطع الرجال لفضلها. وليكن صبيحتك عند مَنْ يكافئك عنه العشائر. أهل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم. وإذا كتبت كتاباً فأكثر الطر فيه، وليكن رسولك فيما بيني وبينك مَنْ يفقه عني وعنك؛ فإن كتاب الرجل موضع عقبه، ورسوله موضع سره. وأستودعك الله، فلا بدّ للودع أن يكت، وللمشيّع أن يرُحع. وما عفا من المطلق وقل من الخطيئة أحبُّ إلى أهلك.



وأوصى قيس بن عاصم الميقرى بنيه، فقال: يا بني، حذروا عني فلا أحد أضح لكم مني. إذا دفتعوني فانصروا إلى رحابكم، فسودوا أكرامكم، فإن القوم إذا سودوا أكرامهم حلفوا أباهم، وإذا سودوا أصغرهم أدرى ذلك بهم في أكرامهم. وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم، وتمسكوا بطاعة أمرائكم فإنهم من رفضوا ارتفع، ومن وصعوا اتّسع. وعليكم بهذا المال فأصلحوه، فإنه منسوبة للكرام، وحنة ليرُص اللثيم. وإياكم والمسالمة فإنها آحر كسب الرجل، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب، وإياكم والسياسة، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يعني عنها، وادفوني في ثيابي نتي كنت أصلي فيها وأصوم، ولا يعلم بكربي وأثلي بمدفني فقد كانت بيني وبينهم مشاحات في الماهلية والإسلام، وأحاف أن يدخلوا عليكم في عارا. وحذروا عني ثلاث خصال: إياكم وكل عيرق لثيم أن تلبسوه فإنه إن سرّدكم اليوم يسؤكم غداً، واكظموا الفيض، واحذروا بين أعداء آرائكم فإنهم على منهاج آبائهم، ثم قال:

أحيا الضفائن آباء لنا سلموا فنن تبيد وللاباء أبناء

قال ابن السكيت : فيحكى الناس هذا البيت سابقا للريز ، وما هو إلا ليس

ابن عاصم .

وأوصى عمرو بن كلثوم انتعلبي^(١) [بنيه]^(٢) قال : يا بني ؛ إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأحدادي ، ولانته من أمر مقتيل ، وأن يزل بي ما نزل بالآباء والأحداد والأمهات والأولاد ، فاحفظوا عني ما أوصيكم به . إني والله ما عيرت رجلا قط أصرا إلا عيرني مثله ؛ إن حقا حق ، وإن باطلا باطل ، ومن سب سب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأغراسكم . وصلوا أرحامكم ثمعروا^(٣) دماءكم^(٤) ، واكرموا حرامكم بحسن ثنائكم ، وزوجوا مات الهم بي الهم فإن نسيتم^(٥) بني القرماء فلا قالوا بهن [عن]^(٦) الأكماء . وأعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال ، فإن أعص للبر ، وأعف للذكر ؛ ومتى كانت المماينة واللقاء ، ففى ذلك داء من الأدواء ، ولا خير فيمن لا يمار أميره كما يمار نفسه ، وقيل من انتهك حرمة لعيره . لا تهتك حرمة . وامنعوا القريب من ظلم القريب ، فإنك تدل على قريبك ، ولا يجمل بك دل عريبك ، وإذا تارعت في الدماء فلا يكن حاكم الكفاء ، فرب رجل خير من ألف ، وود خير من حلف ، وإذا حدثتم فقوا ، وإذا حدثتم فأوحزوا ، فإن مع الإكثار يكون الإهدار ، وموت عاجل خير من ضي آجل ، وما نكيت من رمل إلا دهاني بمده رمل ، ورعا شجاني^(٧) من لم يكن امرؤ

(١) ب : « الطلي » تحريف . (٢) نكته من د .

(٣) من د .

(٤) ن د « دياركم » .

(٥) شعاني : أحزنى .

عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَخْذُوثةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا انْجُوبةً . وَأَعْمُوا أَنْ أَشْجَعَ الْقَوْمَ الْعَطُوفَ ،
وَأَخِيرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَلَا حَبْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْقَصَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا
مُوتَ لَمْ يُعْتَبَرْ ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يَرْجَى حَبْرَهُ ، وَلَا يَحَافِ شَرَّهُ ، فَيَكُونُ^(١) حَبْرًا مِنْ
دَرَّةٍ ، وَعَقُوبُهُ خَيْرٌ مِنْ رَدِّهِ ، وَلَا تُرْجَوُا فِي حَكْمِ قَلْبٍ مِنْ أَرْحَافٍ فِي حَبْرٍ آلَ ذَلِكَ إِلَى قَبِيحِ
يَنْفُسَ ، وَكَمْ قَدْ رَأَى إِسَاءَ وَرُدَّتْهُ ، فَأَقْبَلَ بِدَهْرِهِ ضَرَّتَهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْحَلِيمَ سَلِيمَ ،
وَأَنَّ السَّمِيحَ كَلِيمَ ، إِنِّي لَمْ أَمُتْ وَلَكِنْ هَرِمْتُ ، وَدَخَلْتُ دِلَّةً فَسَكْتُ ، وَضَعْتُ قَلْبِي
فَأَهْتَرْتُ^(٢) ، سَلِّمُكُمْ رَبِّكُمْ وَحَيَاتِكُمْ !

وَمِنْ كِتَابِ أُرْدَشِيرَ بْنِ بَاكْسَثَ إِلَى بَنِيهِ وَأَبْنَوْكَ مِنْ بَعْدِهِ : رَشَادُ الْوَالِي حَبْرًا لِلرَّعِيَّةِ مِنْ
حَضَبِ الزَّمَانِ ، الْمَلِكِ وَالِدَيْنِ تَوْهَامَ لَا قُرَامَ لِأَحَدِهِمَا لَا بِصَاحِبِهِ ، فَالَّذِينَ أَسْرَأَ الْمَلِكُ
وَعَمَادُهُ ، ثُمَّ صَارَ الْمَلِكُ حَارِسَ الدِّينِ ، فَلَا يَدْرِي لِمَلِكٍ مِنْ أَسْأَةٍ ، وَلَا يَدْرِي لِلدِّينِ مِنْ حَارِسِهِ ، فَأَمَّا
مَالًا حَارِسٌ لَهُ فِصَالٌ ، وَمَالًا أَسْرَأَ لَهُ فَهَدُومٌ ، بَنَ رَأْسَ مَا أَحَافَ عَلَيْكُمْ مَادَرَهُ السَّمَةُ
إِنَّمَا كُمْ إِلَى دِرَاسَةِ الدِّينِ وَتَأْوِيلِهِ وَاتِّفَاقِهِ فِيهِ ، فَتَحْمِلُكُمْ الثِّقَةُ بِقُوَّةِ الْمَلِكِ عَلَى النَّهْائِ بِهِمْ ،
فَتُحَدِّثُ فِي الدِّينِ رِيَاسَاتٌ مُنْتَشِرَاتٌ سِرًّا فِيمَنْ قَدْ وَرَثَ وَخَصَّوْتُمْ ، وَحَرَمْتُمْ وَأَخْفَيْتُمْ ،
وَصَرَّيْتُمْ مِنْ سِيَّئَةِ النَّاسِ وَالرَّعِيَّةِ وَخَشَوِ الْعَامَّةِ ، ثُمَّ لَا تَنْشُبُ بِلَاكِ الرِّيَاسَاتِ أَنْ تَحْدِثُ
حُرْفًا فِي الْمَلِكِ وَوَهْشًا فِي الدَّوْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ سَبْعًا كُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَحْسَادِ الرَّعِيَّةِ لَا عَلَى
قُلُوبِهَا ، وَإِنْ عَلَبْتُمْ النَّاسَ عَلَى مَوَاقِدِهِمْ فَسَ تَصْغُرُ عَنْ مَوَاقِدِهِمْ وَأَرْأَتْهُمْ وَمَكَائِدِهِمْ .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ الْمَحْرُومَ سَاءَ عَيْبِكُمْ لِسَاءِهِ ، وَهُوَ أَطْعَمُ سَتِيمِيهِ ، وَإِنْ أَشَدَّ مَا يَصْرُكُمْ مِنْ
لِسَاءِهِ مَا صَرَفَ الْحِيلَةَ فِيهِ إِلَى الدِّينِ ، فَكَأَنَّ الدُّنْيَا بِحَتِّجِ^(٣) ، وَلِلدِّينِ فِيهَا يَظْهَرُ يَتَعَصَّبُ ، فَيَكُونُ

(١) نَكَاتُ النَّاقَةِ نَكْوَاءٌ : قَلْبُهَا .

(٢) لَهْفَرٌ : دَعَابُ الْقَلْبِ . (٣) ١ : « يَجْمَعُ »

للذين نكاؤه ، وإليه دعاؤه ، ثم هو أوحد للتابعين والمصدقين والمناصبين والمؤارين ، لأن مصب^(١) الناس موكل بالملك ، ورجحته ومحتتهم موكله بالصعفاء العلويين ، فاحذروا هذا المعنى كل الحذر .

واعلموا أنه ليس ينبغي لذلك أن يعرف للعناد والتناك أن يكونوا أوّل بالدين معه ، ولا أخذت عليه ولا أعصت له . [ولا يسمى له]^(٢) أن يحبى التناك والعناد من الأمر والنهى في نكهم ودينهم ، هي حروح انتك وعيرهم من الأمر وتسعى عيب على الملك وعلى المملكة ، وتلذذ بتنة الضرر على الملك وعلى من بعده .

واعلموا أنه قد مضى فاما من أسلافنا ملوك كل الملك منهم يتعمد الحماية بالتفتيش والجمعة بالتصويل ، والمراع بالإشغال ، كتمته حظه بعض فصول اشعر وانظر وعمل الدّور والنمر^(٣) ومدوا ما مهر من الأدواء وما نطى ، وقد كان من أولئك الملوك من صحة ملكه أحب إليه من صحة جسده ، فتبت تلك لأملك بذلك كانتهم ملك واحد ، وكان أدواهم روح واحدة ، يمكن أولهم لأحرم ، ويصدق أحرم أولهم ، يحسب أساء إسلامهم ، ومواريت آرائهم ، وثمرات عقولهم عبد اباق منهم بدمهم ، وكانهم حلوس منه يحدثونه ويشاورونه ، حتى كأن على رأس دارا من دارا ما كان من علة الإسكندر الزوى على ما على عليه من منك . وكان بساده أمرنا ، ونمرقته جماعتنا ، وتحريره عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سنك دمانا ، فله أن الله عز وجل في جمع مملكتنا ، وإعادة أمرنا ، كل من بعثه إيانا ما كان . ولا اعتبار يتقى الشار ، والتحارب الماضية دستور يرجع إليه من الحوادث الآتية .

واعلموا أن طباع الملك على غير طباع الرعية والسوقة : فإن الملك يطيف به المز ، والأمن والسرور والقُدرة على ما يريد ، والأنة والجرأة والعبث والبطر ، وكلما ارداد

(١) ل د د يسمى . (٢) تسكته من د (٣) م : د والنمى .

في العمر تنفساً ، وفي الملك سلامة أرداد من هذه الطبايع والأحلاق حتى يُسلمه ذلك إلى سُكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب ، فيسي الفسكات والمفترات ، والمير والدوائر وفخس تسلط الأيام ، ونوم غلبة الدهر ، فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول . وعند حسن الظن بالأيام تحدثُ الفير ، ونزول السقم ؛ وقد كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا مَنْ بد كره عره الدل ، وأمنه الخوف ، وسروره السكابة ، وقدرته المنجرة ، وذلك هو الرّحل الكامل قد جمع بهجة الملوك ، وفكرة الشوكة ، ولا كمال إلا في حمها .

واعلموا أنكم ستلوثون على الملك بالأرواح والأولاد والقرماء والورراء والأحذان ، والأنصار والأعوان والمتقربين والندماء والمُضحكين ، وكل هؤلاء — إلا قليلاً — أن يأخذ نفسه أحب إليه من أن يعطى منها عمله ، وإما عمله سوق ليومه ، ودجيرة لعمه ، فنصيحته لملوكه فضل نصيحته لنفسه وعاية الصلاح عنده صلاح نفسه ، وعاية الفساد عنده فسادها ؛ يضم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الأرباح والمنافع ، إذا استوحش الملك من ثقاته أطلقت عليه ظلم المهانة . أخوف ما يكون العاقبة [آمن ما يكون الورراء ، وآمن ما يكون العامة ^(١)] أخوف ما يكون الورراء .

واعلموا أن كثيراً من وراء الملوك من يُحاوون استنقاء دولتهم وأيامهم بإيقاع الاضطراب ، والخط في أطراف مملكة الملك ، ليجتاح ذلك إلى رأيه وتديره ، فإذا عرفتم هذا من ورير من وررائكم فأعلموه فإنه يُدخِل الوهم واسقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ، ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها .

واعلموا أن بدء دهاب الدولة يشأ من رفق إهمال الرعية نذر أشغال معروفة ولا أعمال معلومة ، فإذا نشأ الفراغ تولت نفسه التطرف في الأمور ، والفكر في الفروع والأصول . فإذا تطروا في ذلك تطروا فيه بطبايع محتمة ، فتختلف بهم المذاهب ، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم وتضاعفهم ، وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بعض الملوك ، فكل صنف منهم إنما يجري إلى فحيفة الملك بملكه ، ولكنهم لا يجنون سلباً إلى

(١) تكملة من دوما يستقيم الكلام .

ذلك أوثق من الدين والناموس ، ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد ، فإن اتفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيةهم ، ولى طباع العسامة استتغال الولاية وملاهم ، والتعاسة ^(١) عليهم ، وألحد لهم ، وى الرعية المحروم والمصروب والمقام عليه الحدود ، ويتولد من كرتهم مع عداوتهم أن يحبس الملك عن الإقدام عليهم ، فإن فى إقدام الملك على الرعية كلها كافة تعرياً عذبه . ويتولد من حبس الملك عن الرعية استمخالهم عليه ، وهم أقوى عدو له وأحلفه بأنظر ، لأنه حصر مع الملك فى دار ملكه ، فمن أخصى إليه الملك بعدى فلا يكونن بإصلاح حده أشد اهتداه بهبه الحال ، ولا تكونن لشيء من الأشياء أكره وأكبر لأمير صار دناء ، ودبى صار رأسا ، ويد مشغولة صارت فارغة ، أو عى صار فقيرا ، أو عامل مصروب ، أو أمير متزول .

واعلموا أن سياسة الملك وحراسه ألا يكون أبى السكان إلا كابيا ، وارى الحدى إلا حدبا ، وارى الناحر إلا ناحرا ، وهكذا فى جميع المطعاب ، فإنه يتولد من سفل الناس عن حالهم أن يلتبس كل امرئ منهم فوق مرسته ، فإذا انتقل أو شك أن يرى شيئا أرفع مما انتقل إليه ، فيحسد أو يخاص ، وى ذلك من الضرر المتولد ما لا حياء به ، فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصله فلا يكون للمبيص القمل أسرع حلما منه لئلا لاس من قيص ذلك الملك .

واعلموا أنه ليس ملك إلا وهو كثير الدكر لى بلى الأمر بعده ، ومن فساد أمر الملك شر دكره ولاية اليهود ، فإن فى ذلك ضرورا من الضرر ، وأن ذلك دحول عداوة بين الملك وولى عهده ، لأنه تطمح عيه إلى الملك ، ويصير له أحباب وأعدان يفتونه ذلك ، ويستبطلون موت الملك . ثم إن الملك يستوحش منه ، وتساق الأمور إلى هلاك أحدها ، ولكن لينظر الوالى مسك الله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية ، وليتجنب ولما للعهد من بعده

(١) التعاسة : كراهة الخير لهم .

ولا يُعلمه ذلك ، ولا أحد من الخلق قريباً كان منه أو بعيداً ، ثم يكتب أُمِّه في أربع صحائف ، ويحتملها بحاتم ، ويضعها عند أربعة سر من أعيان أهل المملكة ، ثم لا يكون منه في سره وعلايته أمرٌ يستدل به على وى عهده من هؤلاء في إدناء وتقريب يعرف به ، ولا في إقصاء وإعراض يُستراب له . ويتقو ديث في اللحظة والكلمة ، فإذا هلك الملك سُحمت تلك الصحائف إلى السحرة التي تكون في حراسة نيك ، فتصن حيماء ثم يموت حينئذ بأسم ذلك الرجل ، فيلقى الملك إذا لبى به بخدانة عهده بحال السوقة ، ويلسه إذا لبى به بصير السوقة ومنمها ، فإن في معرفته محاله قبل إقصاء الملك به سُكراً تُحدثه عنده ولاية العهد ، ثم يلقاه الملك فيريده سُكراً إلى سكره ، فيمنى ويصم ، هدامع ما لا بد أن يلقاه أيام ولاية العهد من حيل العتاة ، ونى الكدابين ، وترقية الساميين ، وإيثار صديقه ، وإفساد قومه على كثير من رعيته ، وحواص دولته ، وليس ذلك بمحمود ولا صالح .

واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف ، لأنه لا يقدر أحدٌ أَسْكراهه ، وليس له أن يعض لأنه قادر ، والمص لفاح الشر وسدامة ، وليس له أن يعض ويضع ، لأن اللب والمنت من عمل الفراع ، وليس له أن يمرع لأن الفراغ من أمر السوقة ، وليس للملك أن يحسد أحداً إلا على حُسن التدبير ، وليس له أن يحاف لأنه لا يد فوق يديه .

وأعلموا أنكم لن تقدرُوا على أن تحتموا أهواء الناس من الطعن والإرراء عليكم ، ولا قدرة لكم على أن تحملوا انقياع من أفعالكم حساً ؛ فاحتمدوا في أن تحس أفعالكم كلها ، وألا تحملوا للمامة إلى الطعن عليكم سبيلاً .

وأعلموا أن لباس الملك ومطعمه ومشربه مقاربٌ للباس السوقة ومطعمهم ، وليس

ففضل الملك على الشوق إلا بقدرته على اقتناء المهاد وأستفاد الكارم ، فإن الملك إذا شاء أحسن ، وليس كذلك الشوق .

واعلموا أن لكل ملك بطانة ، ولكل رجل من بطانته بطانة ، ثم إن لكل أمرى من بطانة البطانة بطانة ، حتى يجتمع من ذلك أصل المملكة ، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم ، أقام كل أمرى منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية .

احذروا نانا واحدا طالما أميته فصراني ، وحذرته فقمعي . احذروا إفشاء السر بحضرة الصغار من أهليكم وخدعكم ، فإنه ليس يصغر واحد منهم عن تحمل ذلك السر كاملا ؛ لا يترك منه شيئا حتى يصغه حيث نكروهن إما مطلقا أو عشا .

واعلموا أن في الرعية سينا أنوا الملك من قبل الصائح له ، والتمسوا إصلاح مآثرهم بإفساد مآثر الناس ، فأولئك أعداء الناس وأعداء للوليك ، ومن عادى المليك والناس كلهم فقد عادى نفسه .

واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات ؛ فمنها حال السخاء حتى يدنو أحدكم من السرف ، ومنها حال التدبير حتى يدنو من اسخا ، ومنها حال الأمانة حتى يدنو من البلافة ، ومنها حال أتمهار الفرصة حتى يدنو من الرحمة ، ومنها حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهدر ، ومنها حال الأحكام بحكمة ^(١) الصمت حتى يدنو من العي ، فالملك منكم حذير أن يسلم من كل طبقة في محاسنها حذرها ، فإذا وقع عليه الحم نفسه عما وراءها .

واعلموا أن ابن الملك وأخاه وأبن عمه يقول : كدت أن أكون مكيكا ، وبالحرى ألا أموت حتى أكون مكيكا ، فإذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك ، وإن كتبه فالداء

(١) الحكمة في الأمل : العظام ؛ والسلام على الاستشارة .

في كل مكتوم ، وإذا غنى ذلك جعل امسدا سُلماً إلى الصلاح ، ولم يكن الفساد سُلماً إلى صلاح قط . وقد رمتُ لكم في ذلك مثلاً ، اعملوا الملك لا يبغي ، إلا لأبناء الملوك من بنات عمومهم ، ولا يصلح من أولاد بيت العم إلا كامل غير سخيبي القليل ، ولا طربُ الرأي ، ولا ناقص الخوارج ، ولا مطعون عليه في الدين ، فإنكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك ، وإذا قلّ طلائه استراح كل امرئ إلى ما يديه ، وصرع إلى حد يبيه ، وعرف حاله ، ورضى معيشته ، واستطاب زمانه .

فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ، ووصايا أكثر ملوك انطرس وأعظمهم حكمة لتوصم إلى وصايا أمير المؤمنين فيحصل منها وصايا الذين والديا ، فإن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، الذين عليها أعذب ، ووصايا هؤلاء الذين عليها أعلب ، فإذا أخذ من أخذ التوفيق بيده عجموع ذلك فقد سمد ، ولا سبيد إلا من أسعده الله .

(٥٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى طلبة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي،
وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات :

أَمَّا نَدُّ ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا - وَإِنْ كُنْتُمَا - أَتَى لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ
أَبَايَهُمْ حَتَّى يَبْعُونِي ؛ وَإِسْكُمَا مِنْ أَرَادَنِي وَبَيْعِي ، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُكَافِئْنِي لِسُلْطَانٍ
عَالٍ ، وَلَا لِحَرْصٍ حَاصِرٍ ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا نِي طَائِفَتَيْنِ قَارِحَتَيْنِ وَنُومًا إِلَى اللَّهِ
مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا نِي كَارِهَتَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا نِي عَلَيْكُمَا سَبِيلَ بَاطِلٍ بِطَهَارِكُمَا
الْعَامَّةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ . وَلَمْ تَرَوْا مَا كُنْتُمَا بِأَخْبَرِ الْمَاهِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ
وَالْكِتْمَانِ .

وَإِنْ دَفَعْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ فَقُلْ أَنْ تَدْخُلَا بِهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ حُرُوجِكُمَا
مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ مُشَمَّانَ ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَحَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ يَدْرُمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ .

فَارْحَمَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ دَأْبِكُمَا ؛ فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ ، مِنْ قَوْلِ
أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَرُ وَالنَّارُ . وَالسَّلَامُ .

الشُّرُحُ :

[عمران بن الحصين]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن حنن بن عبد بن شهيم بن سالم بن عاصرة بن سكلول ابن حنثية بن سكلول بن كعب بن عمرو الجراحي ، يكنى أبا يحيى ، له ابنه يحيى بن عمران . أسلم هو وأبو هريرة عام حبيب ، وكان من فصول الصحابة وفقهائهم ، يقول أهل البصرة عنه : إنه كان يرى الحظوة ، وكانت تكلمه حتى اكتوى .

وقال محمد بن سيرين : أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عمران بن الحصين وأبو نكرة . واستنصاه عبد الله بن عامر بن كرار على البصرة فعمل له أياماً ، ثم استنصاه فأعماه ، ومات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين في أيام معاوية .

[أبو جعفر الإسكافي]

وأما أبو جعفر الإسكافي فهو شيخنا محمد بن عبد الله الإسكافي - عده قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عدد بن سليمان الصيمري ، ومع زرقات ، ومع عيسى بن المهيم الصوفي ، وجعل أول طبقة كخامة بن أنس بن ميمون ، ثم أبا عثمان الخياط ، ثم أبا موسى عيسى بن صبح الردار ، ثم أبا عمران يوسف بن عمران ، ثم محمد بن شبيب ، ثم محمد بن إسماعيل بن العسكري ، ثم عبد الكريم بن روح العسكري ، ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أبا الحسين الصالح ،

ثم الجعفران : جعفر بن جرير وجعفر بن ميثر ، ثم أبا عمران بن النقاش ، ثم أبا سعيد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عناد بن سليمان ، ثم أبا جعفر الإسكافي هذا . وقال : كان أبو جعفر فاضلا عالما ، وصفت سبعين كتابا في علم الكلام .

وهو الذي نقص كتاب « العنائية » على أبي عثمان المحظ في حياته ، ودخل المحظ الوراقين بغداد ، فقال : من هذا العلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقص كتابي ! وأبو جعفر جالس ! فأخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول بالتميز على قاعدة معتزلة بغداد ، ويبالع في ذلك ، وكان علوى الراى ، محققا منصفا ، قليل المصنعة .



ثم نعود إلى شرح الفاظ الفصل وللمصنف :

قوله عليه السلام : « لم أؤد الناس » ، أى لم أؤد الولاية عليهم حتى أرادوا هم متى ذلك .

قال : « ولم أباينهم حتى بايعوني » ، أى لم أمدد يدي إليهم مدّ الطلب والحرص على الأمر ، ولم أمددها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرة والخلافة ، وقالوا بالسنهم : قد بايعاك ، فحينئذ مددت يدي إليهم .

قال : ولم يبايعنى العامة والمسلمون لسنطاي عصيتهم وفهرهم على ذلك ، ولا لحرص حاضر ، أى مال موجود فرقة عليهم .

ثم قسم عليهما الكلام ، فقال : إن كنتم بايعتماني طوعا عن رضا فقد وحب عليكما الرجوع ، لأنه لا وجه لانتفاض تلك البيعة ، وإن كنتم بايعتماني مكرهين عليها فالإكراه

له صورة ، وهى أن يحرّد السيف ويعدّ العنق ، ولم يكن قد وقع ذلك ، ولا يمكنكما أن تدعياه ، وإن كنتم بايعتماني لا عن رضا ولا مكرهين بل كارهين ، وبين المكر والكاره فرق بين ، فالأمور الشرعية إنما تُبنى على الناصر ، وقد حملتُماني على أنفك السبيل بإظهاركم الطاعة ، والدخول فيما دخل فيه أساس ، ولا اعتبار بما أسررتُماني من كراهية ذلك . على أنه لو كان عدى ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون في كراهية ذلك سواء ؛ لما الذى جعلكم أحقّ المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية .

ثم قال : وقد كان امتناعكم عن البيعة في مبدأ الأمر أحمل من دخولكم فيها ثم مكثها .

قال : وقد رعنما أن الشبهة التى دخلت عليكم فى أمرى أنى قتلت عثمان ، وقد حملتُ الحكم بيني وبينكم من تحمف عني وعنكم من أهل المدينة ، أى الجماعة التى لم تنصر عليّ ولا طلحة ، كمحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، معنى أنهم غير متهمين عليه ولا على طلحة والزبير ، فإذا حكموا لزم كل أمرى ما بقدر ما تقتضيه الشهادات . ولا شبهة أنهم لو حكموا وشهروا بصورة الحال لحكموا براءة على عليه السلام من دم عثمان ، وأن طلحة كان هو الجئة وتفصيل فى أمره وحصره وقتله ، وكان الزبير مساعداً له على ذلك ، وإن لم يكن مكاشفاً مكاشفة طلحة .

ثم نهاهم عن الإصرار على الخطيئة ، وقال لها : يكما إنما تحافظان العار فى رجوعكما وانصرافكما عن الحرب ، فإن لم ترجعا اجتمعا عليكما العار والعار ؛ أما العار فلا أسكما تهرمان ونفرتان عند اللقاء فتعيران بذلك ، وأبصار سيكشف للناس أسكما كنتم على باطل فتعيران بذلك ، وأما العار فإليها مصيرُ المصائب إذا ماتوا على غير توبة واحتمال العار ، وحده أهون من احتماله واحتمال النار معه .

(٥٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ فَبِإِذْنِ اللَّهِ سَخَّاهُ حَمَلَ الدُّنْيَا بِمَا نَعَدَهَا ، وَانْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَسَا لِلدُّنْيَا حُلُقًا ، وَلَا يَأْسَى فِيهَا أَمْرًا ، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِيُبْتَلَى بِهَا ، وَهَذَا انْتِلَاقِي اللَّهِ بِكَ وَانْتِلَاكِ بِي ، فَجَعَلَ أَحَدَهُ حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، وَمَدَّوَتْ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَطَسَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ بِدِي وَلَا يَكُنِي ، وَعَصْنَتُهُ أَنتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي ، وَالْبَ عَائِمُكُمْ حَاهِلُكُمْ ، وَقَدِيمُكُمْ قَاعِدُكُمْ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، وَدَرِّعِ الشَّيْطَانَ فِيهِدَكَ ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَحَمَلَكَ ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ، وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِسَاحِلِ مَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ ، وَتَقْطَعُ الدَّائِرَ ، فَإِنِّي أُولَى لَكَ بِإِقْفِ أَلِيَّةٍ غَيْرَ مَاجِرَةٍ ، إِنِّي حَمَمْتَنِي وَإِيَّاكَ حَوَاسِمُ الْأَقْدَارِ لَا أَرَالُ بِإِحْتِكَ ، ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

الْبَزْجُ :

قال عليه السلام : « بِإِذْنِ اللَّهِ قَدْ حَمَلَ الدُّنْيَا لِمَا نَعَدَهَا » ، أَيَّ حَمَلَهَا طَرِيقًا إِلَى الْآخِرَةِ .
ومن الكلمات الحكيمة : الدنيا فطرة فَعَرَوْهَا وَلَا سَمَرُوهَا . وانتلى فيها أهلها
أَيَّ اخْتَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وهذا من أَلطِّ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ، وَالرَّادِ لِيَعْلَمَ خَلْفَهُ ،

أو ليعلم ملائكته ورُسُلُه ، فحذف المصاف ، وقد سبق ذكر شيء يناسب ذلك فيما تقدم ، قال : « ولسنا للدنيا خُلِقْنَا » ، أي لم نخلق للدنيا فقط .

قال : « ولا بالسعي فيها أمرنا » ، أي لم نؤمر بالسعي فيها لها ، بل أمرنا بالسعي فيها لغيرها .

ثم ذكر أن كل واحد من معاوية مُبتلى بصاحبه ، وذلك كابتلاء آدم بإبليس وإبليس بآدم .

قال : « فندوت على طلب الدنيا تناويل القرآن » ، أي تعديت وظلمت ، و « على » هاها متعلقة بمحدوف دلّ عليه الكلام ، تقديره مثابرا على طلب الدنيا أو مصرا على طلب الدنيا ، وتناويل القرآن ما كان معذوبة بموته به على أهل الشام فيقول لهم : أما وليّ عثمان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ^(١) ﴾ .

ثم بعدهم الطغر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ^(٢) ﴾ .

قوله : « وعصته أت وأهل الشام » ، أي أزمته كما تلزم العصاة الرأس ، « وألب ملككم جاهلكم » ؛ أي حرّض .
والقياد : جعل تقاد به الدابة .

قوله : واحذر أن يصيبك اللهُ منه بما حلّ فارعة ، الصمير في « منه » راجع إلى الله تعالى ، « ومن » لا ابتداء القاية .

وقال الراوندي : منه ، أي من البهتار التي أنبتت ، أي من أحله ، و « من » للتعميل ، وهذا بعيد وحلاف الظاهر .

قوله : « تمسّ الأسل » ، أي تقطعه ، ومنه ماء ممسوس أي يقطع النّة . ويمطع الدابر أي العقب والنسل .

والآلية : اليمين . وباحة الدار : وسطها ، وكذلك ساحتها ، ورؤى بناحيته .

قوله : « بماجل قارعة ، وحوامع الأفدار » ، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف^(١) للتأكيد ، كقوله تعالى : ﴿ وإله الحق اليقين^(٢) ﴾ .

(١) د : « إضافة إلى الموصول » . (٢) سورة الحاقة ٥١ .

(٥٦)

الأضل :

ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هاني لما جمعه على مقدمته

إلى الشام :

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ ، وَحَبِّ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا النَّارُورَ ، وَلَا تَأْمَسْهَا
عَلَى حَالٍ .

وَأَهْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ كَثِيرٍ يَمَّا تُحِبُّ مَحَامَةَ مَكْرُوهِهِ ، تَمَحُّتُ بِكَ
الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الصَّرَرِ ، فَكُنْ بِنَفْسِكَ مَدِينًا رَادِعًا ، وَلِتَرَوَاتِكَ عِنْدَ الْعَهِيَّةِ
وَأَعْمَاءَ قَائِمًا .

[شريح بن هاني]

الْبُرْج :

هو شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك بن دُرَيْد بن سُفْيَان بن الصَّبَاب ، وهو سَلَمَة
ابن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الدَّحِيقِي . كان هاني يُكْنَى في الجاهلية
أما الحكم ، لأنه كان يَحْكُمُ بينهم ، فكناه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله بابن شريح ،
إد وفد عليه . وابنه شريح هذا من رحلة أصحابِ عليٍّ عليه السلام ، شهد معه المشاهد كلها ،
وعاش حتى قُتِلَ بِسِجِسْتَانَ في زمن الحجاج ، وشريح جاهلٌ إسلامي ، يكنى أبا المقدام ،

ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ (١) .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَخَفَّ عَلَى نَفْسِكَ لَعْرُورٌ ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ ، فَأَمَّا الْفُرُودُ بِالضَّمِّ
فَمصدر . وَالرَّادِعُ : الْكَافُ الْمَانِعُ . وَاللَّزَوَاتُ : الْوَسَائِلُ . وَالْحَقِيقَةُ : الْغَضَبُ . وَالْوَارِقُ :
فَاعِلٌ ، مِنْ وَقَعَتْهُ أَيْ رَدَدَتْهُ أَفْبَحَ الرَّدِّ وَفَهَرَتْهُ . يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَمْ تَرُدَّعْ نَفْسَكَ
عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِكَ أَفْصَبَتْ بِكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُرُودِ ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا وَفَرَّحَكَ بِأَلَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا (٢)

(١) الْإِسْتِيعَابُ ٦٠٧ . (٢) الْبَيْتُ لِحَاظِهِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَيْ ٣٣١ .

(٥٧)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة
إلى البصرة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي حَرَجْتُ مِنْ حَتَّى هَذَا إِمَّا طَالِمًا وَإِمَّا مَطْلُومًا ، وَإِمَّا بِأَعْيَا
وَإِمَّا مَتْنِيًّا عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَعَثَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَزَرَ إِلَيَّ ، فَإِن كُنْتُ
مُحْسِنًا أَعَانِي ، وَإِن كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَنِي .

الْبَيْتُ :

ما أحسنَ هذا التقسيم وما أبْلَغَ في عطف التوبيخ عليه ، واستمالة المومنين إليه !
قال : لا يَحْتَوِ حَالِي فِي خُرُوجِي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ : إِمَّا أَنْ أَكُونَ طَالِمًا أَوْ مَطْلُومًا ،
وَبَدَأَ بِالطَّالِمِ هَهُنَا لِمَعْنَى^(١) ، وَلَثَلَا يَقُولُ عَدُوهُ : بَدَأَ بِدَعْوَى كَوْنِهِ مَطْلُومًا ، فَأَعْطَى عَدُوَّهُ
مِنْ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ .

قال : فليسير المسلمون إِلَى فَإِنَّ وَحْدُونِي مَطْلُومًا أَمَّا بِنِي ، وَإِنَّ وَجْدُونِي ظَالِمًا سَهَوَنِي
عَنْ طُلْعِي لِأَعْتَبَ وَأَنْتَبَ إِلَى الْحَقِّ . وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ ، وَمُرَادُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْصُلُ عَلَى
كُلِّ الْوَحْيَيْنِ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِزَّ بِمَنْ ، وَهَذَا الْوَحْيَانِ يَقْتَضِيَانِ تَقَرُّعَهُنَّ إِلَيْهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، وَالْحَقُّ : الْمَزَلُ ، وَلَمَّا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِلَّا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا
حَافِظٌ ﴾^(٢) فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهَا بِالنَّشْدِيدِ .

(١) ق د « وأراد بالطالم هدم نفسه » . (٢) سورة الطارق ٤ .

(٥٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين :

وَكَانَ نَدَاهُ أَمْرًا أَنَا التَّحِيَّاتُ بِالْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَالطَّاهِرُ أَنَّ رَشًا وَاحِدٌ ، وَنَبِيًّا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا تَتَرَبَّدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَتَزَيَّدُونَا ، وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بِرَّاءٌ ، فَهَذَا نَدَاؤِي مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْلَاقِ النَّازِلَةِ ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ ، فَمَعَاوِي عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاصِيهِ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمَكْدَرَةِ ، فَأَبَوْا ، حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ ، وَوَقَدْتُ يِيرَافَهَا وَخَشِثْتُ^(١) .

فَلَمَّا صَرَّسْتَنَا وَإِيَانَهُمْ ، وَوَضَعْتَ تَحَالِفَهَا بَيْنًا وَفِيهِمْ ، أَحَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الدِّيِّ دَعْوَتَهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، حَتَّى اسْتَنَاتَ عَنْهُمْ الْحُجَّةُ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الدِّيُّ أَنْقَدَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَعَّ وَتَعَادَى فَهُوَ الرَّائِكِسُ الدِّيُّ رَأَى اللَّهَ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ .

الْبَرْخُ :

رَوَى : « التَّقِيَّةُ وَالْقَوْمُ » بِالْوَاوِ ، كَمَا قَالَ :

« قُلْتُ إِذَا أَقْبَلْتُ وَزَهَرَ تَهَادَى *

وَمَنْ لَمْ يَرَوْهَا بِالْوَاوِ فَقَدْ اسْتَرَاخَ مِنَ التَّكَلُّفِ .

قَوْلُهُ : « وَالطَّاهِرُ أَنْ رَتَبًا وَاحِدًا » ، كَلَامٌ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ لِأَهْلِ رِصَالَيْنِ مِنْ جَنْبِ مَعَاوِيَةَ حُكْمًا قَاطِعًا ، بِإِسْلَامِ ، بَلْ قَالَ : ظَاهِرُهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَلَا خَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِيهِ ، بَلْ الْخُلُوفُ فِي دَمِ عُمَانَ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُلْنَا لَهُمْ : نَعَالُوا أَمْتُطُقُ هَذِهِ الْمَازِرَةَ الْآنَ بَوَاضِعَ الْحَرْبِ ، إِلَى أَنْ تَمْتَدَّ قَاعِدَتِي فِي الْخِلَافَةِ وَتَزُولَ هَذِهِ الشَّوَالِفُ الَّتِي تَكْدَرُ عَلَى الْأَمْرِ ، وَيَكُونُ لِلنَّاسِ حِمَاةٌ تَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَعْمَكُنْ مِنْ قَتْلَةِ عُمَانَ فَأَعْيَانِهِمْ فَأَقْتَصَّ مِنْهُمْ ، فَأَتَوْا إِلَّا الْمَكَابِرَةَ وَالْمَعَالِبَةَ وَالْحَرْبَ .

قَوْلُهُ : « حَتَّى حَضَحَتْ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ » ، حَضَحَتْ : أَهْلَتْ ، وَمَعَهُ : قَدْ جَمَعَ اللَّيْلُ ، أَيْ أَهْلَ ، وَرَكَدَتْ : دَامَتْ وَثَمَّتْ .

قَوْلُهُ : « وَوَقَدْتُ نِيرَانَهَا » ، أَيْ التَّهَيَّأْتُ .

قَوْلُهُ : « وَحَشِشْتُ » ، أَيْ أَسْتَمَرَّتْ وَشَتَّتْ . وَرَوَى : « وَأَسْتَحْشَمْتُ ^(١) » وَهُوَ أَصَحُّ ؛ وَمِنْ رَوَاهَا « حَمَسْتُ » بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ أَرَادَ اسْتَدَّتْ وَصَلَّتْ .

قَوْلُهُ : « فَلَمَّا خَرَسْنَا وَإِيَّاهُمْ » أَيْ عَصَيْنَا بِأَضْرَاسِهَا ، وَيُقَالُ : خَرَسَهُمُ الدَّهْرُ ، أَيْ اسْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ .

(١) فِي « د » وَاسْتَحْرَثَ . وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا

قال : لما أشتدت الحرب علينا وعليهم ، وأكث متا ومنهم ، عادوا إلى ما كنّا سألناهم
أثناءه ، وضرّعوا إلينا في رفع الحرب ، ورفّعوا المصاحف يسألون الرسول على حكمها ،
وأعماد السيف ، فأجبناهم إلى ذلك .

قوله : « وسارغناهم إلى ما طلبوا » كلمة فصيحة ، وهي تعديّة الفعل اللازم ، كأنها لما
كانت في معنى السابقة ، والسابقة متعديّة عدّى التسارعة .

قوله : « حتى استنات » ، يقول : استمررنا على كفت الحرب ووصفها ، إجابة
لسؤالهم ، إلى أن استنات عليهم حقتنا ، ونطقت معاديرهم وشبهتهم في الحرب وشقّ العصا ،
فمن تمّ منهم على ذلك ، أي على انقياده إلى الحق بعد ظهوره له ، فدأله الذي حتمه الله من
الهلاك والوعذاب الآخرة ، ومن لمّح منهم على ذلك وتنادى في صلاله فهو الرّاكس ، قال قوم :
الرّاكس هنا بمعنى المرّكوس ، فهو مغلوب فاعل بمعنى معمول ، كقوله تعالى : ﴿ قَبُورِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ^(١) أي صرمتية ، وعدى أن اللقطة على بابها ، يعني أن من لمّح فقد
ركس نفسه ، فهو الرّاكس ، وهو المرّكوس ، يقال : ركسه وأركسه بمعنى ، والكتاب
العزيز جاء بالهمز فقال : ﴿ وَأَلَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسُوا ﴾ ^(٢) ، أي ردّهم إلى كفرهم ^(٣) ؛
ويقول : ارتكس فلان في أمرٍ كلّ نحاسه ، ورأى على قلبه ، أي رأى هو على قلبه ، كما
قلنا في الرّاكس ؛ ولا يجوز أن يكون الفاعل - وهو الله - محذوف ، لأنّ الفاعل لا يُحذف ،
بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف ، وليس بمحذوف ، ويكون المصدر وهو
الرّئين ، ودلّ الفعل عليه كقوله تعالى : ﴿ تَمَّ بِدَائِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا
الْآيَاتِ ﴾ ^(٤) أي بدأهم البداء . ورأى بمعنى عتب وعطى ؛ ورؤي « فهو الرّاكس
الذي رى على قلبه » .

(١) الفارعة ٧ . (٢) سورة ساء ٨٨ .

(٣) في د « كيدهم » . (٤) سورة يوسف ٣٥ .

قال : وصارت دائرة السوء على رأسه ، من ألقاظ القرآن العزيز ، قال الله تعالى :
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)^(١) والدوائر : الدُّوَل .

قال :

• وإنَّ على الباغي ثَمُورَ الدَّوَاوِئِ •

والدائرة أيضا : الهزيمة ، يقال : على من اسائرةُ منهما ، والدوائر أيضا الدَّوَاهِي .



(٥٩)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَسَّهَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْمَدْلِ ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِنَّهُ يَشِيءُ فِي الْحَوَرِ عَوَضًا مِنَ الْمَدْلِ ، فَأَحْتَسِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ ، وَانْتَدِلْ بِنَفْسِكَ فِيمَا افْتَرَسَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رَاحِيًا تَوَانَهُ ، وَمُتَخَوِّفًا مِقَاتَهُ .

وَأَقْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَمْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا فَطُ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتُهُ عَلَيْهِ حَرَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَنْ يُعْصِيكَ عَنْ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا ، وَمِنْ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَالْإِحْسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجَهْدِكَ ، هَبْ أَلَدَى يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْصَلُ مِنَ أَلَدَى يَصِلُ إِلَيْكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

الْبَرْخ :

[الأسود بن قطبة]

لم أفت إلى الآن على نسب الأسود بن قطبة ، وقرأت في كثير من النسخ أنه حلوان من بني الحارث بن كعب ؛ ولم أتحقق ذلك ، ولدي يغلب على ظني أنه الأسود بن زيد ابن قطبة بن عثم الأنصاري من بني عُمَيْد بن عَدِي . ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " ، وقال : بن موسى بن عتبة عمه فيمن شهد بدرًا (١) .

(١) الاستيعاب ١ : ٩٠ (طبعة نهضة مصر) .

قوله عليه السلام : « إذا احتجب هوى الوالى منته كثر من الحق » قولٌ صدق ،
لأنه متى لم يكن الحصان عند الوالى سواءً فى الحق حراً وظلماً .

ثم قال له : فإنه ليس فى الخور يوص من العدل ؛ وهذا أيضاً حق ، وفى العدل كل
اليوض من الخور .

ثم أمره باحتساب ما ينكر مثله من غيره ، وقد تقدم نحو هذا .

وقوله : « إلا كانت قرعته » كلمةٌ فصيحة ، وهى المرة الواحدة من الفراغ ،
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله : « إن الله يفيض الصحيح الفارغ لا فى شمل
الديب ولا فى شمل الآخرة » ، ومراد أمير المؤمنين عليه السلام ها هنا الفراغ من عمل
الآخرة خاصة .

قوله . « فإن أدى يصل إليك من ذلك أفصل من الذى يصل بك » ، معناه : فإن
أدى يصل إليك من ثواب الاحتساب على زعنة ، وحطت بك من مطالعهم والخياف
عليهم ، أفصل من الذى يصل بك من حراسة ديارهم^(١) وأعراضهم وأموالهم ؛
ولا شبهة فى ذلك ، لأن إحدى المستعين دائمة ، والأخرى منقطعة ، واسمع الدائم أفصل
من المنقطع .

(١) د : « ديارهم » تصحيف ، صوابه فى : د .

(٦٠)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الدين يطأ عملهم الحيوش^(١) :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ أَحْيَشُ مِنْ حُبَاةِ الْخِرَاحِ
وَعَمَالِ الْبِلَادِ :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّ قَدْ سَرَتْ خُودًا بِي مَرَّةٍ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ
بِمَا يَحِبُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَدَى ، وَصَرْفِ الشَّدَى ، وَأَنْ يُبْرَأَ إِلَيْكُمْ
وَالْيَ دِمَّتْكُمْ مِنْ مَعْرِةِ الْحَتَشِ ، إِلَّا مِنْ حَوَاجَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَحْدُ عَنْهَا مَذْهَبًا
إِلَى سَبْعِهِ^(٢) ، فَسَكَّلُوا مِنْ تَبَوُّنٍ مِنْهُمْ طَلَمًا عَنْ طَبْعِهِمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سَفَهَائِكُمْ
عَنْ مُصَارَاتِهِمْ ، وَاسْرُخْ لَهُمْ فِيمَا اسْتَنْتَيْتَهُ مِنْهُمْ ، وَأَنَا سَيِّئُ أَظْهَرِ الْحَتَشِ ،
فَارْهَوْا إِلَى مَعَالِيكُمْ ، وَمَا غَرَاكُمْ رِيَاءٌ بِعَيْنِكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا يُعْطِقُونَ دَفْعَهُ
إِلَّا بِاللَّهِ^(٣) وَبِي ، أَعِزُّهُ بِعَمَلِهِ اللَّهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح :

رَوَى « عَنْ مُصَارَاتِهِمْ » بِلَاغُ الشَّدَّةِ . وَحُبَاةِ الْخِرَاحِ : الَّذِينَ يَجْمَعُونَهُ ، حَتَّى الدَّ
وَالْحَوْضِ ، أَيْ جَمْعُهُ . وَالشَّدَى : الضَرْبُ وَاشْتَرَّ ، نَقُولُ : لَقَدْ أَشْدَيْتُ وَأَدْبَيْتُ ، وَإِلَى دِمَّتْكُمْ ،
أَيْ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَسْكُمُ^(١) ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ آدَى دِمَّتِيَا فَكَأَنَّ^(٥) آدَانِي » ،

(٢) مَحْضُوطُهُ لَهَجٌ : « إِلَّا مِنْ شَعْبِهِ » .

(٤) د د بِمَنْتِكُمْ .

(١) د « عَمَلُهُمُ الْحَيَشُ » .

(٣) د « بِإِذْنِ اللَّهِ » .

(٥) د د فَقَدْ .

وقال : إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا ، ويستحق هؤلاء دية ، أى أهل دية ، بحديث الصاف . والمرّة : المخرّة ، قال : الجيش ممنوع من أذى من يمرّ به من المسلمين وأهل الدية إلا من سدّ حوّة المصطرّ منهم خاصّة ، لأنّ المصطرّ تباح له الميتة فصلا عن غيرها .

ثمّ قال : فنكّلوا من تناول ، ورؤى « بمن تناول » بالياء ، أى « رفوه » . و « عن » فى قوله : « عن ظلمهم » ، يتعلّق ب« تناول » ، لأنّها فى معنى « اردعوا » ؛ لأنّ النكال يُوجب الردّع .

ثمّ أمرهم أن يكفّوا أيديّ أحداثهم وسفهاءهم عن مُدَارعة الجيش ومصادمته ، والتمترّض لنته عمّا استثناء ، وهو سدّ الجوعة عند الاضطراب ، فإنّ ذلك لا يجوز فى الشرع ، وأيضاً فإنّه يُمضى إلى فتنة وهرج .

ثمّ قال : « وأما بنو الطهر الخيش » ، أى أبا هريب منكم ، وسائر على إثر الجيش ، فاردفوا إلى مطالكم وما عمركم منهم على وجه العلّة والقهر ، فإنّ معبر ذلك ومتصيف لكم منهم .

(٦١)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت
ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ تَصْبِيحَ الْمَرْءِ مَا وَلَّى ، وَتَكْنُفُهُ مَا كُفِيَ ، لَعَنَ مَنْ حَاصِرٌ ،
وَرَأَى مُتَبَرِّئًا . وَإِنْ تَمَاطَيْكَ الْعَادَةُ عَلَى أَهْلِ تَرْقِيسِيَا ، وَتَمَطَّيَكَ مَسَالِحُكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ
— لَيْسَ لَهَا مَنْ يَنْتَعِمُهَا ، وَلَا يَرُدُّ الْعَتِيشَ عَنْهَا — إِرَأَى شَعَاعٌ ، فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ
أَرَادَ الْعَادَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ ، غَيْرَ مُشِيدٍ أَمْسِكِي ، وَلَا مَهِيْبٍ الْعَابِرِ ،
وَلَا سَادٍ ثَمَرَةٍ ، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوِّ شَوْكَةٍ ، وَلَا مُسْرِعٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرٍ ^(١) ، وَلَا مُخْرِجٍ
عَنْ أَمِيرِهِ .

الشرح :

[كميل بن زياد ونسبه]

هو كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان
ابن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلجة بن خالد بن مالك بن أدد . كان من أصحاب
علي عليه السلام وشيعته وحاصته ، وقتله الحجاج على الذهب فيمن قتل من الشيعة .
وكان كميل بن زياد عامل علي عليه السلام على هيت ، وكان صعيقا ، يمر عليه سرايا معاوية
تنهب أطراف العراق ولا يردّها ، ويحاول أن يحترق ما عنده من الصعف بأشرف يُغير

(١) في دد النصرة .

على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يحرقى تحراها من القرى التي على العرات ،
فأذكر عليه السلام ذلك من فعله ، وقال : إن من المعجز الحاصر أن يُهمل الوالي ما ورثه ،
ويتكلف ما ليس من تكليفه .

والمقتر : الهالك ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِبِغِيرٍ ﴾^(١) .
والمساح : جمع مسلحة ، وهي النواصع التي بنام فيها مائة من الخند لحايتها
ورأى شعاع ، بالفتح ، أى متفرق .
ثم قال له : « قد صرت حشرا » أى يكثر عليك ، مدق كما نعت أسن على الخسود ،
وكأن الحس لا يمنع من يكثر به ويمرّ عليه فكذلك أنت .
والثمرة : الثمرة . وعمرى : كافر ومفسد ، والأصل « عمرى » بالهمز ، جمع .

(٦٢)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر دحه الله

لما ولاه إمارتها :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُخَّاهُ نَمَتْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَدِيرًا لِلْعَالَمِينَ ،
وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ فَلَمَّا مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنَازَعَ الْمُشْرِكُونَ الْأَمْرَ
مِنْ أَمْدِهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي ، وَلَا يَحْطَرُّ بِسَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُرِجِعُ هَذَا
الْأَمْرَ مِنْ تَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنَّهُمْ مَسْخُوءٌ عَنِّي مِنْ
بَعْدِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا اسْتِثْلَالَ النَّاسِ عَنِّي فُلَانٍ بِسُلْبِهِ ، فَأَمْسَكَتُ بِيَدِي حَتَّى رَأَيْتُ
رَاحِمَةَ أَسَاسٍ قَدْ رَحِمَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْوِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، فَحَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَهُنَا أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَدْمًا ، تَكُونُ
الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَكْثَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَا بَيْتِكُمْ ، الَّتِي إِعَاةِي مَتَّعَ أَيَّامَ قَلَائِلَ ،
يُرْوَلُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يُرْوَلُ السَّرَابُ ، وَكَمَا يَتَمَتَّعُ السَّحَابُ ، فَهَمَّتُ فِي تِلْكَ
الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَرَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّ .

الْبُرْج :

المُهِمِّينَ : الشَّاهِدَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ ، أَيْ

تَشْهَدُ بِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ وَكُفْرِ مَنْ كَفَرَ . وَقِيلَ : تَشْهَدُ بِصِحَّةِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ .

وقوله : « على المرسلين » ، يؤكد صحة هذا التفسير الثاني ، وأصل اللقطة من « آمن غيره من الخوف » ، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، ثم تصرّفوا فيها فأبدلوا إحدى همزتي « مؤامن » بإه فصار « مؤيمن » ، ثم فسّوا الهمزة هاء كأرقت وهرقت فصار « مُهَيَّمن » .

والرّوع : الخلد ؛ وفي الحديث : « إن روح القدس أمثى رؤسى » ، قال : ما يحطار لي بال أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله من بني هاشم ، ثم من بني هاشم عتي ؛ لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة . وهذا الكلام يدل على نطّال دعوى الإمامية النصّ وحسبها الحلّى .

قال : « فما راعى إلا اشبال الناس » ، تقول للشيء بمحقّوك نعتة : ما راعى إلا كذا ، والرّوع بالفتح ، الفرع ، كأنه يقول : ما راعى شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي ، وملك النعمة التي اطمأننت إليها إلا وفروع ما وقع من اشبال الناس - أي انصباهم من كلّ وجه كما يثاب الرب - على أن يكر ، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر ، وإنما الناس يكتسبه الآن « إلى فلا » ندتها من ذكر الاسم كما يكتسبون في أوّل الشَّقِيقِيَّة : « أما والله لقد تمصّص فلا » ، واللفظ « أما والله لقد تمصّصها ابن أبي قحافة » .

قوله : « فأمسكت يدي » ، أي امتنع عن بيعته ، حتى رأيت راحة الناس ، يعني أهل الردة كسيلة ، وسحاح وطبيعة بن حويلد وماضي الزكاة ؛ وإن كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردّة أم لا .
ومحقّ الدين : إبطاله .

ورهب : خرج وزال . نهته : سكن ، وأصله السكت ، تقول : نهبت السبع فتهبته ،

أى كَفَّ عن حركته وإقدامه ، فكانَ الدِّينَ كانَ متحرِّكاً مضطرباً فسكن وكف عن ذلك الاضطراب .

رَوَى أَبُو حَظْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا مَاتَ اجْتَمَعَ أَسَدٌ وَعُظْفَرٌ وَطَيْيٌّ عَلَى طَلِيحَةَ بْنِ حُوَيْلِدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَوَاصِّ أَقْوَامٍ فِي الطَّرَائِفِ الثَّلَاثِ ، فَاجْتَمَعَ أَسَدٌ بِسَمِيرَاءَ ، وَعُظْفَرَانِ بِمَنْحُوبِ طَيْيَّةٍ ^(١) وَطَيْيٌّ فِي حُدُودِ أَرْضِهِمْ ، وَاجْتَمَعَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَسَدٍ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ قَيْسٍ بِالْأُرُقِ ^(٢) مِنَ الرِّبْدَةِ ، وَتَأَشَّ ^(٣) إِلَيْهِمْ نَاسٌ مِنْ بَنِي كَسَاةٍ ، وَمِنْ تَحْمِلِهِمُ اللَّادِ ، فَافْتَرَقُوا فَرَعَتَيْنِ : أَقَامَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُرُقِ ، وَسَارَتْ الْأُخْرَى إِلَى دِي الْقَصَّةِ ، وَبِشَرُوا وَهَوْدًا إِلَى أَبِي مَكْرٍ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَقَارِمَهُمْ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَمَعَ الزَّكَاةِ ، فَرَمَّ اللَّهُ لِأَبِي مَكْرٍ عَلَى الْحَقِّ ، فَقَالَ : لَوْ مَسَّوْنِي عِقَالًا ^(٤) لَمَاضَتْهُمْ عَلَيْهِ . وَرَجَعَ الْوَهْدُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَحْرَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَأُطْمَعُوهُمْ فِيهَا وَعَلَّمَ أَبُو مَكْرٍ وَالْمَسْلُومُونَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ أَبُو مَكْرٍ : أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ ، إِنَّ الْأَرْضَ كَافَرَةٌ ، وَقَدْ رَأَى وَفْدُهُمْ مِنْكُمْ قِتْلَةً ، وَإِذَا لَمْ يَنْدُرُوا لَيْلًا تَوْتُنُونَ أُمَّ نَهَارًا ، وَأَدْبَانَهُمْ مِنْكُمْ عَلَى رِيْدٍ ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يَأْمَلُونَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ وَتُؤَادِقَهُمْ ، وَقَدْ أَيَّسَا عَلَيْهِمْ ، وَبَدْنَا إِلَيْهِمْ ، فَأَعِدُّوا وَاسْتَعِدُّوا . فَخَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ سَلَامٌ سَعْسَعَةً ، وَكَانَ عَلَى نَقَبٍ مِنْ أَتْقَابِ الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ الزَّيْبُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمْ فَكَانُوا عَلَى الْأَتْقَابِ الثَّلَاثَةِ ، فَلَمْ يَلْشُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَرَقَ الْقَوْمُ الْمَدِينَةَ عَارَةً مَعَ اللَّيْلِ ، وَحَلَقُوا نَعَصَهُمْ بِدَى حُسْنَى

(١) فِي الْأَصُولِ : « طَيْيَّة » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « الْأُرُقِ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الطَّبْرِيِّ .

(٣) تَأَشَّوْا إِلَيْهِمْ : انصَبُوا .

(٤) أَرَادَ بِالْعِقَالِ الْحُلَّ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ الْعَبْرَاءُ كَمَا يُؤْخَذُ فِي لُبْلِ الصَّدَقَةِ وَانْظُرْ نِهَايَةَ ابْنِ الْأَثِيرِ .

ليكونوا ردها لهم ، فوافوا الأتقاب وعلبها المسجون ، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ، صلوا ، وحرّج أبو بكر في جمع من أهل المدينة على التواضع ، فانتشر الصدّ بين أيديهم ، وسمعهم السلّون على التواضع حتى بلغوا داحسى ، فخرج عليهم السّكّين بأنحاء^(١) قد تقصوها ، وجعلوا فيها الجبال ، ثم دَهْدَهوها بأرجلهم في وجوه الإبل ، فتدَهْدَه^(٢) كلّ يخى منها في طوكه^(٣) فمرت إبل المسلمين ، وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء - فآزارها من الأنحاء - فعاحت بهم لا يملكوها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرع منهم أحد ولم يُصَب ، فمات المسجون ثلث الليلة يتهيّئون ، ثم حرحروا على تعبئة ، فاطلع المحرّ إلاً وهم والقوم على صعيد واحد ، فلم يسموا للمسلمين حيّاً ولا ممّاً حتى وصموا بهم السيف ، فافتتروا أعمار لينهم ، فا دَرَّ قرن الشمس الا وقد وتوا الأضرار وعلوهم على عامة ظهرهم ، ورحموا إلى المدينة عاهرين^(٤) .

قلت : هذا هو الحديث الذى أشار عليه السلام إلى أنه مهين فيه أمام أنى بكر . وكنه جواباً عن قول قائل : إنه عمل لأنى بكر ، وحده بين ينى أنى بكر ، فبى عليه السلام عدّاه في ذلك ، وقال : إنه لم يكن كما طته نقاتل ، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين ، فإنه واحد سواء كان للنس إمام أو لم يكن .

[ذكر ما طمن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها]

ويسمى حيث جرى ذكر أنى بكر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن ذكر ما أورده قاصى القضاة في "المنى" ، من الطعاع التى طمن بها فيه وجواب قاصى القصاة

(١) الأنحاء - جمع بحى ، وهو الرى (٢) دَهْدَهوها : دصوها .

(٣) الطول : أجل يشده - (٤) تروى الطبرى ٣ - ٢٤٤ (طعة المعارف) مع تصرف واختصار .

عنها ، واعتراضُ المرتضى في "الشافى" على قاضى القصة ، وبذكر ما عندنا في ذلك ، ثم نذكر مطاعن أخرى لم يذكرها قاضى القصة .

[الطعن الأول]

قال قاضى القصة بعد أن ذكر ما طعن به فيه في أمر فذكر ، وقد سبق القول فيه .
ومما طعن به عليه قولهم : كيف يصح للإمامة من يُحجر عن نفسه أن له شيطانا يمتريه
ومن يحذر الناس نفسه ، ومن يقول : « أقبلوا » بعد دحوله في الإمامة ، مع أنه لا يحل
للإمام أن يقول : أقبلوا السَّيئة !

أجاب قاضى القصة فقال إن شيخنا أبا على قال : لو كان ذلك نقب فيه لكان قولُ
الله في آدم وحواء : ﴿ فَوَسَّوْا هُمَا الشَّيْطَانُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ فَارْتَبِعَا الشَّيْطَانَ ﴾^(٢) ،
وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَقَى الشَّيْطَانَ فِي
أُمْنِيَّتِهِ ﴾^(٣) ، يوجب المنع في الأنبياء . وإذا لم يجب ذلك ، فكذلك ما وصف به أبو بكر
نفسه ، وإعما أراد أنه عبد المصطفى يُشفيق من المعصية ويحذر منها ، ويحاف أن يكون
الشيطان بعريه في تلك الحال فيؤسوس إليه ، وذلك منه على طريق التزجر لنفسه عن
المعاصي ، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ترك محاصمة ساس في حقوقه بشفاقا
من المعصية ، وكان يؤلى ذلك عقيلا ، فله أسى عَقِيل كان يؤنبها عبد الله بن جعفر فأما
ما رُوي في إقالة النبيه فهو خبر ضعيف ، وإن صح فالمراد به التنبيه على أنه لا يزال لأمر
يرجع إليه أن يُقبله الناس البيه ، وإعما يصرون بذلك أنفسهم ؛ وكأنه نبه بذلك

(١) سورة الأعراف ٢٠ . (٢) سورة القرة ٣٦

(٣) سورة الحج ٥٢ .

على أنه غير مكروه لهم ، وأنه قد خلاهم وما يهدون إلا أن يعرض ما يوجب خلافه . وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أقالَ عبد الله بن عمر البية حين استقاله ، والمراد بذلك أنه تركه وما يختار .

اعترض المرتضى رضي الله عنه فقال : أما قول أبي بكر : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ، فإن استقمتم فأتبعوني ، وإن أعوججتم فموتوني ، فإن لي شيطانا يعتريني عند عصبى ، فإذا رأيتوني منضبا فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم » ، فإنه يدل على أنه لا يصلح للإمامة من وجهين : أحدهما أن هذا صفة من ليس بمصوم ، ولا يأمن السلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذا وقع في المعصية ، وقد بينا أن الإمام لا بد أن يكون مصوما موقفا مسددا ، والوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه ، ولا يصيبط غضبه ، ومن هو في نهاية الطيش والحدة والحرق والقحظة . ولا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف ، غير حاصل عليها وليس يُشبهه قول أنى نكر ما تلاه من الآيات كلها . لأن أنكر حذر عن نفسه بطاعة لشيطان عند العصب ، وأن عادته بذلك حارية ، وليس هذا بمرئيه من بؤسوس إليه الشيطان ولا يطعمه ، ويرين له القبيح فلا يأتيه ، وليس وسوسة الشيطان بعيب على الموسوس له إذا لم يستره ذلك عن الصواب ، بل هو زيادة في التكليف ، ووجه يتضاعف معه الثواب ، وقوله تعالى : ﴿ أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ قيل : معناه في تلاوته ؛ وقيل : في فكرته ، على سبيل الحاضر ، وأى الأمرين كان ، فلا عار في ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ولا عيب ، وإى العار والنقص على من يطيع الشيطان ويتبع ما يدعو إليه . وليس لأحد أن يقول : هذا إن سلم لكم في جميع الآيات لم يسلم في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَاهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ؛ لأنه قد حذر عن تأثير غوايته ووسوسته بما كان منهما من الفعل . وذلك أن المعنى الصحيح في هذه الآية أن آدم وحسوا . كانا مندوبين إلى اجتباب الشجرة وترك تناول منها ، ولم يكن ذلك عليهما واجبا لازما ،

لأنَّ الأنبياء لا يُجِلُّون بالواح ، فوسوس لها الشيطان حتى تناول من الشجرة ، فتركها
مدبواً إليه ، وحرماً بذلك أنفسهما أشوب ، وسوء إرلا لا ، لأنه حطَّ لهما عن درجة الثواب
وفعل الأفضل ، وقوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(١) لا ينافي هذا
المعنى ، لأنَّ المعصية قد يُسمَّى بها من أجل الواح والتدب معاً . قوله : « فغوى » أى
خف من حيث لم يستحق الثواب على ما تدب إليه . على أن صاحب الكتاب يقول :
إنَّ هذه المعصية من آدم كانت صغيرة لا يستحق بها عقاباً ولا دماً ، فعلى مذهبه أيضاً
تكون المفارقة بينه وبين أى مكر ظاهره ، لأنَّ أما مكر حبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه
حتى يؤثر في الأشعار والأشجار ، ويأثي ما يستحقه التقويم ، فأثي هذا من ذنب صغير
لا دم ولا عذاب عليه ، وهو يحترى من وجه من الوجوه يحترى الباس ، لأنه لا يؤثر في
أحوال فاعله ^(٢) وحطَّ رتبته ؛ وليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الحشية والإشفاق على
ما ظنَّ ، لأنَّ مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك ، ألا ترى أنه قال : « إنَّ لى شيطاناً
يعترينى » وهذا قول من قد عرَّف عادته ، ولو كان على سبيل الإشفاق والحنو لخرج
عن هذا المخرج ، ولكان يقول : فإنى لا آمن من كذا وإنى لمشتق منه . فأمَّا ترك
أمير المؤمنين عليه السلام محاسبة الناس في حقونه فكأنه إنما كان ندرها وتكرماً ؛
وأى نسبة بين ذلك وبين من صرح وشهد على نفسه ما لا يليق بالآئمة وأما خبر استقالة
البيعة وتضعيف صاحب الكتاب له فهو أبداً يصتف ما لا يوافقه من غير حجة يعتد بها
في تضعيفه . وقوله : إنه ما أستقال على التحفيق ، وإما أنه على أنه لا يبالى بخروج الأمر
عنه ، وأنه غير مكرهم عليه ؛ فيعبد من أصواب ؛ لأنَّ ظاهر قوله « أفيلونى » أمرٌ بالإقالة ،
وأقلُّ أحواله أن يكون عزمها لها وتدلاً ، وكلاً الأمرين قبيح . ولو أراد ما ظنه لكان له

في غير هذا القول مندوحة ، ولكان يقول : إني ما أكرهتكم ولا تحببتكم على مبايعتي ، وما كنت أبالي ألا يكون هذا الأمر في ولايتي ، وإن معارفته لتسرتني لولا ما أكرهت به الدخول فيه من التمسك به ، ومتى عدلنا عن طواهر الكلام بلا دليل ، جرى ذلك علينا ما لا يقل لنا به . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يقل أس عمر البينة بعد دخولها فيها وإنما استعفاء من أن يلزمه الشيعة ابتداء فاعفاء فنه فكر فيه ، وعلماً بأن إمامته لا تثبت بمبايعة من يبايعه عليها ، فإن هذا من استقالة بيعة قد تقدمت وأستقرت (١) !

قلت : أما قول أبي بكر : « ولستم ولست ببحركم » فقد صدق عند كثير من أصحابنا لأن حرم علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومن لا يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصري . والله إنه يعلم أنه حريم ، ولكن للؤمن به ضم نفسه . ولم يطمئن المرتضى في هذه اللفظة لطيل القول فيها . وأما قول المرتضى عنه إنه قال : « فإن لي شيطاناً يعزبني عند عصبي » ، فالشهور في الرواية : « فإن لي شيطاناً يعزبني » (٢) ، قال المفسرون : أراد بالشيطان المصيبة وشبه شيطاناً على طريق الاستعارة ، وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين في « المرور » . قال معاوية لإسحاق عصب في حضرته فكلمتم بما لا يشككم مثله في حصره الخلفاء : ارتفع على ظنكم (٣) أيها الإنسان ، فإنما عصب شيطان ، وإن لم نقل إلا حيراً .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن حرير الطبري في « كتاب التاريخ الكبير » حطقت أبي بكر عقيب بيعة بالسقية ، وعن نذكرها نقلاً من كتابه ، أما الخطبة الأولى هي :

(١) الشافعي ٤١٥ ، ٤١٦ . (٢) أي من غير ذكر لفظ « عصب » .

(٣) أربع على نفسك ؛ أي توقف .

أما بعد أيها الناس ، فَإِنِّي وَلِيَّتُكُمْ وَلَسْتُ بِمُخَيِّرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِيسُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَعَوِّمُونِي ، لَأَنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ حَيَاةٌ ، الضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ عِندِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، وَالْقَوِيُّ مِنْكُمْ ضَعِيفٌ عِندِي حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ بِهِ ، لَا يَدَّعِ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَضْرِبَهُمُ اللَّهُ بِاللِّدِّ ، وَلَا تَشْعُرُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهَمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ . أَطِيعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ : هُوُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ رَحِيمٌ مِنَ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُهُ ^(١) . إِنْ اللَّهُ أَسْطَقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآهَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مَتَّعٌ وَلَسْتُ بِمُتَشَوِّعٍ ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَاتَّبِعُونِي ، وَإِنْ رُعْتُ فَعَوِّمُونِي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُصِّصَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُقُهُ بِعِلْفَةٍ ضَرْبَةٍ سَوْطًا فَمَا دُونَهَا إِلَّا وَلِيٌّ لِي شَيْطَانًا يَمْرُسُنِي ، فَإِذَا عَصَيْتُمْ فَأَحْتَسِبُونِي لَا أَؤْتِرُ فِي أَشْجَارِكُمْ وَأَنْشَارِكُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ تَعْدُونَ وَتَرْوِحُونَ فِي أَحْلٍ هَذَا غَيْبٌ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ اسْتَظَمْتُمْ إِلَّا بِمَصِيٍّ هَذَا الْأَحْلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَظِلُّوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَاسْقُوا فِي مَهَلٍ آحَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آحَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آحَالَهُمْ ، وَحَمَلُوا أَعْمَالَهُمْ لَعِيرَمَ ، فَاسْهَأْكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . الْحَدُّ الْجَدُّ ! الْوَحْدُ الْوَحْدُ ! فَإِنْ رَأَيْتُمْ طَالِبًا حَيْثُ ، أَحْلُ ^(٢) مَرَّةً سَرِيعَ . احْدَرُوا الْمَوْتَ ، وَاعْتَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبَاءَ وَالْإِحْوَانَ ، وَلَا تَمِطُوا الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا يُعَبِّطُ بِهِ الْأَمْوَاتُ ^(٣) .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْتُلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا يُرَادُ بِهِ وَحَقُّهُ ، فَأَرِيدُوا وَحْدَ اللَّهِ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَاعْمَلُوا

(١) الطبري : « يطيق » .

(٢) الطبري : « أحلا » . (٣) إلى هذا في النسخة الأخيرة : « ولا يمتطوا الأحياء » .

أَنْ مَا أَخْلَصْتُمْ لَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَلَطَاعِيَةً أَيْتَمُّوْهَا ، وَحَطَّ ظَنَرْتُمْ بِهِ ، وَضَرَّائِبَ أَدَيْتُمُوْهَا ،
وَسَلَبَ قَدَمْتُمُوْهُ مِنْ أَيَّامٍ ثَابِتَةٍ لِأُخْرَى نَاقِيَةٍ ، لِحَيْسٍ فَفَرَكْتُمْ وَحَاحَتِكُمْ ؟ فَاعْتَرَوْا عِبَادَ اللَّهِ عَنْ
مَاتَ مِنْكُمْ ، وَتَمَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ أَيْنَ كَلَّوْا أَمْسَ وَأَيُّنَ هُمْ الْيَوْمَ ! أَيْنَ الْحَتَّارُونَ ؟
أَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْعُدَّةِ فِي مَوْطِنِ الْحَرْبِ ! قَدْ تَصَمَّصَعَ بِهِمُ اللَّهُمَّ ، وَصَارُوا
رَمِيماً ، قَدْ تَرُكْتَ عَلَيْهِمُ الْقَالَاتِ الْحَبِثَاتِ ، وَآتَدَ الْحَبِثَاتِ لِلْحَبِثِينَ وَالْحَبِثُونَ لِلْحَبِثَاتِ .
وَإِنَّ الْمَلُوكَ أُنْدَى أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ! قَدْ بَمَدُّوا بَسِيَّ دَكْرِهِمْ ، وَبَنَى دَكْرُهُمْ
وَصَارُوا كَلَّاشِيً . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَى عَلَيْهِمُ التَّيَمَّاتِ ، وَقَطَّعَ عَنْهُمْ أَشْهُوَاتِ وَمَصَوَّاتِ
وَالْأَعْمَالِ أَعْمَالُهُمْ ، وَالْدُنْيَا دِيَارُ عَيْرِهِمْ ، وَبَقِيَا حَقّاً مِنْ نَعْمِهِمْ ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَرَيْنَا بِهِمْ
نَحْوَمَا ، وَإِنْ اعْتَرَيْنَا كَمَا مِثْلُهُمْ . أَيْنَ الْوَمَاءُ ^(١) الْخَسَنَةُ وَخَوْهُمُ ، الْمُعْتَبُونَ نَشَابَهُمْ !
صَارُوا تَرَانَا ، وَصَارَ مَا فَرَطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ ، أَيْنَ الَّذِينَ سَوَّاءِ الدَّائِي وَحَصَّنُوْهَا بِالْحَوَائِظِ ،
وَحَصَّنُوا فِيهَا الْمُحَافَاتِ ، وَتَرَكَوْهَا لِمَنْ حَقَّقَهُمْ ! فَتَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ حَاوِيَةً ، وَهُمْ فِي ظُلْمِ
الْقُبُورِ ، ﴿ هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ أَوْ نَسَمِعُ لَهُمْ رِكْرَأً ﴾ ^(٢) . أَيْنَ مَنْ نَعْرِفُونَ مِنْ
آبَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ! قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ آحَالُهُمْ فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ
وَالسَّعَادَةِ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ
حَيَراً ، وَلَا يَتَصَرَّفُ عَنْهُ شَيْءٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبَادٌ مُدْبِشُونَ ،
وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا تَقْوَاهُ وَعِبَادَتُهُ . أَلَا وَبِهِ لَا حَبِيرَ بِحَبِيرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ لَشَرٍّ
بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ^(٣) .

فَهَذِهِ حُطْبَتَا أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ السَّقِيَّةِ ، وَايُّوْمِ أُنْدَى بَدِيهِ ، إِنَّمَا قَالَ : « إِنَّ لِي شَيْطَاناً
يَعْتَرِينِي ، وَأَرَادَ بِالشَّيْطَانِ الْغَضَبَ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ لَهُ شَيْطَاناً مِنْ مَرَدَةِ الْجَنِّ يَعْتَرِيهِ إِذَا

(١) الوماء : دَوْرُ الْوَسَاءَةِ وَالْمَسِي . (٢) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٩٨ .

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

نصب الزيادة فيما ذكره المرتضى في قوله : « إن لي شيطاناً يمتري عند غضبي » ، تحريف لا عمالة ، ولو كان له شيطان من الجن يمتاده ويؤنه لكان في عداد المصروعين من المجانين ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لا من أوليائه ولا من أعدائه ؛ وإنما ذكرنا خطبته على طولها والمراد منها كلمة واحدة ، لئلا يفهم من الفصاحة والموعظة على عادتنا في الاعتناء بإبداع هذا الكتاب ما كان داهياً هذا لذهب ، وسالك هذا السيل .

فأما قول المرتضى : « فهذه صفة من ليس بمقصوم » ، فالأمر كذلك والعصمة عندنا ليست شرطاً في الإمامة ولولم يدل على عدم اشتراطها ؛ إلا أنه قال على الخبر بمحذور الصحابة هذا القول ، وأقرّوه على الإمامة - لكن في عدم كون العصمة شرطاً ، لأنه قد حصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك ، إذ لو كان شرطاً لأبكر منكرو إمامته كما لو قال : **إِنِّي لَا أَصِدُّ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَعَنِ الزَّوْلِ**

فأما قوله . « هذه صفة طائر لا عليك منه » ، فليسرى إن أبا بكر كل حديداً ، وقد ذكره عمر بذلك ، وذكره غيره من الصحابة بالجداء والسرعة ؛ ولكن لا بحيث أن تبطل به أهليته للإمامة ؛ لأن أئمة يظن الإمامة من ذلك وما يجرح الإنسان عن العقل ، وأما ما هو دون ذلك فلا . وليس قوله : « فأحسنوني لا أؤثر في أعماركم وأبشاركم » محمول على طاهره ، وإنما أراد به المبالغة في وصف القوة المصيبة عنده ، وإلا فما سمعنا ولا نقلناقل من الشيعة ولا من غير الشيعة أن أبا بكر في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في الخاهلية ولا في أيام خلافته أحققت على إنسان فقام إليه فصر به بيده ومزق شعره .

فأما ما حكاه قاضي القضاة عن الشيخ أبي علي من تشبيه هذه اللفظة بما ورد في القرآن ؛ فهو على تقدير أن يكون أبو بكر عني الشيطان حقيقة . وما أعتصم به البرصى ثابته عليه غير لازم ، لأن الله تعالى قال : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ، وتمثّل ذلك قولها

وسوسته ، وأكلهما من الشجرة ، فكيف يقول المرتضى : ليس قول أبي بكر بمنزلة من
وسوس له الشيطان فلم يُطعه ! وكذلك قوله تعالى في قصة موسى لما قتل القبطي : ﴿ هَذَا
مِنْ تَمَلُّلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ فَأَرَأَيْتُمَا الشَّيْطَانَ عَمَّا هُوَ
وَقَوْلُهُ ﴾ : ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، وما ذهب إليه المرتضى من التأويلات مبنية على مذهبه
في العصمة السكتية ، وهو مذهب يحتاج في نصرته إلى تكلف شديد ويستف عظيم في تأويل
الآيات ؛ على أنه إذا سلم أن الشيطان أنقذ في بلاوة الرسول صلى الله عليه وآله ما ليس من
القرآن حتى ظنه السامعون كلاماً من كلام الرسول ، فقد نقص دلالة التسمير المفتضية عنه
في العصمة ، لأنه لا تغيير عنه أبلغ من تمكين الله الشيطان أن يحلط كلامه بكلامه ،
ورسوله يؤديه إلى المكلفين حتى يعتمد السامعون كالم أن الكلامين كلام واحد .

وأما قوله : بن آدم كل مبدواً إلى الأبد كل من الشجرة لا يحرم عليه أكلها ،
ولمعة « عصى » إنا المراد بها جاليد السدود^(١) ، ولمعة « عوى » ؛ إنا المراد « حاب »
من حيث لم يستحق الثواب على إيمانها ما يذب إليه ؛ فنقول يدفعه ظاهر الآية ، لأن الصيغة
صيغة النهي ، وهي قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ واسمى عند المرتضى يقتضي التحريم
لا محالة ، وليس الأمر الذي قد يراد به التدب ، وقد يراد به الوُحوب .

وأما قول شيخنا أبي علي : إن كلام أبي بكر حرج محرر الإشفاق والحدار من العصية
عند الغضب مجيد .

وأعترض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ دال على غير لارم ، لأن هذه عادة العرب ،
يمزجون عن الأمر بما هو منه بسبب وسيل ، كقولهم : لا تدن من الأسد فياً كلك ، وليس
أنهم قطعوا على الأكل عند الدنو ، وإنما أراد الحذر والحوط والتوقع للأكل عند
الدنو .

(١) ١ : « التدب » .

وأما الكلام في قوله : « أفيلوي » ، فلو صَحَّ الخبرُ لم يكن فيه مطعن عليه ، لأنه إنما أراد في اليوم الثاني اختبارَ حالهم في البيعة التي وقعت في اليوم الأول ليعلم وليُّه من عدوِّه منهم ؛ وقد رَوَى جميعُ أصحاب السِّيرَانِ أميرَ المؤمنين حَطَب في اليوم الثاني من بيعته فقال : أيُّها الناس ؛ إنكم بايعتموني على السمع والطاعة ، وأنا أعرض اليوم عليكم ما دعوتكموني إليه أمس ، فإن أحْتَمَ قعدتُ لكم ، وإلا فلا أحد على أحد . وليس بحيد قول المرتضى : إنه لو كان يريدُ المرض والسُّل لكان قد قال كذا وكذا ، فإن هذه مُصَابِقة منه شديدة للألفاظ ، ولو شرعنا في مثل هذا لفسد أكثر ما يتكلم به الناس . على أن لو سلمنا أنه استقالهم البيعة حقيقةً ، فلم قل المرتضى : إن ذلك لا يجوز ؟ أليس يجوز للقاضي أن يستقبل من القضاء بعد توليته^(١) إتياء ، ودخوله فيه ! فكذلك يجوز للإمام أن يستقبل من الإمامة إذا أس من نفسه صمًا عنها ، أو أس من دعيته نوة عنه ، أو أحسن بصاد يشأ في الأرض من جهة ولايته على الناس ؛ ومن يذهب إلى أن الإمامة تكون بالاختيار كيف يجمع من حوار استقالة الإمام وحده إلى الأمة أن يختاروا غيره لئلا يعلمه من حال نفسه ! وإنما يجمع من ذلك المرتضى وأصحابه القائلون بأن الإمامة بالنص ، وإن الإمام عمرٌم عليه ألا يقوم بالإمامة ، لأنه مأمور بالقيام بها لتعيينه خاصة دون كل أحد من المكلفين . وأصحاب الاختيار يقولون : إذا لم يكن ريد إماماً كان عمرٌو إماماً عوضه ، لأنهم لا يعترضون الشروط التي يعتبرها لإمامية من المصنعة ، وأنه أفضل أهل عصره وأكثرهم ثواباً وأعلمهم وأشجعهم ، وغير ذلك من الشروط التي تقتضي تفرده وتوحيده بالأمر ، على أنه إذا حار عدم أن يترك الإمام الإمامة في الظاهر كما فعله الحسن ، وكما فعله غيره من الأئمة بعد الحسين عليه السلام للتقية ، جاز للإمام

(١) كذا في أو د ، وفيه : « توليه » .

على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامة طاهراً واطناً لمدركه من حال نفسه أو حال رعيته .

الطعن الثاني

قال قاضي القضاة بعد أن ذكر قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فتنه » .. وقد تقدم مما القول في ذلك في أول هذا الكتاب : ومما علموا به على^(١) أبي بكر أنه قال عند موته ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاثة ، قد ذكر في أحدها : ليتني كنت سألت : هل للأئصار في هذا الأمر حق ؟ قالوا ، وذلك يدل على شكه في صحة بيعته ، وربما قالوا : قد روي أنه قال في مرضه . ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكن كشيء ، وليتي في طلة بني ساعدة كنت : فمرت على [بق]^(٢) أحد الرّحيلين ، فكان هو الأمير ، وكنت الورير . قالوا : وذلك يدل على ما روي من إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع علي عليه السلام والزبير وغيرهما فيه ، ويدل على أنه كل يرى الفصل لغيره لا لنفسه .

قال قاضي القضاة : والحواب أن قوله : « ليتني » لا يدل على الشك فيها تمام ، وقول إبراهيم عليه السلام : « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قُلْ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قُلْ بَلَى وَلَكِنْ لِيُظْهِرَنَّ لِيْظْمَانِ قَلْبِي »^(٣) أقوى من ذلك في الشبهة . ثم حمل تميمه على أنه أراد سماع شيء مفصل ، أو أراد : ليتني سألته عند الموت ، لقرب العهد ، لأن ما قرب العهد لا يُسبى ويكون أردع للأئصار على ما حاولوه . ثم قال : على أنه ليس في ظاهره أنه تسمى أن

(١) ب : « ي » . (٢) تكملة من كتاب الثاني .

(٣) سورة الفرقة ٦٢ .

يسأل : هل لهم حق في الإمامة أم لا ؟ لأن الإمامة قد يتمتع بها حقوق سواها . ثم دفع الرواية المتعلقة ببیت فاطمة عليها السلام ، وقال : فأما نعتيه أن يبيع غيره ؛ فلو ثبت لم يكن ذمّا لأن من اشتد التكليف عليه فهو يتمنى خلافه ^(١) .

لعترض المرتضى رحمه الله هذا الكلام فقال : ليس يجوز أن يقول أبو بكر : « ليتني كنت سألت عن كذا » . إلا مع الشك وشبهة ، لأن مع العلم واليقين ^(٢) لا يجوز مثل هذا القول ، هكذا يقتضي الظاهر ، فأما قول إبراهيم عليه السلام ، فإنما سأل أن يعدل عن ظاهره لأن الشك لا يجوز على الأشياء ، ويجوز على غيرهم ؛ على أنه عليه السلام قد سأل عن نفسه الشك بقوله : ﴿ تَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، وقد قيل : إن مُرَوِّدَ قال له : إذا كنت زعم أن لك دماً يُحمي الموتى سألته أن يُحمي لنا ميتاً إن كان على ذلك قادراً ، فإن لم تفعل ذلك قتلناك ، فأراد بقوله : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، أي لآمنَ توعدَ عدوك لي بالقتل . وقد يجوز أن يكون طلب ذلك تقوّمه وقد سألوه أن يرعى إلى الله تعالى فيه فقال : ليطمئن قلبي إلى إجابتك لي ، وإلى إراحة عينة قومي ، ولم يرد : ليطمئن قلبي إلى أنك تقدر على أن تُحمي الموتى ؛ لأن نفسه قد كان بذلك مطمئناً ، وأى شيء يريد أبو بكر من التمسيل أكثر من قوله : « بـ » هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الحق من قريش ! وأى فرق بين ما يقال عند الموت وبين ما يقال قبله إذا كان محفوظاً معلوماً ، لم تُرفع كلمة ولم تُسح !

وبعد ، فظاهر الكلام لا يقتضي ^(٣) هذا التخصيص ، ونحن مع الإطلاق والظاهر . وأى حق يجوز أن يكون للأئمة في الإمامة غير أن يتولاهم رجل منهم حتى يجوز أن يكون الحق الذي نعتي أن يسأل عنه غير الإمامة ! وهل هذا إلا تصف وتكلف !

(١) نقل المرتضى في الشارح ٤١٩ . (٢) تاج : « اليقين » . (٣) ١ : « يلقي » .

وأى شبهة تبقى بعد قول أبي بكر : لينى كنت سأله : هل للأئصار فى هذا الأمر حق فكلنا لا نتارعه أهله ؟ ومعلوم أن التدرع يقع بينهم إلا فى الإمامة نفسها ، لا فى حق آخر من حقوقها .

فأما قوله : إنا قد بينا أنه لم يكن منه فى بيت فاطمة ما يوجب أن يتبنى أنه لم يفعله ؛ فقد بينا فساد ما ظنه فيما تقدم .

فأما قوله : إن من اشتد التكليف عليه قد يسمى حلافه ؛ فليس بصحيح ؛ لأن ولاية أبى بكر إذا كانت هى التى اختصها الدين ، والنظر للمسلمين فى تلك الحال وما عداها كان معسدة ، ومؤدباً إلى الفتنة ، فالتمنى لحلافها لا يكون إلا فيجاً^(١) .



قلت : أما قول قاصى المصاه : إن هذا ، انتهى لا يقتضى الشك فى أن الإمامة لا تكون إلا فى فريش ، كما أن قول إبراهيم : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، لا يقتضى شك فى أنه تعالى قادر على ذلك فحيد .

فأما قول المرتضى : إنما سأل أن يمدح عن الطاهر فى حق إبراهيم لأنه سئ معصوم لا يحور عليه الشك ؛ فيقال له : وكذلك يسمى أن يمدح عن صاهر كلام أبى بكر ، لأنه رجل مسلم عاقل ، فحسن الظن به يقتضى صيانة أفئدة وأقواله عن التافص . قوله : إن إبراهيم قد نفي عن نفسه الشك بقوله : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فبنا : إن أبى بكر قد نفي عن نفسه الشك بدفع الأئصار عن الإمامة وإثباتها فى فريش خاصة ، فإن كانت لفظة « بلى » دافعة لشك إبراهيم الذى يقتضيه قوله : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، فعلى أبى بكر وقوله يوم السقيفة

(١) الشافى ٤١٩ ، وفى د : « إلا سبعا » .

يَدْفَعُ الشَّكَّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ : « لَيْتَنِي سَأَلْتُهُ » ، وَلَا فَرْقَ فِي دَفْعِ الشَّكِّ بَيْنَ أَنْ يَتَقَدَّمَ
الدَّافِعُ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَوْ يُقَارَنَ .

ثمَّ يُقَالُ لِلْمُرْتَضَى : أَلَسْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ « الشَّاقِي » - بَيَّنْتَ (١) أَنَّ قِصَّةَ
السَّقِيمَةِ لَمْ يَحْمَرْ فِيهَا ذِكْرُ نَصٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَانِ الْأُئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَاكِ إِلَّا احتِجَاجُ أَبِي نَكْرٍ وَعَمْرٍ ثَانِ قُرَيْشٍ أَهْلُ الْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَطْلُغُ عِزَّ قُرَيْشٍ ؛ وَذَكَرْتَ عَنْ الزَّهْرِيِّ وَعِيره أَنَّ الْقَوْلَ
الْمُتَّاعِدَ عَنِ أَبِي نَكْرٍ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَيْسَ نَصًّا مَرْوِيًّا
عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَوْثِقٌ قَالَهُ أَبُو نَكْرٍ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ ، وَرَوَيْتُ
فِي ذَلِكَ الرِّوَايَاتِ ، وَنَقَلْتُ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ تَلْوِيحِ الطَّرِيقِ وَعِيره صُورَةَ الْكَلَامِ وَالْحَدَالِ
الدَّائِرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ ! هَذَا كُلُّهُ هَذَا قَوْلُكَ هَبْ سَكْرًا عَلَى أَبِي نَكْرٍ قَوْلُهُ : لَيْتَنِي كُنْتُ
سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقٌّ ؟ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْمَعْ النَّصَّ
وَلَا دَوَاهٍ وَلَا رَوَى لَهُ ؛ وَإِنَّمَا دَفَعَ الْأَنْصَارَ سَوْعًا مِنَ الْحَدَالِ ؛ فَلَا حَرَمَ بَعِيٍّ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : لَيْتَنِي كُنْتُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ
مِمَّا يَقْتَضِي شَكَّهُ فِي بَيِّنَتِهِ كَأَرْعَمِ الطَّاعِي ، لِأَنَّهُ إِذَا بَشَّكَ فِي بَيِّنَتِهِ لَوْ كَانَ قَالَ قَاتِلُ
أَوْ دَهَبُ دَاهِبٍ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْأَنْصَارِ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ ذَلِكَ ، بَلِ الرَّاعِ
كُلُّهُ فِي : هَلِ الْإِمَامَةُ مَقْصُورَةٌ عَلَى قُرَيْشٍ - صَدَقَ ، أَمْ هِيَ فَوْضَى بَيْنِ السَّائِسِ كُلِّهِمْ ؟
وَإِذَا كَانَتْ الْحَالُ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي بَيِّنَتِهِ وَقَوْلُهُ : « لَيْتَنِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا حَقٌّ ؟ » لِأَنَّ بَيِّنَتَهُ عَلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ تَكُونُ
صَحِيحَةً .

(١) فِي د « أَثْبَتَ » .

فأما قولُ قاضي القضاة : لعله أراد حقاً للأعصار غير الإمامة نفسها ؛ فليس بجيد ،
والذي اعترضه به المرتضى جيد ، فإن الكلام لا يدلُّ إلا على الإمامة نفسها ، ولفظه المازعة
تؤكد ذلك .

وأما حديث المجهوم على بيت «اطمة عيب السلام فقد تقدّم الكلام فيه ، والظاهرُ
عندي صحة ما يرويه المرتضى والثيمة ، ولكن لا كل ما يروونه ، بل كل بمص ذلك ،
وحق لأبي بكر أن يدم ويتأسف على ذلك ، وهذا يدلُّ على قوة ديبه وحقه من الله تعالى ،
فهو بأن يكون منقبة^(١) له أولى من كونه طعنا عليه .

فأما قولُ قاضي القضاة : إن من اشتد التكليفُ عليه فقد يتمنى خلافة واعتراضُ
المرتضى عليه ، فكلام قاضي القضاة أصح وأسوب ، لأن أبا بكر - وإن كانت ولايته
مصلحةً وولايةً غيره ممسدة - فإنه ما يتمنى أن يكون الإمام غيره ، مع استلزام ذلك
للمسدة ، بل تمنى أن يلى الأمر غيره وتكون المصلحة محالها ، ألا ترى أن حصال
الكفارة في اليمين كل واحدة منها مصححة ، وما عداها لا يقوم مقامها في المصلحة ،
وأحدها يقوم مقام الأخرى في المصلحة فان أبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبو عبيدة
بشرط أن تكون المصلحة الدينية التي تحصل من نيته حاصلة من نيته كل واحد
من الآخرين .

الطعن الثالث

قالوا : إنه ولي عمر الخلافة ، ولم يوثقه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً

(١) منقبة أي مصرة .

من أعماله البتة إلا ما وآلاه يوم خيبر ، فرجع مهزوماً وآلاه الصدقة ، فمما شكاه العباس عزله .

أحاب قاضي القضاة بأن تركه عليه السلام أن يوليّه لا يدلّ على أنه لا يصلح لذلك ، ونوليّته إياه لا يدلّ على صلاحيته للإمامة ، فإنّه صلى الله عليه وآله قد ولىّ خالد بن الوليد وعمر بن العاص ، ولم يدلّ ذلك على صلاحيتهما للإمامة ، وكذلك تركه أن يوليّ لا يدلّ على أنه غير صالح ، بل اعتبر الصّفات التي تصلح للإمامة ، فإذا كملت صلح لذلك ، ولىّ من قبل أولئك ، وتثبت أن النبي صلى الله عليه وآله ترك أن يوليّ أمير المؤمنين عليه السلام أموراً كثيرة ولم يحبّ إلا من يصلح لها ، وثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّ الحسين عليه السلام أبته ، ولم يمنع ذلك من أن يصلح للإمامة . وحكى عن أبي عليّ أن ذلك إنما كان يصحّ أن يتعلق به لو طعروا تنقص من عمرهما وآلاه ، فأما وأخواله معروفة في قيامه بالأمر حين تعجز عمن ، فكيف يصحّ ما قالوه ! وبعد فهلا دلّ ما روي من قوله : وإن تولّوا عمر نحدّوه فربما في أمر الله ، فويّ في بدنه على حوار ذلك ! وإن ترك النبي صلى الله عليه وآله توبيّته ، لأنّ هذا القول أقوى من العمل ^(١) .

اعتزص المرتضى رحمه الله فقال : قد عيّنا بالمادة أن من ترشّح لكبار الأمور لا بدّ من أن يدرّج إياها بصغارها ، لأنّ من يريد نصب الملوك تأهيله للأمر من بعده لا بدّ من أن يدرّج عليه بكلّ قول وعد يدلّ على ترشيحه لهذه المدة ، ويستكفيه من أمور ولاياته ^(٢) ما يعمّ عنده أو يعاب على طئه صلاحه ما يريدّه له . وإن من يرى الملك مع حصوره وامتداد الزمان ونطاؤه لا يستكفيه شيئاً من الولايات ، ومتى وآلاه عزله ؛ وإنما يوليّ غيره ويستكفي سواء ، لا بدّ أن يغيب في الظنّ أنه ليس بأهل للولاية ، وإن جورنا أنه لم يولّه لأسباب كثيرة سوى أنّه لا يصلح للولاية ، إلّا أن مع هذا التحوير لا بدّ أن

(١) نقل المرتضى في الشافعي ٤١٩ . (٢) الشافعي : من أموره وولاياته .

يُنْبَلِ عَلَى الظَّنِّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ . فَأَمَّا حُلُّهُ وَعَمْرُوهُ فَإِنَّمَا لَمْ يَصْلُحَا لِلْإِمَامَةِ لِقَدْرِ شُرُوطِ الْإِمَامَةِ فِيهِمَا ، وَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ لِمَا وَرِثِيَهُ مِنَ الْإِمَارَةِ ، فَتَرِكَ الْوَلَايَةَ مَعَ أَمْتِدَادِ الزَّمَانِ وَتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ، وَجَمِيعِ الشُّرُوطِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَقْتَضِي غَسَّةَ الظَّنِّ لِقَدْرِ الصَّلَاحِ ، وَالْوَلَايَةَ لَشَيْءٍ (١) لَا تَدُلُّ عَلَى الصَّلَاحِ لِفَيْرِهِ إِذَا كَانَتْ الشَّرَائِطُ فِي الْقِيَامِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ مَعْلُومًا فَقَدْ هُيَا . وَقَدْ نَجَّدَ الْمَلِكُ يُوْنُسَ مِنْ مَضَرِّ أُمُورِهِ مِنْ لَا يَصْلُحُ لِمُكَّتْ بَعْدَهُ لظُهُورِ قَدْرِ الشَّرَائِطِ فِيهِ ، وَلَا يَحْوَِرُ أَنْ يَكُونَ بِمَحْضَرَّتِهِ مِنْ يُرَشِّحُهُ لِلْمُكَّةِ بَعْدَهُ ، ثُمَّ لَا يُؤَلِّيه عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ شَيْئًا مِنَ الْوَلَايَاتِ . فَبِإِنِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَلَايَةِ وَتَرْكِهَا فِيهَا ذَكَرْنَاهُ .

فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ لَمْ يَتَوَسَّعْ فِي أُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ ، فَقَدْ تَوَلَّى أَكْثَرَهَا وَأَعْظَمَهَا وَحَلَفَهُ فِي أَمْدِيَّةٍ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْجَيْشِ الْمَعْبُوثِ إِلَى حَبِيرَ ، وَجَرَى الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ هَزَمَ مِنْ أَهْلِهَا مَسَاحًا ، وَكَانَ الْمُؤَدَّى عَنْهُ سُورَةُ بَرَاءَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ عَرَلِ عَمَّا وَارِدَ بِهَا مِنْهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْوَلَايَاتِ وَالْمَقَامَاتِ عَمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُؤَلِّ عَلَيْهِ وَآلِيًا قَطُّ لَكَوْ .

فَأَمَّا اعْتِرَاضُهُ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَوَّلَ الْحُسَيْنَ صَعِيدًا عَنْ الصَّوَابِ ، لِأَنَّ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَطُلْ فَيَسْتَمَكُّ فِيهَا مِنْ صَرَاحَاتِهِ ، وَكَانَتْ عَلَى قِصَرِهَا مُنْقَسِمَةً بَيْنَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَوَبَّعَ لَمْ يَنْتَ أَسْخَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّصْرَةِ فَاجْتَنَحَ إِلَى قِتَالِهِمْ ، ثُمَّ انْكَفَأَ مِنْ قِتَالِهِمْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَمَقَّبَ ذَلِكَ أَهْلُ التَّهْرَوَانِ ، وَلَمْ تَسْتَقِرَّ بِهِ الدَّارُ وَلَا أَمْتَدَّ بِهِ الزَّمَانُ ، وَهَذَا بِحُلَاكِ أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي تَطَاوَلَتْ وَامْتَدَّتْ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ أَحِيهِ الْحَسَنِ ، وَإِنَّمَا تُطَلَّبُ الْوَلَايَاتُ لَعَنَةِ الظَّنِّ بِالصَّلَاحِ لِلْإِمَامَةِ .

فَبِإِنِ كَانَ هَذَا وَجْهُ يَقْتَضِي الْعَمَلُ بِالصَّلَاحِ لَهَا كُلُّ أَوَّلَى مِنْ طَرِيقِ الظَّنِّ ، عَلَى أَنَّهُ

لاحلاف بين المسلمين أن الحسين عليه السلام كان يصلح للإمامة وإن لم يؤله أبوه
الولايات ، وفي مثل ذلك خلاف من حال عمر ، فافترق الأمران . فأما قوله : إنه لم يعثر
على عمر بتقصير في الولاية ، فمن سلم بذلك ! أو ليس يعلم أن مخالفته تعدّ تقصيرا كثيرا ،
ولو لم يكن إلا ما اتفق عليه من خطئه في الأحكام ورجوعه من قول إلى غيره ، واستثنائه
الناس في الصغير والكبير ، وقوله : كلّ الأمر . أفقه من عمر ، لكان فيه كفاية . وليس
كلّ انهووس بالإمامة يرجع إلى حسن التدبير والسياسة الدياوية ورمّ الأعمال والاستظهار
في حباية الأموال وتمصير الأمصار ووضع الأعشار ، بل حظ الإمامة من العلم بالأحكام
والفتيا بالحلل والحرام ، والتاسيح والتسوح ، وإحكام والتشابه أقوى ، فمن قصر في هذا
لم يسمعه أن يكون كاملا في ذلك .

فأما قوله : مهلادل ما روى من ثوبه عليه السلام : فإن « ولئتم عمر واحد قوم قويا
في أمر الله قويا في بدنه » ، فهذا لو كانت ليدن وقد تقدم القول^(١) عليه . وأقوى ما يبيطله
عدول أنى نكر عن ذكره ، والاحتجاج به لما أراد المنصّر على عمر ، فموت على ذلك وقيل
له : ما نقول لربك إذ ولّيت علينا قمّا عيظا ! هو كل صحيحا لكان يحتج به ويقول :
ولّيت عليكم من شهد المي صلى الله عليه وآله ذاته قويا في أمر الله ، قويا في بدنه .
وقد قيل في القلم على صحة هذا الخبر : إن طاهره يقتضي تفصيل عمر على أنى نكر ،
والإجماع بخلاف ذلك ، لأن القوة في الجسم فصل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا اللَّهُ اسْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ نَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٢) . وبعد ، فكيف يُمارض ما اعتمدناه من
عدوله عليه السلام عن ولايته . وهو أمر معلوم بهذا الخبر الردود المدفوع !

قلت : أما ما ادّعه من عادة الملوكة ، فالأمر بخلافه ، فإنّ قد وقفنا على
سير الأكليمة وملوك الروم وغيرهم ما سمعنا أن أحد منهم رشح ولده

للملك بعده باستعماله على طرف من الأطراف ، ولا جيش من الجيوش ، وإنما كانوا يشقونهم بالآداب والفروسيّة في مقام مُنكهم لا غير ، والحال في ملوك الإسلام كذلك ، فقد سمعنا بالدولة الأمويّة ، ورأينا الدولة العباسيّة ، فلم نعرف الدولة التي ادّعاه المرتضى ، وإنما قد يقع في الأقلّ النادر شيء مما أشار إليه ، والأعلّ الأكثر خلاف ذلك . على أن أصحابنا لا يقولون إنَّ عمرَ كل مرشّح بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ليُقَالَ لهم : فلو كان قد رَشَّحه للخلافة بعده لاستكفاه كثيرا من أموره ؛ وإنما عمرُ مرشّح عندهم في أيام أبي بكر للخلافة بعد أبي بكر ، وقد كان أبو بكر استعمله على القضاء مدّة خلافته ، بل كان هو الخليفة في المعنى ، لأنه قوَّص إليه أكثر التدبير ، فعلى هذا يكون قد سلّمنا أن ترك استعمال النبي صلى الله عليه وآله لعمرَ يدلّ على أنه غير مرشّح في نظره للخلافة بعده ، وكذلك تقول : ولا يلزَم من ذلك ألا يكون خليفة بعد أبي بكر ، على أن لا نسلم أنه عالم بمعمله ، فقد ذكر الواقدي وابن إسحاق أنه بعثه في سرّيّة في سنة سبع من الهجرة إلى الوادي المعروف بثرمة - بضم الباء وفتح الراء - وبها جمع من هوازن ، فخرج ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسرون الليل ويكتمون النهار ، وأتى الخبر هوازن فهوربوا ، وجاء عمر محتلهم ، فلم يبقَ منهم أحد ، فانصرف إلى المدينة .

ثم يُعارض المرتضى بما ذكره قاضي القضاة من ترك تولية عليّ ابنه الحسين عليهما السلام ، وقوله في المُذَر عن ذلك : إنَّ عليّاً عليه السلام كان مممّواً يخرّب الثعالة والحوارج لا يدفع المعارضة ؛ لأنَّ تلك الأيام التي هي أيام حروبه مع هؤلاء هي الأيام التي كان ينبغي أن يولي الحسين عليه السلام بعض الأمور فيها ، كاستعماله على جيش بعده سرّيّة إلى بعض الجهات ، واستعماله على الكوفة بعد حروجه منها إلى حرب صيفين ، أو استعماله على القضاء ،

وليس اشتغاله بالحرب يمنع له عن ولاية ولده ، وقد كان مشتغلا بالحرب ، وهو يولى
بني عمه العباس الولايات والملاذ الحبيبة .

فأما قوله : على أنه قد نص عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن ؛ فهذا يُفنى عن توليته
شيئا من الأعمال ؛ فلما نزل أن يمنع ما ذكره من حديث النص ، فإنه أمره بتعديده
الشبهة وأكثر أبواب أسير والتواريخ لا يدكرون أن أمير المؤمنين عليه السلام نص
على أحد . ثم إن سماعه ذلك ساع لفاصى ، نقضه أن يقول : إن قول النبي صلى الله عليه
وآله : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبى بكر وعمر » ؛ ينفي عن تولية عمر شيئا من
الولايات ، لأن هذا القول أكد من الولاية في ترشحه للخلافة .

فأما قوله . على أنه لا خلاف بين المسلمين في صلاحية الحسين للخلافة
وإن لم يولّه أبوه الولايات ، وفي عمر خلاف صاهر بين المسلمين ، فليست أن يقول له :
إجماع المسلمين على صلاحية الحسين للخلافة لا بدفع المارسة ، بل يؤكد بها ،
لأنه إذا كانت المسلمون قد أجمعوا على صلاحيته للخلافة ولم يكن ترك تولية أبيه
إتاء الولايات قادحا في صلاحيته له بعده ، حار أيضا أن يكون ترك تولية
رسول الله صلى الله عليه وآله عمر الولايات في حياته عبر قادح في صلاحيته
للخلافة بعده .

ثم ما ذكره من تقصير عمر في الخلافة بطريق اختلاف أحكامه ، ورجوعه إلى
فتاوى العلماء ، فقد ذكرنا ذلك فيما تقدم لنا نكلمنا في مطاعن الشيعة على عمر
وأجبنا عنه .

وأما قوله : لا يُفنى حسن التدبير والسياسة ورم الأمور ، مع القصور في الفقه ،
فاصحابا يذهبون إلى أنه إذا تساوى اثنان في حصال الإمامة إلا أنه كان أحدهما أعلم والآخر

أَسْوَم ، فإنَّ الأسْوَمَ أولى بالإمامة ، لأنَّ حاجةَ الإمامة إلى السَّياسة وحُسن التدبير
أَكْثَرُ من حاجتها إلى العِلْم والعِفَّة .

وأما الخبر المَرْوِيّ في عَمَر - وهو قوله : وإنَّ تَوَلَّوْها عَمَر - فيجوز ألا يكون
أبو بكر سَمِيحاً من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، ويكون الراوى له غيره ، ويجوز أن
يكون سَمِيحاً وشَدَّ عنه أن يَحْتَجَّ به على طَبْعَةِ لَمَّا أَسْكُر استخلافَ عَمَر ، ويجوز
ألا يكون شَدَّ عنه وترك الاحتجاج به استعفاءً عنه لئله أن طابَعَهُ لا يُمْتَدَّ بقوله عند
الناس إذا طرأ قولُه . ولَمَّا كَسَى عن هَذَا لَمَسَ بقوله : إذا سَأَلَنِي رَبِّي فَلَئِنْ
استخلفتُ عليهم خَيْرَ أَهْلِكَ ؛ على أَنَا مَتَى فَتَحْنَا بَابَ « هَلَّا احْتَجَّ فَلَانَ بِكَذَا »
حَرّاً عَلَيْنَا مَا لَا يَقُولُ لَنَا بِهِ . وقيل : هَلَّا احْتَجَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طَلْحَةَ وَعَائِشَةَ وَالزَّيْرَ
بقول رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله : « مَنْ كَتَبَ مُوَلَاءَ هَذَا عَلَيَّ مُوَلَاءَ » ، وهَلَّا احْتَجَّ
عليهم بقوله : « أَتَى مَتَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَلَا يُمَكِّنُ الشَّيْخَةُ أَنْ يَتَدْرُوا هَاهُنَا
بِالتَّقِيَّةِ ، لأنَّ الشُّيُوفَ كَانَتْ قَدْ سَلَّتْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَقَامُ تَقِيَّةٍ .

وأما قوله : هَذَا الْخَبَرُ لَوْ صَحَّ لَا قَتَصَى أَنْ يَكُونَ عَمَرُ أَفْضَلَ مِنْ أَيْ بَكْرٍ ، وَهُوَ
خِلَافُ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَمِثَالُ أَنْ يَقُولَ : مَ قُلْتَ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ
أَفْضَلُ مِنْ عَمَرٍ ، مَعَ أَنَّ كُتُبَ الْكَلَامِ وَالتَّصَايِفِ الْمُصَنَّفَةَ فِي الْمَقَالَاتِ مَشْحُونَةٌ بِذِكْرِ
الْعِرْقَةِ الْعُمَرِيَّةِ ، وَهِيَ طَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ، يُقَالُ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مَسَّاهُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُفْقَهَاءِ يَذْهَبُونَ
إِلَى هَذَا ، وَيُنَظِّفُونَ عَلَيْهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدُلُّ اخْتِرَافُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُرْتَضَى ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ
عَمَرُ أَفْضَلَ مِنْهُ بِاعْتِبَارِ قُوَّةِ الْبَدَنِ ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ مُطْلَقاً ، فَمَنْ الْخَائِزُ أَنْ
يَكُونَ بِإِزَاءِ هَذِهِ الْخُلُصَّةِ خِصَالٌ كَثِيرَةٌ فِي أَيْ بَكْرٍ مِنْ حِصَالِ الْخَيْرِ يُفَضَّلُ بِهَا عَلَى عَمَرٍ ،

ألا ترى أننا نقول : أبو دُحانة أفصل من أبي بكر بمجاهده بالسيف في مقام الحرب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفصل منه مطلقا ، لأن في أبي بكر من حصال الفضل ما إذا قيس بهذه الحصلة أربى عليها أضعافا مضاعفة .

الطعن الرابع

قالوا : إن أبا بكر كان في جيش أسامة ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كرّر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامة ، فتأخّر بنفسه بحالفة الرسول صلى الله عليه وآله . فإن قلتم : إنه لم يكن في الجيش ، ميل لكم : لا شك أن عمر بن الخطاب كان في الجيش ، وأنه حبسه ومنعه من التفرّد مع القوم . وهذا كالأول في أنه معصية ، ورتما قالوا : إنه صلى الله عليه وآله حمل هؤلاء القوم في جيش أسامة ليتعدوا بعد وفاته عن المدينة ، فلا يقع منهم ثوب على الإمامة ، ولذلك لم يحمل أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الجيش ، وحمل فيه أبا بكر وعمر وعثمان وعبرهم ، وحدث من أوكد الدلالة على أنه لم يرد أن يختاروا للإمامة (١) .

أجاب قاضي القضاة بأن أسكر أولا أن يكون أبو بكر في جيش أسامة ، وأحال على كتب المصاري ، ثم سلم ذلك وقال : إن الأمر لا يقتضي الفور ، فلا يلزم من تأخّر أبي بكر عن التفرّد أن يكون عاصيا . ثم قال : إن خطابه صلى الله عليه وآله بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجّها إلى القائم بعده ، لأنّه من خطاب الأئمة ، وهذا يقتضي ألا يدخل الخطاب بالتنفيذ في اللجنة ، ثم قال : وهذا يدلّ على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه ، لأنّه لو كان لأقتل بالخطاب عليه ، وحسنه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع .

ثم ذكر أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لابد أن يكون مشروطاً بالصلحة وبأن لا يعرض ما هو أهم منه ، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالسفود ، وإن أعقب ضرراً في الدين ، ثم قوى ذلك بأنه لم يُسَكر على أسامة تأخره ، وقوله : « لم أكن لأسأل عنك الرّكْب » ؛ ثم قل : لو كان الإمام منصوباً عليه خذراً أن يستردّ حشاً أسامة أو بهمه لضرته ، وكذلك إذا كان بالاختيار ، ثم حكى عن الشيخ أن علياً استدلاله على أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة بأنه ولّاه الصلاة و مرّاه ، مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ والمخرج .

ثم ذكر أن الرسول صلى الله عليه وآله إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ومحوها عن احتياده ، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي ، كما يجب في الأحكام الشرعية ، وأن احتياده يجوز أن يخالف بعد وحيه ، وإن لم يخز في حياته ، لأن احتياده في الحياة أولى من احتياده بغيره ، ثم ذكر أن السيرة في احتساب عمر عن الحسن حاجة إلى تكرار إليه ، وقيامه بما لا يقوم به غيره ، وأن ذلك أحوط لدين من نفوذه .

ثم ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام حارّت معاوية بأمر الله تعالى وأمر رسوله ، ومع هذا فقد ترك محاربته في بعض الأوقات ، ولم يحب بذلك ألا يكون ممثلاً للأمر . وذكر توليته عليه السلام أبا موسى ، وتولية الرسول صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد مع حرّى (١) منهما وأن ذلك يقتضي الشرط .

ثم ذكر أن من يصلح للإمامة ممن صمّه جيش أسامة يجب تأخيرُه ليختار للإمامة أحدهم ، فإن ذلك أهم من نفوذهم ، فإذا حارّ هذه السيرة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاونة وغيرها ، وطعن في قول من حمل إن إخراجهم في الجيش على حجة الإمداد لهم عن المدينة بأن قال : إن بُعِدَهم عن المدينة لا يجمع من أن يُختاروا للإمامة ،

ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعاً على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : قُذِّوا جيش أسامة في حياتي . ثم ذكر أن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي فصله وأنها دونه ، وذكر ولاية عمرو بن العاص عليهما وإن لم يكونا دونه في الفصل ، وأن أحدا لم يُضَلَّ أسامة عليهما .

ثم ذكر أن السب في كون عمر من حملة جيش أسامة أن عبد الله بن أبي ربيعة الخزوي قال عبد ولاية أسامة : تولى علينا شاباً حَدَّثَ ونحن مشيخة قریش ! فقال عمر : يا رسول الله ، مرني حتى أصرب عقه ، فقد طس في تأميرك إياه ، ثم قال : أما أخرج في جيش أسامة توأماً وتمولياً لأمره عليه السلام .

اعترض المرتضى هذه الأخوة ، فقال : أما كون ابن بكر في جملة جيش أسامة مطاهر ، قد ذكره أصحاب السير والنوابع ، ويذكر راي البلاذري في تاريخه وهو معروف بالثقة والصسط ؛ وروي من ثماله الشهية ومصدرتها ، أن أبا بكر وعمر ما كانا في جيش أسامة ، والإنكار لما يجري هذا الجري لا يُعْبَى شيئاً ، وقد كان يجب على من أحال بذلك على كتب الفأري في الجملة أن يوصي إلى الكتب المتضمنة لذلك بعينه ليرجع إليه ، فأما خطابه عليه السلام بالتنفيذ للجيش فالتصود به الفور دون التراخي ، إنا من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرى ذلك لغةً ، وإما شره من حيث وحدنا جميع الأمة من لدن الصحابة إلى هذا الوقت يحملون أوامرهم على الفور ^(١) ، ويطلبون في تراخيها الأدلة . ثم لو لم شت كل ذلك لكان قول أسامة : لم أكن لأسأل عنك الرك ، أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور ، لأن سؤال الرك عبث عليه السلام بعد وفاته لا معنى له .

(١) الشافعي : « من حيث دلل دليل الشرع عليه » .

وأما قول صاحب الكتاب : إنه لم يُكر على أسامة تأخره فليس بشيء ،
 وأى إكراه أبلغ من تكراره الأمر ، ونرداده القول في حال يُشغل عن المهم ،
 ويُقطع الفكر إلا فيها ! وقد كرّر الأمر على الأمور نارة بتكرار الأمر ، وأخرى
 فيه . وإذا سلمنا أن أمره عليه السلام كان متوخها إلى القائم بعده بالأمر لتعيد الجيش
 بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج المحدث بالتعبد عن الجملة ؛ وكيف يصح ذلك
 وهو من جملة الجيش ، والأمر متضمن لتعبد الجيش ! فلا بد من نفوذ كل من كان في
 محله ، لأن تأخر بعضهم بسبب إسهال اسم الجيش على الإطلاق أو لس من مذهب
 صاحب الكتاب أن الأمر ناشئ أمر عما لا يتم إلا منه ! وقد اعتمد على هذا في مواضع
 كثيرة ، فإن كان خروج الجيش ونفوده لا يتم إلا بمخرج أى بكر ، فالأمر بمخرج الجيش
 أمر لأبى بكر بالنفوذ والخروج ، وكذلك لو أُقِل عليه على سبيل التحصيص ؛ وقال :
 نادوا جيش أسامة ، وكان هو من جملة الجيش ، فلا بد أن يكون ذلك أمراً له بالخروج
 واستدلاله على أنه لم يكن هناك إمام مخصوص عليه عموم الأمر بالتعبد ، ليس بصحيح ؛
 لأننا قد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين ، ولم يتوجه إلى الإمام بعده ؛ على أن
 هذا لازم له ، لأن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً ، فلم يعمم الخطاب ولم يرد به الواحد
 فيقول : ليعقد القائم من بعدى بالأمر جيش أسامة ، فإن الحال لا يختلف في كون الإمام
 بعده واحداً بين أن يكون مخصوصاً به أو مختاراً .

وأما ما ادّعى أن الشرط^(١) في أمره عليه السلام لم بالنفوذ باطل ، لأن إطلاق
 الأمر يمتنع من إثبات الشرط ، وإنما ثبت من الشروط ما يقتضى الدليل إثباته من
 التمكن والقُدرة ، لأن ذلك شرطاً ثبت في كل أمر ورد من حكيم ، والمصلحة
 بخلاف ذلك ، لأن الحكيم لا يأمر بشرط المصلحة ، بل إطلاق الأمر منه يقتضى ثبوت
 المصلحة وانتفاء الفسدة ، وليس كذلك التمكن ، وما يجري مجراه ، ولهذا لا يشترط

(١) في د « وأما ادعائه الشرط » .

أُحْدِثُ فِي أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالشَّرَائِعِ الْمَصْلُحَةِ وَانْتِفَاءِ الْمُسَدَّةِ .
وَشَرَطُوا فِي ذَلِكَ التَّمَكُّنَ وَرَفَعَ التَّمَدُّرَ ، وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ مَصْصُوحًا عَلَيْهِ بَعْبُهُ وَأُمَمُهُ لَمَّا حَارَ
أَنْ يَسْتَرِدَّ حَيْشَ أُسَامَةَ ؛ بِخِلَافِ مَا ضَرَفَهُ ، وَلَا يَمْرُلُ مَنْ وَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يُولَّى مِنْ عَرَلِهِ
لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

فَإِنَّمَا اسْتَدْلَالُ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى أَنَّ أَنَا نَكْرَمُ بِكَ فِي الْحَيْشِ بِحَدِيثِ الصَّلَاةِ ، فَأَوَّلُ مَا فِيهِ
أَنَّهُ اعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِتَنْمِيزِ الْحَيْشِ كَانَ فِي الْحَيَاءِ دُونَ نَعْدِ الْوَفَاةِ ، وَهَذَا بِإِقْصَى مَا نَسَى
صَاحِبُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ أَمْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ إِنَّمَا قَدْ نَسِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُؤَلِّهِ الصَّلَاةَ وَدَكَرَ مَا فِي ذَلِكَ . ثُمَّ مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ
يُؤَلِّهِ تِلْكَ الصَّلَاةَ إِنْ كَانَ وَلَّاهُ إِيَّاهَا ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالْعُودِ مِنْ بَعْدِ مَعَ أَخْذِشْ ! فَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا يَقْتَضِي أَمْرَهُ بِهَا عَلَى التَّأْيِيدِ

وَأَمَّا ادِّعَاؤُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَأْمُرُ بِالْحُرُوبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا عَنْ أُحْتِهَادِ
دُونَ الْوَحْيِ ، فَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا ، لِأَنَّ حُرُوبَهُ عِنْدَ السَّلَامِ لَمْ يَكُنْ يَتَّصِلُ بِهَا بِمَحْتَضٍ
بِمَصَالِحِ أُمُورِ الدُّنْيَا ، بَلْ لِلدُّنْيَا فِيهَا أَقْوَى تَعَمُّقٍ ، لِيَا يَعُودُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَاهِدِهِ بِفَتْوحِهِ مِنْ
الْعَرِّ وَالْقُوَّةِ وَعَبْوِ الْكَلَمَةِ . وَلَيْسَ يَحْرَى ذَنْتَ مَجْرَى أَكَلِهِ وَشُرْبِهِ وَبُومِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ
لَا تَعَلَّقُ لَهُ بِالَّذِينَ ، فَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ عَنِ رَأْيِهِ ، وَلَوْ حَارَ أَنْ نَكُونَ مَعَارِيهِ وَنَمُوتهُ مَعَ اسْعُلُو
أَقْوَى لَهَا بِالَّذِينَ عَنْ أُحْتِهَادِ لِحَارَ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَامِ .

ثُمَّ لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ أُحْتِهَادِ لِحَارَ سَاعَتِ بِحُفْنِهِ فِيهِ نَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا لَا تَسُوعُ فِي حَيَاتِهِ .
فَكُلُّ عِلَّةٍ تَمْنَعُ مِنْ أَحَدِ الْأُمُورِ هِيَ مَانِعَةٌ مِنَ الْآخَرِ . فَأَمَّا الْإِعْدَادُ لَهُ عَنْ حَتْسِ عَمَرٍ
عَنِ الْجَيْشِ بِمَا دَكَرَهُ فَمَا طُلَّ ؛ لِأَنَّا قَدْ قَبَّلْنَا : إِنَّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَسُوعُ بِحَالِفَتِهِ مَعَ
الْإِمْكَانِ ، وَلَا مُرَاعَاةَ لِيَا عَسَاءَ يَمْرُضُ فِيهِ مِنْ رَأْيِ غَيْرِهِ ، وَأَيَّ حَاجَةٍ إِلَى عَمَرٍ بَعْدَ تَقَامِ
الْعَقْدِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ وَرِضَا الْأُمَّةِ بِهِ ، عَلَى طَرِيقِ (١) أَهْلَابِ وَإِجْمَاعِهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ

هناك فتنة ولا تنازع ولا اختلاف يُحتج فيه إلى مشاورته وتديره ! وكل هذا تملُّلٌ باطل .

فأمّا محاربة أمير المؤمنين عليه السلام معاوية فإنما كان مأموراً بها مع التمكن ووجود الأنصار ، وقد فعل عليه السلام من ذلك ما وَحَّيَ عليه لما تمكن منه ، فأمّا مع التمدد وقسار الأنصار فكل مأمور بها . وليس كذلك القول في حبس أسامة ، لأن تأخر من تأخر عنه كان مع القدرة والتكس ، فأمّا توبة أنى موسى فلا يدرى كيف يشبه ما نحن فيه ، لأنه إنما وُلِّدَ بأن يرجع إلى كتب الله تعالى فيحكم فيه وفي خصمه بما يقتضيه ، وأبو موسى فعل خلاف ما حُمِّلَ إليه ، فلم يكن محتثلاً لأمر من وُلِّدَ ، وكذلك خالد بن الوليد إنما خالف ما أمَرَ به الرسول صلى الله عليه وآله فتبرأ من نفسه ، وكل هذا لا يشبه أمره عليه السلام بتنفيذ حاجب أسامة أمراً مطلقاً ، وتأكيده ذلك ونكراره ، فأمّا حبس أسامة فإنه لم يقم من يصح للإمامة ، فمحور تأخرهم ليعتار أحدهم على ما طهه صاحب الكتاب . على أن ذلك لو صح أيضاً لم يكن عذراً في التأخر ، لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار وإن كان ميّداً ، ولا يمنع بُعده من صحة الاختيار ، وقد صرح صاحب الكتاب بذلك . ثم لو صح هذا العذر لكان عذراً في التأخر قبل العقد ، فأمّا بعد إرايمه فلا عذر فيه ، والمبصدة التي ادّعاها قد بينّا ما فيها .

فأمّا ادّعاء ^(١) صاحب الكتاب راداً على من جعل إخراج القوم في الجيش ليتم أمر المص أن من أبغدهم لا يمنع أن يختاروا للإمامة فيدلّ على أنه لم يتبين معنى هذا الطعن على حقيقته ، لأن الطاعين به لا يقول : إنه أبغدهم لثلاث يختاروا للإمامة ، وإنما يقول : إنه أبغدهم حتى ينتصب بعده في الأرض من نصّ عليه ، ولا يكون هناك من ينارعه ويحله .

وأما قوله : لم يكن قاطعا على موته فلا يضرك تسليمه ، أليس كان مُشْفِعاً وخائفاً ! وعلى الخائف أن يتحرّر عن تخاف منه . فإما قوله : فإنه لم يرد : فقدوا الجيش في حياتي فقد بقي ما فيه . فإما ولاية أسامة على من وُئى عليه ، فلا بد من اقتصاصها لفصله على الجماعة فيما كان والياً فيه ، وقد دَلَّلنا فيما تقدم من الكتاب على أن ولاية العَصُول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحة ، فكذلك القول بولاية عمرو بن العاص عليهما فيما تقدم ، والقول في الأصحاب واحد .

وقوله : إن أحدا لم يدّع فضل أسامة على أبي بكر وعمر ، فليس الأمر على ما ظنّه ، لأن من ذهب إلى فساد إمامة العَصُول لا بد من أن يُعزل أسامة عليهما فيما كان والياً فيه ، فأما ادّعاؤه ما ذكره من استب في دخول عمر في الجيش فاعرفه ، ولا وقفاً عليه إلا من كتابه ، ثم لو صحح لم يُغن شيئاً ، لأن عمر لو كان أفضل من أسامة لقسمه الرسول صلى الله عليه وآله من الدخول في إمارته والسير تحت لوائه ، والتواضع لا يقتضي قول الصبيح^(١)



قلت : إن الكلام في هذا الفصل قد شتت شتتاً كثيرة ، والرُتصَى رحمه الله لا يُورد كلام قاصي القصاة بمقتضى ، وإنما يُعصِّره ويوردّه مبتوراً ، ويؤري إلى المعاني إيماءً لطيفاً ، وعرضه الإيجاز ، ولو أورد كلام قاصي القصاة بمقتضى لكان أليق ، وكان أبعد عن الطلّة ، وأدفع لعل قائل من حصومه : إنه يحرف كلام قاصي القصاة ، ويدكره على غير وجهه ، ألا ترى أن من نصب مقتضى لأختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معاني ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ؛ ومن الحذر أن يظن أنه قد فهم

بعض الموضع ولم يكن قد فهمه على الحفينة ، فيحتصر ما في نفسه ؛ لا ما في تصديق ذلك الشخص ، وأما من يُورد كلام الناس بنصه فقد أسترّاح من هذه التبعة ، وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين .

ثم تقول : إن هذا الفصل ينقسم أساما :

منها قول قاضي القصاة : لا نُسلم أن أبا بكر كان في حيش أسامة .

وأما قول الرّصيّ : إنه قد ذكره أرباب السّر والتواريخ ، وقوله : إن اللّادريّ ذكره في تاريخه ، وقوله : هلاًّ عيّ قاضي القصاة الكتاب الذي ذكر أنّه يتصنّع عدم كونه أبي بكر في ذلك الحيش ! فإنّ الأمر عندى في هذا الموضع مثبته ، والتواريخ محتاجة في هذه القصيّة^(١) ، فهم من يقول : إن أبا بكر كان في حيلة الحيش ، ومنهم من يقول : إنّه لم يكن ، وما أشدّ إليه قاضي القصاة بقوله في كتب المعارى لا يفتى إلى أمر صحيح ، ولم يكن ممّن يستحلّ القول بالباطل في دينه ولا في رئاسه . ذكر الواقديّ في كتاب المعارى أن أبا بكر لم يكن في حيش أسامة ، وإعنا كل عمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وقنادة بن النّعمان ، وسلمة بن أسلم ، ودحان كثير من المهاجرين ، والأنصار ، من : وكان الفكر لإمارة أسامة عيّاش بن أبي ربيعة . وعمر الواقديّ يقول : عبد الله بن عيّاش ؛ وقد قيل : عبد الله بن أبي ربيعة أخو عيّاش .

وقال الواقديّ : وجاء عمر بن الخطّاب قودّع رسول الله صلى الله عليه وآله ليسبرّ مع أسامة . وقال : وجاء أبو بكر فقال : يا رسول الله ، أصبحت مُفريقاً بحمد الله ، واليوم يوم أبهة حارحة ، فادنّ لي ، فادّيت له ، فذهب إلى منزله بالسّح^(٢) وسار أسامة في المسكر ، وهذا تصرّح بأنّ أبا بكر لم يكن في حيش أسامة .

(١) في د : « القصّة » . (٢) السّح إحدى بحال المدسة ؛ وكان بها منزل أبي بكر حين

تزوج ملبكة ؛ وقيل حبيبة بنت حارحة (بالوت) .

ودكر موسى بن عتبة في كتاب "المدرى" أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة وكثير من المحدثين يقولون : بل كان في جيشه .

فأما أبو حمزة محمد بن جرير الطبري فلم يذكر أنه كان في جيش أسامة إلا عمر . وقال أبو حمزة : حدثني الشاذلي بإسناد ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب قبل وفاته تمثالا على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة ابن زيد ، فلم يجاوزوا آخرهم الحدائق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع إلى خلية رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذنه بأذن لي أراجع بالناس ، فإن معي وحيه الصالحة ، ولا آمن على خلية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنقال المسلمين أن يتحطمهم المشركون حول المدينة ، وقالت الأنصار لعمر سيرا : فإن أتى إلا أن يحمي فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولي أمرا مارحلا أقدم سيرا من ~~الطريق~~ ^{الطريق} بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر : لو تحطمتي السكاك والذئاب لم أزد قسواء قصي به رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : فإن لأنصار أمروني أن أتركك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرا رحلا أقدم سيرا من أسامة ، فوثب أبو بكر - وكان جالسا - فأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك أمك ما بن الخطباء ! أيسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وتأمروني أن أترعه ! أخرج عمر إلى الناس ، فدلوأله : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم اليوم من خلية رسول الله صلى الله عليه وآله ! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم ^(١) وشيقهم ، وهو مشر وأسامه راك ، وعند الرحمن ابن عوف يقول دابة أبي بكر ، فقال له أسامة بن زيد : يا خلية رسول الله ، لتركن أو لأتركن ، فقال : والله لا تبرل ولا أرك ، وما على أن أعبر قدسي في سبيل الله ساعة ،

فإنَّ للغازي بكلِّ خطوة يخطوها ستمائة حسنة تُكتب له ، وسبعمائة درجة تُرفع له ،
وسمائة خطيئة تُمحى عنه ، حتى إذا انتهى من الأسماء : إنْ رَأَيْتَ أنْ تَعْبِيَنِي بِعَمْرٍا فاعمل ،
فأدين له ، ثم قال : أيُّها الناس ، فِيمَا حَتَّى أَوْصِيَكُم بِمَشْرِ فاحفظوها عَنِّي : لَا تَحْبُوا
وَلَا تَمْدِرُوا وَلَا تَقْلُوا وَلَا تُثَلُّوا وَلَا تُقْتَلُوا حُمُلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَيْحًا كَبِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ،
وَلَا نَمِيرًا نَحْلًا وَلَا تُحَرِّقُوهُ ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا نَمِيرًا
وَلَا بَهْرَةً إِلَّا لِمَا كَلَلَهُ ، وَسَوْفَ تَعْمُرُونَ أَقْوَامٌ قَدْ فَرَّقُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْعِبَادَةِ فِي الصَّوَامِعِ ،
فَدَعَوْهُمْ فِيمَا مَرَّعُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تُقَدِّمُونَ عَلَى أَقْوَامٍ يَأْتُونَكُم بِصِحَافٍ فِيهَا أَلْوَانُ
الطُّعَامِ ، فَلَا تَأْكُلُوا مِنْ شَيْءٍ حَتَّى تَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَسَوْفَ تَلْفُونَ أَقْوَامًا
قَدْ حَصَّوْا^(١) أَوْسَاطَ رِءُوسِهِمْ وَزَكُّوا حَوْلَهَا يَمِثِلُ الصَّائِبَ ، فَاحْذَرُوهُمْ^(٢) ، وَالْيَوْمَ حَقُّقًا ؛
أَمَّا هُمُ اللَّهُ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ

وَأَمَّا هُوَ الشَّيْخُ أَبِي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَكُنِي فِي حَسْبِ أَسْمَاءَةٍ ، أَمْرُهُ إِنَاءُهُ بِالصَّلَاةِ .
وَقَوْلُ الرِّتَصِيِّ : هَذَا اعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِسَمْعِ الْحَشِشِ كَانَ فِي الْحَالِ دُونَ مَا بَعْدَ الْوَفَاةِ ،
وَهَذَا يَنْقُصُ مَا سَيَّ عَلَيْهِ قَاضِي الْقُصَاةِ أَمْرَهُ ؛ وَفِي غَائِلٍ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ لَا يَنْقُصُ مَا بَعْدَ ،
لَأَنَّ قَاضِي الْقُصَاةِ مَا قَالَ : إِنَّ الْأَمْرَ بِسَمْعِ الْحَشِشِ مَا كَانَ إِلَّا بِمَعْدَ الْوَفَاةِ ، بَلْ قَالَ :
إِنَّ أَمْرَهُ ، وَالْأَمْرَ عَلَى النَّوَاحِي ، فَلَوْ بَعْدَ الْحَيْثُ فِي الْحَالِ الْحَارِ ، وَلَوْ تَأَخَّرَ إِلَى بَعْدِ
الْوَفَاةِ الْحَارِ .

فَأَمَّا إِسْكَارُ الرِّتَصِيِّ أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ مَالِيَةً كَانَتْ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَهَذَا دَعْوَانَا مَا عِنْدَنَا فِي هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : يَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ بِصَلَاةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ صَلَاتَيْنِ ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالسُّجُودِ بَعْدَ

(١) حصَّ شجره : حلقه . (٢) احفظوهم : امروهم .

ذلك ، فهذا لَمَعْرَى حَازٍ . وقد يُمكن أن يقال : إنه لما حرج متحايلاً من شدة المرض فتأخر أبو بكر عن مُقَامِهِ ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالناس ، أمره بالتعود مع الجيش ، وأسكت رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء ذلك اليوم ، واستعزَّ أبو بكر على الصلاة بالناس ، إلى أن توفَّى عليه السلام ، فقد جاء في الحديث أنه أسكت ، وإن أسامة دخل عليه فلم يستطع كلامه لكثرة بضع يديه ويصمهما^(١) عليه كالداعى له .
ويمكن أن يكونَ رمان هذه السكينة قد امتدَّ يوماً أو يومين ، وهذا الموضع من المواضع المشبهة عندى .

ومنها قولُ قاصي القصاء : إن الأمر على التراخي ، فلا يلزم من تأخر أي سكر عن التعود أن يكون عاصياً .

فأما قولُ المرتضى : الأمر على الفور إمالةً عند من قال به ، أو شرعاً لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعية على الفور إلا ما خرج بالدليل ، فظاهر في هذا الموضع صحة ما قاله المرتضى ، لأن قرائن الأحوال عند من يقرأ السير وتعرف التواريخ تدل على أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يحثهم على الخروج والسير ، وهذا هو الفور .

وأما قول المرتضى وقول أسامة : لم أكن لأسأل عنك الركن ، فهو أوضح دليل على أنه عَقِلَ من الأمر الفور ، لأن سؤال الركن عنه بعد الوفاة لا معنى له . فلقائل أن يقول . إن ذلك لا يدل على الفور ، بل يدل على أنه مأثور في الجملة بالتعود والسير ، فإن التمحيص والتأخير^(٢) موقوف إلى رأيه ، ولما كان نه أنسى صلى الله عليه وآله : لم تأخرت عن السير ؟ قال : لم أكن لأسير وأسأل عنك الركن ، بل انتظرت عافيتك ، هيئ إذاً ممرت وأنت على هذه الحال لم تكن لي قلباً لاجتهاد ، بل أكون قليلاً شديداً الجرع ، أسأل

(١) في د « ويصمهما » . (٢) في د « والتأخير » .

عنك الرُّكْنان ، وهذا الكلام لا يدلُّ على أنه عَقِلَ من الأمر الفَوْرَ لا مَحَالَةَ ، بل هو على أن يَدُلَّ على التراخي أظهر ، وقولُ النبي صلى الله عليه وآله : « لِمَ تَأَخَّرْتَ عَنِ الْمَسِيرِ ؟ » لا يَدُلُّ على الفَوْر ؛ لأنه قد يقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشيء على حجة التراخي إذا لم يكن سؤال إنكار .

وقول المرتضى : لأن سؤال الرُّكْن عنه بعد الوفاة لا مَنَى لَهُ ، قولٌ من هذه نَوْم على قاضي القضاة أنه يقول : إن أَسَىَ صلى الله عليه وآله ما أمرهم بالهَوْدِ إِلَّا بعد وفاته ، ولم يَقُلْ قاضي القضاة ذلك ، وإنما ادَّعى أن الأمر على التراخي لا غير ، وكيف يُطَنُّ بقاضي القضاة أنه حمل كلام أسامة على سؤال الرُّكْن بعد الموت ! وهل كلُّ أسامةٍ يعم الميِّت فيقول دَاك ! وهل سأل أحدٌ عن حال أحدٍ من مرضى بعد موته !

فأما قول المرتضى عَقِبَ هذا الكلام : لا معنى لقول قاضي القضاة إنه لم يفكر على أسامة تأخُّره ، فإن الإِسْكَار قد وَقَعَ بتكرار الأمر حالًا بعد حالٍ ، فلعلَّنا أن يقول : إن قاضي القضاة لم يحمل عَدَمَ الإِسْكَار على أسامة حَقَّةً على كونه الأمر على التراخي ، وإنما جعل ذلك دَليلاً على أن الأمر كان مَشْرُوطاً بِالصَّلَاحَةِ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ كلام قاضي القضاة الذي حكاه عنه المرتضى تحقق ذلك ، فلا يحور المرتضى أن يترعه من الوضع الذي أوردَه فيه ، فيَحْصَلَهُ في موضع آخر .

ومنها قول قاضي القضاة : الأمرُ بتعديد الحش يشب أن يكون متوَحِّهاً إلى الحليفة بعده ، والمحاطبُ لا يدخل تحت الخطاب ، واعتراض المرتضى عليه بأن لفظة « الحيش » يدخل تحتها « أبو بكر » فلا بدَّ من وَحُوبِ العمود عِيبِهِ ، لأنَّ عَدَمَ نُقُودِهِ يَسْلُبُ الجماعة اسم « الحيش » ؛ فليس بمحمَّد ، لأنَّ لفظة « الحش » لفظةٌ موصوغة لجماعة من النَّاسِ قد أُعِدَّتْ للحرب ، فإذا خرج منها واحدٌ أو اثنان لم يَرَلْ مَسْمُوعُ الحش عن الباقيين ، والمرتضى

اعتقد أن ذلك مثل الماهيات المركبة ، نحو العشرة إذا عُدِم منها واحد زال مسمى العشرة ، وليس الأمر كذلك ، يبين ذلك أنه لو قال بعض الملوك لمائة إنسان : أتم جيشي ، ثم قال لواحد منهم : إذا مت فأعطي كل واحد من جيشي درهما من جِرَّانتي ، فقد حملتك أميراً عليهم لم يكن له أن يأخذ لنفسه درهما ، ويقول : أنا من جملة الجماعة الذين أطلق عليهم لَعْنَةُ الجيش .

ومنها قول قاضي القضاة : هذه القضية تدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه ؛ وأما قول المرتضى : فقد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده ، فلم يجد في كلامه في هذا الفصل بطوله ما دل فيه ذلك ، ولا أعلم على ماذا أحال ! ولو كان قد بين - على ما زعم - أن الخطاب متوجه إلى الحاضرين ، لكان الإشكال قائماً ، لأنه يقال له : إذا كان الإمام المنصوص عليه حاضراً عنده فلم توجه الخطاب إلى الحاضرين ! ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول الملك للرعية : انصروا بين هذين الشخصين والقاضي حاضراً عنده ، إلا إذا كان قد عركه عن القضاء في تلك الواقعة عن الرعية !

فأما قول المرتضى : هذا ينقل عبيكم ، فليس ينقب ، وإنما ينقب لو كان يريد تعيين الجيش بعد موته فقط ، ولا يريد أن وهو حي ، فكان يحى ما قاله المرتضى لينقد القائم بالأمر بعدى جيش أسامه ، فأما إذا كان يريد يعود الجيش من حين ما أمر بنفوده فقد سقط القاب ، لأن الخليفة حينئذ لم يكن قد تمّ ، لأن الاختيار ما وقع بعد ، وعلى مذهب المرتضى الإمام متين حاضراً عنده نصّ عليه ، فافرق الوصفان .

ومنها قول قاضي القضاة : إن محالة أمره صلى الله عليه وآله في النمود مع الجيش أو في إتقاء الجيش لا يكون معصية ، وبين ذلك من وجوه :

أحدُها : أن أمر عليه السلام بذلك لابد أن يكون مشروطاً بالمصلحة ، وألا يعرض ما هو أهم من تعود الخيش ، لأنه لا يجوز أن يأمروا بالصود وإن أعقب ضرراً في الدين ، فإما قول المرتضى : الأمر المطلق يدل على ثبوت المصلحة ، ولا يجوز أن يحمل الأمر المطلق ، فقول جيد إذا اعترض به على النسخة الذي أورده قاضي القضاة ، فإما إذا أورده أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى ، وذلك أنه يجوز تخصيص عمومات الصيغ بالقياس إلى عدد كثير من أصحابنا ، على ما هو مذکور في أصول يفقه ، فلم لا يجوز لأن يكرر أن يخص عموم قوله : « أنفذوا بث أسامة » لمصلحة عيّنت على طه في عدم نفوذه نفسه ، ولفسدة عيّنت على نفسه^(١) في نفوذه نفسه مع البعث !



وثانيها : أنه عليه السلام كان يمتنع من احتفاد لا عن وحي يحرم مخالفته .
فأما قول الرضوي : إن للذي تعلما قويا ثمة^(١) ، وإياها نست من الأمور الدنيوية
المحصنة نحو أكله وشربه ونومه ، فإنه يعود على الإسلام بفتوحه عز ووهة ويؤثر كلمة
فيقال له : وإذا أكل اللحم وقوى مجراجه بذلك ونام يوما طبعيا يرول عنه به المرض
والإعياء ، اقتضى ذلك أيضا عز الإسلام وقوته ، قل إن ذلك أيضا عن وحي .

ثم إن الذي ينصيه فتوحه وعزّواته وحروبته من البرّ وعو الكلفة لا يباى كونه تلك الفروقات والحروب باحتجاده ، لأنه لا مصاد بين اجتاده وبين عزّ الدين وعو كلفته بحروبته ، وأن الذي يباى اجتاده بأراى هو مثل فرائض الصلوات ومقايير الزكّوات ومناسيك الحجّ ، وبحو ذلك من الأحكام اتى نضر بأنها مُتلقاة من محض الوحي ، وليس للرأى والاحتجاده فيها منحل ، وقد خرج بهذا الكلام الجواب عن قوله :

(۱) لی د د ظله د ، (۲) ا : د خدا د

لو جاز أن تكون الرايا والحروب عن جهده ، لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاده . وأيضاً فإن الصحابة كانوا يراحمونه في الحروب وآرائه التي يدبرهاها ويرجع عليه السلام إليهم في كثير منها بعد أن قد رأى غيره ، وأما الأحكام فلم يكن يُراجع فيها أصلاً ، فكيف يُحمل أحدُ البابين على الآخر .

فإنما قوله : لو كانت عن اجتهاد لوحده أن يحرم مخالفة فيها وهو حي ، لا فرق بين الحالين ؛ فنقول : القياس يقتضي ما ذكرت ، إلا أنه وقع الإجماع على أنه لو كان في الأحكام أو في الحروب والجهاد ما هو اجتهاده لما حارث مخالفته ، والممدول عن مذهبه وهو حي لم يختلف أحدٌ من المسلمين في ذلك ، وأحاروا مخالفته بعد وفائه بتقدير أن أن يكون ما صار إليه عن اجتهاد ؛ والإجماع حجة .

فإنما قول قاضي القضاة : لأن اجتهاده وهو حي أولى من اجتهاد غيره ، فلس يكاد يظهر ، لأن اجتهاده ، وهو ميت أولى منا من اجتهاد غيره ، ونعيب على طئى أنهم فرقوا بين حاكمي الحياة والموت ، فإن في مخالفته وهو حي نوعاً من الأذى له ، وذاه محرم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَادُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(١) ، والأذى بعد الموت لا يكون ، فأفترى الحلال .

وثالثها : أنه لو كان الإمام منصوباً عليه لجاز أن يسترد حبس أسامة أو بعضه لنصرته ؛ فكذلك إذا كان بالاختيار ، وهذا قد منع منه المرتضى ، وقال : إنه لا يجوز للمنصوص عليه ذلك ، ولا أن يؤلّى من عزله رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا أن يعزل من ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله .

ورأيها : أنه عليه السلام ترك حرب معاوية في بعض الحالات ، ولم يُوجب ذلك أن يكون عاصياً ، فكذلك أبو بكر في ترك أسود في جيش أسامة .

فأما قول المرتضى : إن علياً عليه السلام كان مأموراً بحرب معاوية مع التمكن ووجود الأنصار ، فإذا عُدِمَ لم يكن مأموراً بحربه ؛ فلنائل أن يقول : أبو بكر كان مأموراً بالسعود في جيش أسامة مع التمكن ووجود الأنصار ، وقد قُدِمَ التمكن لما استُحِبَّ ، فإنه قد تحمّل أعباء الإمامة ، وتعدّر عليه الخروج عن المدينة ، التي هي دار الإمامة ، فلم يكن مأموراً والحال هذه بالسعود في جيش أسامة .

فإن قلت : الإشكال عليكم إنما هو من رَأَى الاستحلاف ، كيف حار لأبي بكر أن يتأخر عن السير ؟ وكيف حار له أن يرجع إلى المدينة وهو مأمور بالسير ؟ وهل نفذ لوجهه ولم يرجع ، وإن لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قلت : لعل أسامة أدرك له ، وهو مأمور بضعته ، ولأنه رأى أسامة وقد عاد باللواء ، فماد هو لأنه لم يكن يُمكنه أن يسير إلى الزُّوم وحده ، وأيضاً فإن أصحابنا قالوا : إن ولاية أسامة نطقت بموت النبي صلى الله عليه وآله ، وعاد الأمر إلى رأى من ينصب للأمر ، قالوا : لأن تصرف أسامة إنما كان من جهة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم رآه تصرف النبي صلى الله عليه وآله بموته ، فوجب أن يرول تصرف أسامة ، لأن تصرفه تسع لتصرف الرسول صلى الله عليه وآله . قالوا : وذلك كالوكيل تسطّل وُكَّلت بموت الموكل ، قالوا : ويفارق الوصي لأن ولايته لا تثبت إلا بعد موت الموصي ، فهو كعهدة الإمام إلى غيره لا تثبت إلا بعد موت الإمام ، ثم فرّع أصحابنا على هذا الأصل مسألة وهي : الحاكم هل يتعزل بموت الإمام أم لا ؟ قال قوم من أصحابنا : لا يتعزل ويقتوه على أن التَّوَلَّى من غير جهة الإمام بخور ، فجعلوا الحاكم نائبا عن السليين أجمعين ، لا عن الإمام ،

وإن وقف تصرفه على اختياره ، وصار ذلك عندهم بمنزلة أن يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ، ثم يموت من رضى بذلك ، فإن تصرفه يبقى على ما كان عليه ، وقال قوم من أصحابنا : يعزل ، وإن هذا النوع من تصرف لا يستند إلا من جهة الإمام ، ولا يقوم به غيره ، وإذا ثبت أن أسامة قد بطلت ولايته لم تنق تبعته^(١) على أبي بكر في الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة .

وحاشها : أن أمير المؤمنين عليه السلام ولي أبا موسى الحكم ، وولي رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد السرية^(٢) ، وهذا الكلام إنما ذكره قاضي القضاة تيممة لقوله : إن أمره عليه السلام يعود بمثل أسامة كل مشروطا بالصلحة ؛ قال : كما أن توليته عليه السلام أبا موسى كانت مشروطة باتباع القرآن ، وكما أن تولية رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد كانت مشروطة بأن يعمل بما أوامره ، بخالفا ولم يعمل بالحق ، فإذا كانت هذه الأوامر مشروطة فكذلك أمره حش أسامة بالعودة كل مشروطا بالصلحة وألا يعرض ما يقتضي رجوع الجيش أو بعثه إلى المدينة ، وقد سبق القول في كون الأمر مشروطا .

وسادسها : أن أبا بكر كان محتاجا إلى مقام عمر عنده ليعاضده^(٣) ويقوم في تمهيد أمر الإمامة ما لا يقوم به غيره ، فكان ذلك أصح في باب الذين من مسيره^(٤) مع الجيش ، فجاز أن يحبس عنده لذلك ؛ وهذا الوجه محتمل بمن قال : إن أبا بكر لم يكن في الجيش ، وإصحاح عنده في حش عمر عن العودة^(٥) مع الجيش .

(١) ١ : « شيء » . (٢) لم يعاضده . موضع أوقع فيه خالد بن الوليد مني حديثه .

(٣) بعدهما ١ : « ويطاونه » . (٤) ١ : « سيره » .

(٥) ١ : « التمهيد » .

فأما قول المرتضى فإن ذلك غير حار ، لأن مخالفة النص حرام ، فقد قلنا : إن هذا مسمى على مسألة تخصيص العمومات الواردة في القرآن بالقياس .

وأما قوله : أي حاجة كانت لأبي بكر في عمرته بعد وقوع السِّيمة ، ولم يكن هناك تضرع ولا اختلاف ! فعجيب ، وهل كان لولا عدم عمره وحضوره في تلك المقامات يتم لأبي بكر أمره أو ينظم له حال ! ولولا عمره لما بايع على ولا الزبير ، ولا أكثر الأنصار ، والأمر في هذا أظهر من كل ظاهر .

وسأبها : أن من يصلح للإمامة ممن صممه حشأ أسامة بحسب تأخرهم ليجتاز للإمامة أحدهم ، فإن ذلك أهم من هودهم ، فإذا حار لهذه العلة التأخر قبل العقد حار التأخر بعده للمعاصرة وغيرها .

فأما قول المرتضى : إن ذلك الجيش لم يعصم من يصلح للإمامة ، فبناء على مذهبه في أن كل من ليس بمعصوم لا يصلح للإمامة . ثم قوله : ولو صح ذلك لم يكن عدوا في التأخر ، لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار ولو كان بعيدا ، ولا يمكن بعده من صحة الاختيار ، فلما نزل أن يقول : دار أضره هي التي فيها أهل الحل والعقد ، وأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وأقرباء وأصحاب السقيمة ، فلا يجوز العدول عن الاحتجاج والمشاورة فيها إلى الاختيار على العدد ، وعلى حدح السر من غير مشاركة من ذكرنا من أعيان السليين .

فأما قوله : ولو صح هذا العقد لكان عدوا في التأخر قبل العقد ، فأما بعد إرامه فلا عذر فيه ؛ فلما نزل أن يقول : إذا أحرزت التأخر قبل العقد لزوج من المصلحة فأحر التأخر بعد العقد لزوج آخر من المصلحة ، وهو المعاصرة والساعة .

هذه الوجوه السبعة كلها لبيان قوله : تأخر أبي بكر أو عمر عن التفوذ في جيش أسامة ، وإن كان مأمورا بالموذ .

ثم نموذ إلى تمام أقسام الفصل .

ومنها ^(١) قول قاضي القضاة : لا معنى لقول من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد إسادهم عن المدينة ، لأن إسادهم عنها لا يعمهم من أن يختاروا واحداً منهم للإمامة ، ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعاً على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : مدوا جيش أسامة في حياته .

وقد أترض المرتضى هذا فقال : إنه لم يثنى معنى التطن ، لأن الطائس لا يقول : إمام المدوا عن المدينة كي لا يختاروا واحداً للإمامة ، بل يقول : إنما أريدوا لينصب بعد موته صلى الله عليه وآله في المدينة الشخص الذي ص على ، ولا يكون حاصراً بالمدة من بحالته ويبارعه ، وليس بصراً ألا يكون صلى الله عليه وآله قاطعاً على موته ، لأنه وإن لم يكن قاطعاً فهو لا محالة يشعق ويخوف من الموت ، وعلى الخائف أن يتحرز مما يحاف منه ؛ وكلام المرتضى في هذا الموضع أحسن من كلام قاضي القضاة .

ومنها قول قاضي القضاة : إن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي كونهما دونه في الفضل ، كما أن عمرو بن العاص لما ولي عليهما لم يقتصر كونه أفضل منهما . وقد أترض المرتضى هذا بأنه ^(٢) يقتض تقديم الموصول على المصغر فيما هو أفضل منه ، وأن تقديم عمرو بن العاص عليهما في الإمرة يقتضي أن يكون أفضل منهما فيما يرجع إلى الإمرة والسياسة ، ولا يقتضي أفضليته عليهما في غير ذلك ، وكذلك القول في أسامة .

(١) انظر من ١٨٢ . (٢) د : د : د : د .

ولفائل أن يقول : إن الملوك قد يؤمرون الأمراء على الجيوش لوحين : أحدهما أن يعيد الملك بتأشير ذلك الشخص أن يسوس الجيش ويؤذنه فصل رأيه وشيخوخته وقديم تجربته وما عرّف من يُنمّن بقيته في الحرب وقود المساكر ، والثاني أن يؤمر على الجيش سلاماً حدثاً من عله أو من وليه أو من أهله ، ويأمر الأكار من الجيش أن يشعّوه ويعتّموه ، ويأمره أن يتدبّر تدبيرهم ، ويرجع إلى رأيهم ؛ ويكون قصد الملك من ذلك تخرج ذلك العلم وتعميقه على الإمارة ، وأن يُثبت له في نفوس الناس منزلة ، وأن يُرشّحه لخلائر^(١) الأمور ومما طمّ اشثون ، في الوجه الأول تفتح تقديم الفصول على السائل ؛ وفي الوجه الثاني لا تفتح ، فلم لا يجوز أن يكون تأشير أسامة عليهما من قبيل الوجه الثاني ؟ والحال تشهد لذلك ، لأن أسامة كان علامة لم يبلغ ثمان عشرة سنة حين بعث النبي صلى الله عليه وآله ، فمن أين حصل له من تجربة الحرب وممارسة الوقائع وقود العيش ما يكون به أعرف بالإمر من أي بكر وعمر وأبي عمده وسعد بن أبي وقاص وغيرهم !

ومنها قول قاصي القصاة : إن السب في كوف عمر في الجيش أنه أسكر على عهد الله ابن عياش بن أبي ربيعة بسخطه بمره أسامة ، وقال : أنا أخرج في جيش أسامة ؛ فخرج من تلقاء نفسه بطيلاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقد أعرضه المرتضى فقال : هذا شيء لم نسمعه من راوي ، ولا قرأناه في كتاب ، وصديق المرتضى فيما قال ، فإن هذا حديث عريب لا يُعرف .

وأما قول عمر : دغى أصرب عمة بعد ما قن ؛ فهو قول مشهور لا محالة ، وإنما العريب الذي لم يُعرف كوف عمر خرج من تلقاء نفسه في الجيش مُراعاة لعهد الله بن عياش ابن أبي ربيعة ، حيث أسكر ما أسكر ؛ ولعل قاصي القصاة سمعه من راوي أو نقله من كتاب ، إلا أننا نحن ما وقعنا على ذلك .

(١) ب : « بجلائل » ، وما أثبت من أ ، د . (٢) ١ : « سخطه » .

الطعن الخامس

قالوا : إنه صلى الله عليه وآله لم يؤكِّد أنه نكر الأعمال ووَلَّى غيره ، ولما ولَّاه الحجَّ بالناس وقراءة سُورَةِ رَأْيَةٍ عَلَى النَّاسِ ، عرَّاهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . وَحَمَلَ الْأَمْرَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ : « لَا يُوَدَّى عَنِّي إِلَّا أَنَا ، أَوْ رَحِلْ مِنِّي » ، حَتَّى يَرْجِعَ أَوْ نَكِرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَحَابِبُ قَاضِي الْقُصَّةِ فَقَالَ : لَوْ سَلَّمْنَا أَنَّهُ مِمَّنْ يُؤْتَى ، لَمَّا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَقْصٍ ، وَلَا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْلُحْ لِلْإِمَارَةِ وَالْإِسْمَةِ ، بَلْ لَوْ قِيلَ . إِنَّهُ لَمْ يُؤْتَهُ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ مَحْصَرَتُهُ ، وَإِنْ ذَلِكَ رَفْعَةٌ لَهُ لَكَانَ أَقْرَبَ ، لَا سَمِيًّا ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ مَا يَدَّ عَلَى أَنَّهُمَا وَرِوَاةُ ، وَأَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَحْتَا بِإِلَيْهِمَا وَإِلَى رَأْيِهِمَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا ، وَلَوْ كَانَ لِلْعَمَلِ عَلَى تَرْكِهِ فَصْلٌ لَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَحَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُمَا أَهْضَمُ مِنْ أَكْبَارِ الْمَشْجَانَةِ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَّاهُمَا وَقَدَّمَهُمَا ، وَقَدْ قَدَّمَا أَنْ تَرَيْتَهُ هُوَ بِمَحَسَبِ الصَّلَاحِ ، وَقَدْ يُوَلَّى الْمَفْصُولُ عَلَى الْفَاضِلِ نَارَةً وَالْفَاضِلُ أُخْرَى ، وَرَمَّا وَُتِ الْوَاحِدُ لَاسْتِمْنَانُهُ عَنْهُ مَحْصَرَتُهُ ، وَرَمَّا وَلَّاهُ لَاتِّصَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُؤْتَى عَلَيْهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ عَلَى الْمَوْسِمِ وَالْحَجِّ قَدْ نُسِتُ بِمَلَا حِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْأَحْصَرِ وَلَمْ يَصْغَحْ أَنَّهُ عَرَّاهُ ، وَلَا يَدُلُّ رُجُوعُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُمْ عَنِ الْقِصَّةِ عَلَى الْقَوْلِ ؛ ثُمَّ جَعَلَ يُسْكَرُ مِنْ أَسْكَرٍ حِجَّ أَيْ بَكْرٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِالنَّاسِ ؛ كَيْسْكَرَ عَمَدَ وَطَفِقَتِهِ أَحَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُورَةَ رَأْيَةٍ مِنْ أَيْ نَكَرَ . وَحَكَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ أَنَّ الْعَمَى كَانَ فِي أَحَدِ النُّسُورَةِ مِنْ أَيْ نَكَرَ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ فَتَاهِلِهِمْ إِذَا عَقَدَ عَقْدَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَقْدَ لَا يَتَحَلَّى إِلَّا أَنْ يُحْصَنَ هُوَ أَوْ بَعْضُ سَادَاتِ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا عَادَتَهُمْ وَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَبِيدَ^(١) إِلَيْهِمْ عَمَدَهُمْ ، وَبِقُصْ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، عَلِمَ

أنه لا ينحل ذلك إلا به أو سيّد من صادات رَحْمَتِهِ، فَمَدَّلَ عَنْ أَبِي مُكَرٍّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَرَّبِ فِي النَّسَبِ . ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِيُّ أَبِي مُكَرٍّ فِي مَرَضِهِ الصَّلَاةَ ، وَدَلَّكَ أَشْرَفُ الْوَلَايَاتِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبِي مُكَرٍّ .

ثُمَّ اعْتَرَضَ نَفْسَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَلَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : وَأَحَابُ بَنِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِعَانًا صَلَّيْ حَلَفَهُ ، لَا أَنَّهُ وَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَقَدَّمَهُ فِيهَا . قَالَ : وَإِنَّمَا قَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ عَيْتَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَصَلَّيْ بِعَمْرِئِهِ ، وَقَدْ صَاقَ الْوَقْتُ ، لِحَاجَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَصَلَّيْ حَلَفَهُ (١) .

اعترض المرتضى فقال : قد بينا أن زكاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَلَايَةَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ مَعَ حَصْرِهِ وَإِمَّا كَانَ وَلَايَتُهُ وَاسْتَدْوَلَ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِهِ ، مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ وَامْتِدَادِهِ ، لَا يَدَّ مِنْ أَنْ يَقْضَى عِلْمَةُ الظَّنِّ بِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَوَلَايَةٍ ، فَكَيْفَ ادَّعَاؤُهُ أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّهِ لَأَهْلِهِ إِيَّاهُ مُحْصَرَةً وَحَاجَتَهُ إِلَى تَنْدِيرِهِ وَرَأْيِهِ ، فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْتَقِرُ إِلَى رَأْيِ أَحَدٍ لِكَمَالِهِ وَرُجْحَانِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيمِ لَهُمُ وَالنَّاصِيَةِ لَهُمْ ، أَوْ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ بِمَا قَدْ ذُكِرَ . وَإِذْ ، فَكَيْفَ اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْحَاجَةُ ، وَانْتَصَلَتْ مِنْهُمَا إِيَّاهُ حَتَّى لَمْ يَسْتَعْنِ فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَرْمَانِ عَنْ حَصْرِهِمَا فَيُؤَلِّمُهُمَا ! وَهَلْ هَذَا إِلَّا قَدْخُ فِي رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَبْتِهِ ، بَلْ أَنَّهُ كُلُّ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُلْقَنَ وَيُوقَفَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ! فَكَيْفَ ادَّعَاؤُهُ أَنَّ الرِّوَايَةَ قَدْ وَرَدَتْ بِأَنَّهُمَا وَدَرِيَاهُ فَقَدْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَصَحَّحَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَيْهِ وَيَحْتَجَّ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ نَدَفَعَهُ عَنْهُ أَشَدَّ دَفْعٍ . فَكَيْفَ وَلَايَةُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَدْ تَسَكَّلَمَا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ ، وَبَيَّنَّا أَنَّ وَلَايَتَهُمَا تَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِمَا لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِمَا لِلْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ شُرَائِظَ الْإِمَامَةِ لَمْ تَتَّكَمَلْ فِيهِمَا ، وَبَيَّنَّا أَيْضًا أَنَّ وَلَايَةَ الْمُعْصُولِ عَلَى الْفَاصِلِ لَا تَحْجُورُ ، فَكَيْفَ تَعْظِيمُهُ

وأكباره قول من يذهب إلى أن أبا بكر عُزل عن أداء السُورة والمُوسم جميعاً ، وجمعه بين ذلك في السدوين إنكار عناد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام أرتجع سورة براءة من أبي بكر ؛ فأول ما فيه أن لا تُكرأ أن يكون أكثر الأخبار واردة بأن أبا بكر حج بالناس في تلك السنة ؛ إلا أنه قد روى قوم من أصحابنا خلاف ذلك ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أمراً الموسم في تلك السنة ، وأن عزّل الرجل كل عن الأمرين معاً . واستكبار ذلك . وفيه خلاف لا مسمى له ، فأما ما حكاه عن عناد فإن لا يعرفه ، وما نطق أحداً يذهب إلى مثله ، وليس يُمكنه إيراد ذلك حجة مذهب أصحابنا الذي حكياء ، وليس عناد لو صحّت الرواية عنه يراه من ذكره ، فهو مل بالجهالات ودفع الضرورات . وبعد ، هو سئما أن ولاية الموسم لم تُعش لك الكلام ما قيا ، لأنه إذا كان ماولى مع تطاول الزمان إلا هذه الولاية ، ثم سلب شطرها ، والأهم الأعظم منها ، فليس ذلك إلا تنبيها على ما ذكرناه .

فأما ما حكاه عن أبي علي من أن عادة العرب ألا يحل ما عقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رفقته ؛ فمعاد الله أن يُخزى النبي صلى الله عليه وآله سنته وأحكامه على عادات الجاهلية ، وقد بين عليه السلام لما رجع إليه أبو بكر يسأله عن أحد السُورة منه الحال . فقال : إنه أوجى إلى ألا يؤذى عني إلا أما أو رَحَل مني ، ولم يدكر ما أَدعاه أبو علي ؛ على أن هذه العادة قد كان يمر بها النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته أبا بكر سورة براءة ، فأبأه لم يعتدّها في الانداء ويمت من يجوز أن يحل عقده من قومه !

فأما ادعائه ولاية أبي بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما تقدم أنه لم يؤله إياها . فأما فصله بين صلاته حلف عبد الرحمن وبين صلاة أبي بكر بالناس ، فليس شيء ، لأننا إذا كنّا قد دللنا على أن الرسول صلى الله عليه وآله ما تقدم أبا بكر إلى الصلاة ، فقد

أستوى الأمران . وبعد ؛ فأى فرق بين أن يُصلى حنيفة وبين أن يؤكّبه ويقدمه ، ونحن نعلم أن صلواته حلقه إقراراً لولائه ودماسها ، فقد عاد الأمر إلى أن عبد الرحمن كآته قد صلى بأمره وإذنه ! على أن قصة عبد الرحمن أوكد ، لأنه قد اعترف بأن الرسول صلى حلقه ، ولم يصل خلف أبي بكر ، وإن ذهب كثير من الناس إلى أنه قدمه وأمره بالصلاة قبل خروجه إلى المسجد وتحاطله .

ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه ؛ فقال : إن قيل : ليس يحملو النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون سلم في الاستدعاء سورة برآة إلى أنى بكر بأمر الله أو بأحتضاره ورأيه ؛ فإن كل ما أمر الله تعالى ، فكيف يجوز أن يرتفع منه السورة قبل وقت الأداء ، وعدكم أنه لا يجوز نسخ الشيء قبل تكمي وقته ؛ وإن كان بأحتضاره صلى الله عليه وآله ، صدكم أنه لا يجوز أن يتعهد بما يجري هذا المجرى !

وأجاب فقال : إنه ما سلم السورة إلى أنى سكر إلا بإذنه تعالى ، إلا أنه لم يأمره بأدائها ، ولا كآته قراءتها على أهل الموسم ، لأن أحدا لم يمكنه أن يفعل عنه عليه السلام في ذلك لفظ الأمر والتكليف ، فكانت سلم سورة برآة إليه لتقرأ على أهل الموسم ، ولم يُصرّح بذكر القارئ النسخ لها في الخبر ، ولو قيل عنه تصريح لخار أن يكون مشروطاً بشرط ما يظهر .

فإن قيل : فأى فائدة في دفع السورة إلى أنى بكر وهو لا يريد أن يؤدبها ، ثم ارتجاعها منه ؟ وهلا دُفعت في الاستدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام !

فيل : الفائدة في ذلك ظهور فصل أمير المؤمنين عليه السلام ومرتبته ، وأن الرجل الذي بُزعت السورة عنه لا يصلح لِمَا يصلح له ، وهذا عزم قوي في وقوع الأمر على ما وقع عليه^(١) .

قلت : قد ذكرنا فيما تقدم القول في توبة امك بعض أصحابه ، وترك تولية بعضهم ،
وكيفية الحال في ذلك ؛ على أنه قد رَوَى أصحابُ العارِ أنه أمر أبو بكر في شعبان من سنة
سبع على سرية بعثها إلى نجد فلقوا حفاً من هَوارٍ ببيتهم^(١) ؛ فرَوَى ياسُ بنُ سلمة
عن أبيه ؛ قال : كُنْتُ في ذلك المثلث ، ففتتُ يدي سعةً منهم ، وكان شعارُنا : « أَمِيتُ
أَمِيتُ » ، وقُتِلَ من أصحابِ النبي صلى الله عليه وآله قومٌ ، وخرج أبو بكر وارتث^(٢)
وعاد إلى المدينة ؛ على أن أمراءِ السرايا الذين كلَّ بعضهم صلى الله عليه وآله كانوا قوماً
مشهورين بالشجاعة ولفاء الحروب ، كـ محمد بنِ مسلمة ، وأبي دُحَّابة ، وزيد بن حارثة
ونحوهم ، ولم يكن أبو بكر مشهوراً بالشجاعة ولقاء الحروب ، ولم يكن حشاشاً ولا حواراً^(٣)
وإنما كلُّ رجلٍ مجتمع القلب عاقلاً ، ذا رأى وحسن تدبر ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه
وآله يترك بعثه في السرايا ، لأنَّ عمره أنفعَ منه فيها ، ولا يدلُّ ذلك على أنه لا يصلح
للإمامة ، وأنَّ الإمامة لا تحتاج أبَ يكون صاحبها من المشهورين بالشجاعة ، وإنَّما يحتاج
إلى ثبات القلب ، وألَّا يكون هليماً طائر^(٤) الخمان . وكيف يقول المرتضى . إنه صلى الله
عليه وآله لم يكن محتاحاً إلى رأى أحد ، وقد ائتمن الناسُ كلَّهم رجوعه من رأى إلى رأى
عند المشورة ، نحو ما جرى يوم بدر من تدبُّرِ رسولِنا أشار عليه الحبابُ بنُ المدر ،
ونحو ما جرى يوم الخندق من فسحِ رأيه في دفعِ نثرِ تمرِ المدينة إلى عُيَيْنة بنِ حصن
ليترجع بالأحزاب عنهم ، لأجل ما رآه سعدُ بنُ معاذ وسعدُ بنُ عباد من الحرب ،
والمدول عن الصلح ، ونحو ما جرى في تنقيحِ الحبلِ بالمدينة وغير ذلك ! فأما ولايةُ
أبي بكر الموسمَ فأكثرُ الأخبارِ على ذلك ، ولم يَرَوْا عرَّله عن الموسمِ إلَّا قومٌ من الشيعة .

(١) بيتهم ؛ أي دروا أمرهم .

(٢) ارتث ، على الساء لمجهول . حل من المعركة ريثما ، أي حارباً وبه رمق .

(٣) الحوار : الضيف . (٤) الخمان : الغش الجرع .

وأما ما أنكره المرتضى من حال عتاد بن سليمان ودعيه أن يكون على أخذ راءة من أبي بكر واستغرابه ذلك عجب ، فإن قول عتاد قد ذهب إليه كثير من الناس ، ورووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدع براءة إلى أبي بكر ، وأنه بعد أن قد أبو بكر بالحجيج أتته عليا ومعه تسع آيات من براءة ، وقد أمره أن يقرأها على الناس ويؤذّنهم بنقض الهد وقطع الدنيا ، فانصرف أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأعاده على الحجيج ، وقال له : أنت الأمير ، وعلى البدع ، فإنه لا يتبع عني إلا أنا أو راحل مني ، ولم يكر عتاد أمر براءة بالكلية ، وإنما أكر أن يكون النبي صلى الله عليه وآله دفعها إلى أبي بكر ثم انتزعها منه ، وطائفة عظيمة من الحديثيين يروون ما ذكرناه ، وإن كان الأكثر الأظهر أنه دفعها إليه ثم أتته بملى عليه لسلام فانتزعها منه ؛ والمقصود أن المرتضى قد تمحّب مما لا يتمحّب من مثله ، فظن أن عتادا أكر حديث راءة بالكلية ، وقد وقعت أبا على ما ذكره عتاد في هذه القضية في كتابه المعروف بكتاب " الأبواب " ، وهو الكتاب الذي نقله شيخنا أبو هاشم ، فأما عند شيخنا أبي على ، وقوله : إن عادة العرب ذلك ، واعتراض المرتضى عليه ، فإلى قوله المرتضى أصح وأظهر ، وما نسب إلى عادة العرب غير معروف ، وإنما هو تأويل نؤول به متعصو أبي بكر لانتزاع راءة منه ، وليس شيء . ولست أقول ما قاله المرتضى من أن عرض رسول الله صلى الله عليه وآله إظهار أن أبا بكر لا يصلح للأداء عنه ، بل أقول : فعمل ذلك لمصلحة رآها ، ولعل السبب في ذلك أن عليا عليه السلام من بني عبد مناف وهم حمرة قريش بمكة ، وعلي أيضا شجاع لا يُقام له^(١) ، وقد حصل في صدور قريش منه اهبة الشديدة والمخافة العظيمة ، فإذا حصل مثل هذا الشجاع الطل وحوله من بني عمه وهم أهل المرأة والقوة والحمة ،

(١) ب : « لا يقال » تحريف .

كان أدعى إلى نجاته من قريش ، وسلامة نفسه وبلوغ الغرض من بئذ العهد على يده ؛
 ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى مكة
 يطلب منهم الإذن له في الدخول ، وبئذ بعثه لأنه من بني عبد مناف ، ولم يكن
 بنو عبد مناف - وخصوصاً بنو عبد شمس - ليمنعوا من قتله ، ولذلك حمل بنو سميذ
 ابن العاص على نكير يوم دخل مكة وأخذ قوا به مستثمين^(١) بالسلاح ، وقالوا له : أفل
 وأذير ، ولا تحف أحداً ، بنو سميذ أعرية الحرم . وأما القول في تولية رسول الله صلى الله
 عليه وآله أبا بكر الصلاة ، فقد تقدم ، وما رآه قاضي القضاة من الفرق بين صلاة أبي بكر
 بالناس وصلاة عبد الرحمن بهم ، مع كون رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وسلم
 وكلام المرتضى أقوى منه . فاما السؤال الذي سألته المرتضى من نفسه فتوى ، والحوار
 الصحيح أن بحث راءة مع أبي بكر كان ما جاهد من الرسول صلى الله عليه وآله ، ولم يكن
 عن وحي ولا من حملة الشرائع التي تقتضي عن حوائيل عليه السلام ، فلم يصح نسح ذلك
 قبل تنصّي وقت فعله ، وحوار المرتضى ليس بقوى ، لأنه من أسعد أن نُسلم سورة
 راءة إلى أبي بكر ولا يقل له . ماذا يصنع بها ؟ بل يقال : حد هذه معك لا غير .
 والقول بأن الكلام مشروط بشرط لم يظهر خلاف الظاهر ، وفتح هذا الباب يُفسد كثيراً
 من القواعد .

الطعن السادس

إن أبا بكر لم يكن يعرف انفعه وأحكام شريعة ، فقد قال في الكلالة^(٢) : أقول

(١) المستثم : لابس الأئمة .

(٢) الكلالة : من لا ولد له ولا والد ، وما لم يكن من النسب .

فيها برأى ، فإن يكن صواباً من الله ، وإن يكن خطأ فنى^(١) ، ولم يعرف ميراث الجدة ، ومن حاله هذه لا يصلح للإمامة .

أجاب قاضى القضاة بأن الإمام لا يجب أن يعم جميع الأحكام ، وأن القدر الذى يحتاج إليه هو القدر الذى يحتاج إليه الحاكم ، وأن القول بالرأى هو الواحد فيما لا نص فيه ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بالرأى فى مسائل كثيرة .

اعترض الرضى فقال : قد دللنا على أن الإمام لابد أن يكون عالماً بجميع الشرعيات ، وفرقاً بينه وبين الحاكم ، ودللنا على فساد الرأى والاحتياط . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يقل قط بالرأى ، وما يروى من خبر بيع أمهات الأولاد غير صحيح ، ولو صح لحاز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص والأدلة ، ولا شبهة عندنا أن قوله كان واحداً فى الخالفين^(٢) ، وإن طهر فى أحدهما خلاف مذهبه للتقية^(٣) .

قلت : هذا الطمس مسمى على أمرين . أحدهما هل من شرط الإمامة أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعية أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الكلامية ؛ والثانى هو القول فى الاحتياط والرأى حق أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الأصولية

الطمس السابع

قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة ومصاحفته امرأته من ليلته ، وأن أبا بكر

(١) انتهى : فى ومن الشيطان ، وعو قوله وقد مثل عن قوله : ﴿ وَفَارَكَمَةً وَأَبَا ﴾ ، فلم يعرف معناه ، والأب : المرعى فى اللغة ، لا يبعث على أحده أدنى أسس بالعربية ، وهو ميراث الجدة وأنه لم يعرف الحكم فيه ، وطائر ذلك كثيرة معروفة . (٢) ب : « القولين » . (٣) انظر الثانى ٤٢٢ .

ترك إقامة الحد عليه ، وزعم أنه سيف من سيوف الله سته الله على أعدائه ، مع أن الله تعالى قد أوجب القود وحد الزنا عموما ، وأن عمر نهى وقال له : اقتله ، فإنه قتل مسلما .

أحب قاضي القضاة فقال : إن شيخنا أبا علي قال : إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة ، لأنه جاء في الأخبار أنه ردّ صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعله سائر أهل الردة فاستحقّ القتل . فإن قال قائل : فقد كان يصلي ، قيل له : وكذلك سائر أهل الردة ، وإعنا كهمروا بالامتناع من الزكاة ، واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره . فإن قيل : فلم أنكر عمر ؟ قيل : كل الأمر إلى أبي بكر ، فلا وجه لإنكار عمر ، وقد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يخفى على عمر . فإن قيل : فما معنى ما روي عن أبي بكر من أن حالدا ناول فأحده ، قيل : أراد مخنثه عليه بالقتل ، وقد كان الواجب عده على خالد أن ينوقف للشبهة . واستدل أبو علي على رده بأن أخاه متمم ابن نويرة لما أشد عمر مرئيته أخاه قال له : وددت أني أقول الشعر فأتى أحي ريدا بمثل ما ربيت به أحاك ! فقال متمم : لو قتل أحي على مثل ما قتل عليه أخوك مارئيتك ، فقال عمر : ما عراني أحد بمثل تعريتك ، قد هدأ على أن مالك لم يقتل على الإسلام كما قتل زيد .

وأجاب عن تزويج خالد بامرأته أنه إذا قتل على الردة في دار الكفر حار تزويج أمرائه عند كثير من أهل العلم ، وإن كان لا يحور أن يظاها إلا بعد الاستبراء .

وحكى عن أبي علي أنه إنما قتله لأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «صاحبك» ، وأوهم بذلك أنه ليس بصاحبه ، وكان عنده أن ذلك ردة وعلم عند الشاهدة

الْقَصْد، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، فَجَارَ أَنْ يُقْتَلَ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى أَلَا يَسْتَمِجِلُ، وَأَنْ يَكْشِفَ الْأَمْرَ
فِي رِدَّتِهِ حَتَّى يَتَضَعُ، فَلِهَذَا لَمْ يُقْتَلَ أَبُو بَكْرٍ بِهِ. فَأَمَّا وَطْؤُهُ لَأَمْرَاتِهِ فَلَمْ يَكُنْ، فَلَا يَصِحُّ
أَنْ يُحْمَلَ طَعْنًا فِيهِ (١).

اعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى فَقَالَ: أَمَّا مَنْعُ حَلِّهِ فِي قَتْلِ مَائِكَ بْنِ نُورِةٍ وَأَسْتِبَاحَةِ أَمْرَاتِهِ وَأَمْوَالِهِ
لِنَسَبِهِ إِيَّاهُ إِلَى رِدَّةٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ، بَلْ كَانَ أَطَاهَرُ حَلَامَةً مِنَ الْإِسْلَامِ، فَضْطَمَ. وَيَحْرَى
مَحْرَاهُ فِي الْعِظَمِ تَعَاوُلُ مَنْ تَنَافَلَ عَنْ أَمْرِهِ، وَلَمْ يُنَمَّ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأُقِرَّ عَلَى الْخَطَأِ
الَّذِي شَهِدَ هُوَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَحْرَى عَمْرَاهُ مَنْ أَمَكَّهُ أَنْ يَعْلَمَ الْحَالَ فَأَهْمَهَا وَلَمْ يَتَصَفَّحْ
مَا رَوَى مِنَ الْأَحْصَارِ فِي هَذَا الْبَابِ وَنَمَتْ لِأَسْلَافِهِ وَمَدَّهَهِ. وَكَيْفَ يَحْجُورُ عِنْدَ حُصُورِهَا
عَلَى مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ حَخْدَ الرِّكَاتِ مَعَ الْقَامِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَهِيَ حَيْمَى فِي قَرَرٍ (٢) لِأَنَّ الْعِيَمَ
الْعَرُورِيَّ نَاتِبَهُمَا مِنْ دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرِيعَتِهِ عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ، وَهِيَ نَسَبُ مَالِكٍ إِلَى
الرِّدَّةِ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا قَدْخُ فِي الْأَسْوَءِ وَنَقَضُ نَسَبِهِ مِنْ أَنَّ الرِّكَاتِ مَعْلُومَةٌ ضَرُورَةٌ
مِنْ دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَعْتَبْتُ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ مَوْلَاهُ: وَكَذَلِكَ سَازَرُ أَهْلَ الرِّدَّةِ، يَعْنِي أَهْلَهُمْ
كَانُوا يَصَلُّونَ وَيَحْتَدِدُونَ الرِّكَاتِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ بَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَرُورِيٍّ مُحْكِنٌ. وَكَيْفَ
يَصِحُّ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى جَمِيعُ أَهْلِ النُّقْلِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَصَّى الْحَبِشَ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ أَنَّ
يُؤَدُّوا وَيُؤَيَّمُوا، فَإِنْ أَدَّى الْقَوْمُ كَأَدَائِهِمْ وَنَاقَمَتِهِمْ كَقَوَاعِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَعَارُوا عَلَيْهِمْ،
فَفَعَلَ أَمَارَةَ الْإِسْلَامِ وَالرَّاءَةَ مِنَ الرِّدَّةِ الْأَدَاءِ وَالْإِقَامَةِ. وَكَيْفَ يُطْلَقُ فِي سَازَرِ أَهْلِ الرِّدَّةِ
مَا أُطْلِقَهُ مِنْ أَهْلِهِمْ كَانُوا يَصَلُّونَ، وَقَدْ عَيَّنَّا أَنَّ أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرَهُمَا مَنْ كَانَ
أَدْعَى الْبُؤْسَ وَحَلَّ الشَّرِيعَةَ مَا كَانُوا يَرَوْنَ الصَّلَاةَ وَلَا شَيْئًا مِمَّا حَامَتْ بِهِ شَرِيعَتُنَا.
وَقِصَّةُ مَالِكٍ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ مَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَ السِّيَرِ وَالنُّقْلِ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى صَدَقَاتٍ قَوْمِهِ بَنِي

(١) قَتْلُهُ الشَّامِي فِي الْمَرَامِصِ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) الْقُرُونُ: الْحَبِلُ؛ وَالْكَلَامُ عَلَى الْإِسْتِطَارَةِ.

يَرْبُوعَ وَالْيَا مِنْ قَتَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمَّا بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْسَكَ عَنْ أَحَدِ الصَّدَقَةِ مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُمْ : تَرْتَصَوْنَ بِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَسْطَرَّ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ مَرَّحَ بِذَلِكَ فِي شَعْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَالَ رَحَالٌ سَدَّدَ الْيَوْمَ مَالِكٌ	وَقَالَ رَحَالٌ سَدَّدَ مَالِكٌ لَمْ يَسْدِدْ
فَقُلْتُ : دَعَوْنِي لَا أَنَا لِأَيْكُمْ	فَمَ أَحْطِ رَأْيَا فِي الْمَقَامِ وَلَا انْتَدِي
وَقُلْتُ : حَذُوا أَمْوَالَكُمْ عِزَّ حَاتِفٍ	وَلَا نَظَرِ فِيهَا بِحَى بِهِ عَدِي
فَدُوسِكُمُوهَا إِنَّمَا هِيَ مَالِكُمْ	مَصُورَةُ أَخْلَاقِهَا لَمْ تَحْدِدْ
سَاحِلُ نَفْسِي دُونَ مَا تَحْدَرُونَهُ	وَأَرْهَكُمْ نَوْمًا عَمَّا قُلْتُهُ يَدِي
فَارْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْمَحْدَدِ قَائِمٌ	أَطْمَأَ وَقَلْبًا : الدَّيْنُ دِينُ مُحَمَّدٍ

فَصَرَّحَ كَمَا رَأَى أَنَّهُ اسْتَنْقَى الصَّدَقَةَ فِي أَيْدِي قَوْمِهِ رَفَقًا بِهِمْ وَتَعَرُّفًا إِلَيْهِمْ ، إِلَى أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَقَدْ رَوَى حَمَاقَةُ عَنْ أَهْلِ سَيْرٍ ، وَذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، أَنَّ مَالِكًَا نَهَى قَوْمَهُ عَنِ الْأُحْتِمَاعِ عَلَى مَتَاعِ الصَّدَقَاتِ وَفَرَّقَهُمْ ، وَقَالَ : نَابِي يَرْبُوعَ ، إِنَّا كُنَّا قَدْ عَصَيْنَا أَمْرًا ، مَا يَدْعُونَا إِلَى هَذَا الدَّيْنِ ، وَبِضْآنَا النَّاسَ عَنْهُ ، فَلَمْ يُصْلِحْ وَلَمْ نَنْتَحِجْ ، وَإِنِّي قَدْ بَطَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَوَحَّدْتُ الْأَمْرَ بِتَأْنِي لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ بغيرِ سِيَاسَةٍ ، وَإِذَا أَمَرَ لَا يَسُوسُهُ النَّاسُ ؛ فَإِنِّي كَمَا وَمُعَادَاةُ قَوْمٍ يُصْغَعُ لَهُمْ فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَرَجَعَ مَالِكٌ إِلَى مَعْرَلِهِ ، فَمَا قَدِمَ حَبِيبُ الْمَطَاحِ بَثَّ السَّرَايَا وَأَمْرَهُمْ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَأْتُوهُ بِكُلِّ مَنْ لَمْ يُجِبْ ، وَأَمْرَهُمْ بِنِ أُمْتَسَحَ أَنْ يَقَاتِلُوهُ ، فَجَاءَتْهُ الْحِيلُ بِمَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ فِي شَعْرِهِ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ؛ وَاحْتَسَبَ اسْرِيَّةً فِي أَمْرِهِمْ ، وَفِي السَّرِيَّةِ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ أُنْهَمُ أَدْبُوهُ وَأَقَامُوا وَحَسَبُوا ، فَلَمَّا ائْتَفَلَفُوا فِيهِمْ

أمر بهم خالد فحسبوا وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، فأمر خالد ماديًا يُنادي : « أدفئوا أسراكم »^(٢) ، فظنوا أنهم أمرُوا بقتلهم ، لأن هذه اللمعة تستعمل في لغة كناية للقتل ، فقتل ضِرَارُ بْنُ الْأَرْوَرِ مالكا ، وتزوج خالد زوجته أم تميم بنت المِهَال^(٣) .

وفي خبر آخر أن السرية التي نزل بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل داعوهم ، فأخذ القوم أسلح ! قال : قلنا . إنا انصبوب ، مضوا : ونحن المسجون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فصموا السلاح ، فلما وصعوا السلاح رَظَظُوا أسارى فأتوا بهم خالد . فحدث أبو قتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا للإسلام ، وأن لهم أمانا ، فلم يلتفت خالد إلى قولهم وأمر بقتلهم ، وقسم سائرهم ، وحبس أبو قتادة ألا يسير تحت لواء خالد في حيش أبدا ، وركب فرسه شادا إلى أبي بكر ، فاجترأه الخبر ، وقال له : إني نهيتُ خالدًا عن قتله ، فلم يعمل قول ، واحد يشاهده الأعراب الذين عزمهم أسائهم ، وإن عمر لما سمع ذلك نكلم فيه عبد ابن بكر فأكثروا . ^(٤) بعد القصاص قد وحب عليه . ولما أقبل خالد ابن الوليد فاعلا دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، متسجرا^(٥) نهمة له قد عرر في عمامته أسبها ، فلما دخل المسجد قام إليه عمر فزع الأسهم عن رأسه فطعمها ، ثم قال له : فاعدو نفسيه ، أعددوت على امرئ مسلم فقتلته ، ثم زوّت على امرأته ! والله لتركُ حُمَّتْكَ بأحجارك . وخالد لا يكلمه ، ولا يعش إلا أن رأى أبي بكر مثل رأيه حتى دخل إلى أبي بكر وأعتذر إليه بمذره وتجاوز عنه ، فخرج خالد وعمر حاسين في المسجد فقال : هلم إلي يا ابن أم ثعلبة ! فمرو عمر أن أما بكر قد رصى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته^(٥) .

وقد روي أيضا أن عمر لما ولي جمع من عشرة مالك بن نويرة من واحد منهم

(١) ب : « داعو » ، صوابه في د والطري . (٢) الطري : « أسراكم » .

(٣) تاريخ الطري ٣ : ٢٧٨ (الطريف) ، مع تصرف واختصار .

(٤) اعتمر العمامة : أسبها . (٥) تاريخ الطري ٣ : ٢٧٩ . ٢٨٠ .

وأسترَحَّ ما وَجَدَ عند السَّليمان من أموالهم وأولادهم وسائرهم ، فردَّ ذلك عليهم جميعاً مع نصيبه كان منهم . وقيل : إنَّه ارتفع بمصر لسائرهم من نواحي دِمَشقَ ، وبعضهم حوامل ، فردَّهن على أزواجهن . فالأمر ظاهرٌ في خطأ خالد ، وخطأ من تجاوز عنه . وقول صاحب الكتاب : إنَّه يجوز أن يحصى عن عمر ما يظهر لأنى نكر ليس شياً ؛ لأنَّ الأمر في قصة خالد لم يكن مشدداً ، بل كان مشاهداً معنوياً لكل من حصَّره ؛ وما تأوَّل به في القتل لا يمدَّر لأجله ، وما رأينا أن بكر حَكَمَ فيه بحكم التأوَّل ولا غيره ، ولا تلاقَ خطأه وزَلَّه ، وكونه سَيِّماً من سيوف الله على ما دَّعا لا يسقط عنه الأحكام ، ومرتته من الآثام . وأما قول متعم : لو قُتِلَ أحيى على ما قُتِلَ عليه أحوك لما رَدَّيْتُهُ ، لا يدلُّ على أنَّه كان مرتدّاً ، فكيف يَطُنُّ عاقلٌ أن متعم يعترف برَدَّةِ أحيى وهو يطالب أبا بكر بدميه والامتناع من قانيه ، وردَّ سيِّبه ، وإنَّه أراد في الحيلة التقرب إلى عمر بتقريب أحيى ثم لو كان ظاهر هذا القول كعادته لكان إنما يقصد تمصيل قتلِهِ رَدِّه على قتلِهِ مالك ، والحال في ذلك أظهر ، لأنَّ رداً قُتِلَ في نكث السم من ذاتاً عن وخوهم ، ومالك قُتِلَ على شبهة ، وبين الأمرين فرق .

وأما قوله في السِّيِّ صَلى اللهُ عليه وآله : « صاحبك » فقد قال أهل العلم : إنَّه أراد القرشيَّةَ لأنَّ حاله قرشيٌّ . ونعم ، فليس في ظاهر إسافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه ، ولو كان علم من مقصده الاستحفاف والإهانة على ما ادَّعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتدَّ خالدٌ بذلك عند أنى بكر وعمر ويعتدَّ به أبو بكر لما طاب له عمرُ بقتله ، فإنَّ عمر ما كان يمتنع من قتل فادح في سيرة السِّيِّ صَلى اللهُ عليه وآله ، وإنَّ كان الأمر على ذلك فأي معنى لقول أبي بكر : تأوَّل فاحصاً ! وإنما تأوَّل فاحصاً إن كان الأمر على ما ذكر ^(١) .

قلت : أما تعجب المرتضى من كون قوم منعموا الزكاة وأقاموا على الصلاة ودعواه أن هذا غير ممكن ولا صحيح ، فالمعجب منه كيف يُتكر وقوع ذلك ، وكيف يسكر إمكانه ! أما الإمكان فلاه لا ملارمة بين العبادتين إلا من كونهما مقترنتين في بعض المواضع في القرآن ، وذلك لا يوجب تلازمهما في الوجود ، أو من قوله : إن الناس يعلمون كون الزكاة واجبة في دين الإسلام ضرورة ، كما تعلمون كون الصلاة في دين الإسلام ضرورة ، وهذا لا يمنع اعتقادهم سقوط وجوب الزكاة لشبهة دخلت عليهم . فإنهم قالوا : إن الله تعالى قال لرسوله : ﴿ حَدِّثْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ سَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ^(١) قالوا : فوصف الصدقة المروضة بأنها صدقة من شأنها أن يطهر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ويرزقهم بأحديها منهم ، ثم عتب ذلك بأن فرض عليه مع أخذ الزكاة منهم أن يصلي عليهم صلاة تكون سكنا لهم . قالوا : وهذه الصفات لا تتحقق في غيره ، لأن غيره لا يطهر الناس ويرزقهم بأحد الصدقة ، ولا إذا صلى على الناس كانت صلاته سكنا لهم ، فلم يحجب علينا دفع الزكاة إلى غيره . وهذه الشبهة لا تنافي كون اركاة معلوما وحيوها ضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله ، لأنهم ما ححدوا وحيوها ، ولكمهم قالوا : إنه وجوب مشروط ، وليس يُعلم بالضرورة انشاء كونها مشروطة ، وإنما يُعلم ذلك بنظر وتأويل ، فقد بان أن ما ادعاه من الضرورة ليس بدال على أنه لا يمكن أحد اعتقاد بوجوب الزكاة بعد موت الرسول ، ولو عرِضت مثل هذه الشبهة في صلاة لصح لذهاب أن يذهب إلى أنها قد سقطت عن الناس ؛ فأما الوقوع فهو المعلوم ضرورة بالتواتر ، كما يعلم من أبا بكر وإلى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ضرورة بطريق التواتر ، ومن أورد الوقوف على ذلك فليستر في كتب التواريخ

فإنها تشتمل من ذلك على ما يشفى ويكفى . وقال أبو حمزة محمد بن حرير الطبري في التاريخ الكبير بإسناد ذكره : إن أبا بكر أقم بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجيه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة لم يحدث شيئاً ، وجاءته وفود العرب مرتدين يُقِرُّون بالصلاة ويعمون الصدقة ، فلم يقبل منهم وردهم ، وأقام حتى قدم أسامة بعد أربعين يوماً من شحوصه ، ويقال : بعد سبعين يوماً^(١)

وروى أبو حمزة قال : استنمت العرب قاطبة من أداء الزكاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قرشا وثقيفاً^(٢) .

وروى أبو حمزة ، عن التري^(٣) عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ارتدت العرب ومعت الزكاة إلا قرشا وثقيفاً ، فأما هوارز فقدمت رَحْلاً وأحرت أخرى ، أمسكوا الصدقة^(٤) .

وروى أبو حمزة ، قال : لما ممت العرب الزكاة كان أبو بكر ينتظر قدوم أسامة بالجيش ، فلم يحارب أحداً قبل قدومه إلا عتاً ودبيل ، فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامة^(٥) .

وروى أبو حمزة ؛ قال : قدمت وفود من قاتل العرب المدينة ، فرتلوا على وجوه الناس بها ، ويحملونهم إلى أبي بكر أن يقيموا الصلاة وآلا يؤتوا الزكاة ، فمرم الله لأبي بكر على الحق ، وقال : لو سمعوني عقاب نبي لحاهدتهم عليه^(٦) .

وروى أبو حمزة شمر الخطيل^(٧) بن أوس ، أخى الخطيئة في معنى منع الزكاة ، وأن

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٩٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٣) م : « السدي » ؛ صوابه ن ، أ ، د وتاريخ الطبري .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٥) تابع الطبري ٣ : ٢٤٣ .

(٦) تابع الطبري ٣ : ٢٤٤ . والحال : الخيل التي كان يقبل به البحر الذي كان يؤخذ في الصدقة

(٧) في الأصول : « العطل » ، وصوابه من تاريخ الطبري .

أبا بكر ردّ سؤال العرب ولم يُعجبهم من مُجاليته :

أطعنا رسول الله إذ كان يبسا فيالأمياد الله ما لآنى نكر^(١)
أيورثها بكر^(٢) إدامات بمدّه وتلك لعمر الله قاصمة الطهر
فهلّا ردّدتم وعدا يا حبة وهلا حيثم مه راسية الكر
فإن الذي سئالوكم فمستم^(٣) لكاتمر أو أخلى خلف بني هز^(٤)

وروى أبو حمزة قال : لما قَدِمَت العربُ المدينة على أبي بكر فكلّموه في إسقاط الزكاة، تزلوا على وحوه الناس بالمدينة فلم يبق أحدٌ . لا وأرل عليه ناساً منهم ، إلا العباس بن عبد المطلب ، ثم اجتمع إلى أبي بكر السهون ، فحوقوه ناس القرب واجتماعها ، قال صرار بن الأورور : فما رأيتُ أحداً . يس رسول الله - أملاً بمخرب شقواء من أبي بكر فحملنا^(٥) مخوفة^(٦) وروعه ، وكنا نأبغا بحبره بماله لا ما عليه ، واجتمعت كلمة المسلمين على إحالة العرب إلى ما طسنا ، وأبي أبو بكر أن يعقل إلا ما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن يأخذ إلا ما كان يأخذ ، ثم اتخيم يوماً وبيلة ، ثم أمرهم بالانصراف ، وطاروا إلى عشارهم^(٧) .

وروى أبو حمزة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت عمرو بن العاص إلى عثمان قبل موته ، فمات وهو بها ، فأقبل قهلاً إلى المدينة ، فوجد العرب قد سمعت الزكاة ، فقبل في بني عامر على قرته من هبرة ، وقرّة يقدّم رَحلاً ويؤخر أخرى ، وعلى ذلك سو عامر كلهم إلا الخواص . ثم قدّم المدينة ، فأطافت به غريش ، فأحبرهم أن المساكر مفسكرة حولهم ، ففترق السهون ، وتحقروا خلفاً ، وأقبل عمر بن الخطاب ، قرّة بمخلقة

(١) أورده صاحب الأمان السب الأول والثاني (٢ - ١٥٧ . صفة دار الكتب) وسبها إلى المصنفه .

(٢) الطبري ٣ : ٢٤٦ ، ومه : « أو أخلى إلى من البحر » .

(٣) ب : « يحملنا » ، وصوابه من الطبري ، « . » (٤) الطبري : « نخزله » .

(٥) تاريخ الطبري ٣ : ٢٥٨ .

وهم يتحدثون فيما سَمِعُوا من عمرو ، وفي تلك الحفنة على عثمان وطححة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ، فلما دنا عمرُ منهم سَكَنُوا ، فذر . في أي شيء أنتم ؟ فلم يُجرووه ؛ فقال : ما أعلمني بالذي حلَّوْتم عليه ! فمصب طححة وقال : الله يأس الخطاب ! إنك لتعلم الغيب ! فقال : لا يعلم الغيب إلا الله ، ولكن 'ص' قلتم : ما أخوفنا على قريش من العرب وأحلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر . قالوا : صدقت ، فقل : فلا تخافوا هذه المرة ، أنا والله منكم على العرب أخوف مني عليكم من العرب ^(١) .

قال أبو حمزة : وحديثي الرزي ، قال : حدثني شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : رل عمرو بن العاص بمصر فقه من عثمان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه بن هيرة بن سلمة بن يسير ، وحوله عساكر من أهلهم ، فدفع له ، وأكرم منزلته ، فلما أراد الرحلة حلاله وقال : يا هذا ؛ إن العرب لا تطيب لكم أمسا بالإثاوه ، فإن أنتم أعيشتموها من أخذ أموالها فاستمع وصنع ، وإن أنتم فإياها تجمع عليكم ؛ فقال عمرو : أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها ! موعدنا جيش أمك ، أما والله لأوطئته عليك الخيل ، وقدم على أبي بكر والسليمان فاجبرهم ^(٢) .

وروى أبو حمزة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأ عماله في بني تميم على قبض الصدقات فجعل الزبير بن عبد العوف والرباب ، وقيس بن عاصم على مقاعيس والبطون ، وصعوان بن صعفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ، ومالك بن نويرة على بني حنظلة ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرَّ صعوان إلى أبي بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بني عمر ، وبما ولي منها ، وما ولي سبرة ، وأقام سبرة في قومه لحدث إن ناب ، وأطرق قيس بن عاصم يطار ما الزرقان صانع ؟ فكان له عدوا وقال وهو ينتظره ويبتظر ما يصنع : وبني عليه ! ما أدري ما أصنع إن أنا

بأيتُّ أبو بكر وأثبته بصدقات قومي حتى فهم فساءني عندهم ، وإن رددتها عليهم فبئس
أبو بكر فيسوءني عنده ، ثم عزم بئس على قسمتها في مُعاعيس والبطلون ، فعل وعزم الزُّرقان
على الوفاء ، فأتبع صفوان بصدقات عوف والرباب حتى قديم بها المدينة وقال شمرا بمرض
فيه بئس بن حاصم ، ومن حملته :

وفيت بأدواد الرسول وقد أتت سعاة فلم يرؤد بصيراً أميرها
فلما أرسل أبو بكر إلى قيس الملاء بن الحصري أحرص الصدقة ، فأتاه بها وقدم معه
إلى المدينة (١) .

وفي تاريخ أبي جعفر الطبري من هذا الكثير الواسع ، وكذلك في تاريخ غيره من
التواريخ ، وهذا أمر معلوم بأسطرار ، لا يجوز لأحد أن يُخالف فيه .

فأما قوله : كيف يصح ذلك ، وقد قال لهم أبو بكر : إذا أدبوا وأقاموا كأداسكم وإقامتكم ،
فكفوا عنهم ، فحمل أماراة الإسلام والبرامة من الردة الأدار والإقامة ، فإنه قد أسقط
بعض الخبر ، قال أبو جعفر الطبري في كتبه : كانت وصيته لهم : إذا زلتم فادبوا وأقيموا ،
فإن أدب القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، فإن لم يفعلوا فلا شيء ، إلا الفارة ، ثم اقتلوا كل قتلة ؛
الخرق فاسواء ، وإن أحابوا داعية الإسلام فأسألوهم ، فإن أقرؤا بالزكاة فأقبلوا منهم ،
وإن أبوا فلا شيء ، إلا الفارة ، ولا كلمة (٢) .

فأما قوله : وكيف يُطلق قاضي الفضاة في سائر أهل الردة ما أطلقه من أنهم كانوا
يصلون ومن أجلهم أصحابُ مسيلة وطححة وإنما أراد قاضي الفضاة بأهل الردة هاهنا
ما رعى الزكاة لا غير ، ولم يُرد من حشد الإسلام بالكلية .

فأما قصة مالك بن نويرة وحظير بن الوليد فإنها مشبهة عدى ، ولا غرو فقد
أُشبهت على الصحابة ، وذلك أن من حضرها من العرب اختلفوا في حال القوم : هل كل

عليهم شعار الإسلام أولاً ؟ وأختلف أبو بكر وعمر في خالد مع شدة اتفاقهما ، فأما الشعر الذي رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف إلا البيت الأخير ، فإنه غير معروف ، وعليه عمدة المرتضى في هذا المقام ، وما ذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما في التواريخ إلا موبضعات بسيرة :

منها قوله : إن مالكا نعى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات ، فإن ذلك غير منقول وإنما المنقول أنه نعى قومه عن الاجتماع في موضع واحد ، وأمرهم أن يتفرقوا في ميابهم ؛ ذكر ذلك الطبري ولم يذكر سببه إياهم عن الاجتماع على منع الصدقة ، وقال الطبري : إن مالكا تردد في أمره : هل يحمل الصدقات أم لا ؟ فجاءه خالد وهو متحيزٌ سبيح .

ومنها أن الطبري ذكر أن صراد بن الأزور قتل مالكا عن غير أمر خالد ، وأن خالدًا لما سمع الواقعة حرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ؛ قال الطبري : وغضب أبو قتاده لذلك ، وقال لخالد : هذا عملك وفارقه وأتى أبا بكر فأخبره فعضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر ، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة^(١) .

ومنها أن الطبري روى أن خالدًا لما تزوج أم نعيم بنت المنهل امرأة مالك لم يدخل بها وتركها حتى تنقض طهرها ، ولم يذكر المرتضى ذلك . ومنها أن الطبري روى أن متممًا لما قدم المدينة طلب إلى أبي بكر وسئله ، فكتب له رد السبي ؛ والمرتضى ذكر أنه لم يرد إلا في خلافة عمر . فأما قول المرتضى : إن قول متمم : لو قتل أحى على مثل ما قتل عليه أحوك لما ركبته ،

لا يدلّ على رِدَّتِه ، صحيح ، ولا ربّ أنه قصّد تقريباً ريّذ بن الخطاب وأن يُرغِبَ
عمرُ أحماء بذلك . وبعيناً قال المرتضى ! إن بين القتلَين فرقا طاهرا ، وإليه أشار متمم
لا محالة .

فأما قول مالك : صاحبك ، يميني أسيّ صلى الله عليه وآله ، فقد روى هذه اللفظة
الطبري في التاريخ ، قال : كان خالدٌ يعتذر عن قتله ، فيقول : إني قال له وهو يراخه :
ما إحالُ صاحبكم إلّا قال كذا وكذا ، فقال له خالد : أو ما نعدّه لك صاحباً^(١) ! وهذه
لعمري كلمة حافية ؛ وإن كان لها سحرٌ في التأويل ، إلّا أنه مُستكره ، وقرائن الأحوال
يُعرفها من شاهدها وتسميها ، فإذا كان خالدٌ قد كلّ يعتذر بذلك ، فقد أدفعَ بقول
المرتضى : هلا اعتذر بذلك ! ولست أرى حسداً عن الخطأ ، وأعلم أنه كان ختاراً فاسكاً
لا بُرّاق الدين فيما يحمله عليه العصب وهوّى منه ، ولقد وقع منه في حياة رسول الله
صلى الله عليه وآله مع بني حديصة بالغضب العظيم ممّا دفع منه في حقّ مالك بن نويرة ،
وعما عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن غضب عليه مُدّة وأعرّض عنه ، وذلك انعم
هو الذي أطمعه حتى قتل سبي يربوع ما فعل بالسطاح .

الطعن الثامن

قولهم : إن مما يُؤثّر في حاله وحال عمر دَفْعُهُمْ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في
بيئته ، وقد مع الله تعالى اسكلّ من ذلك في حال حياته - فكيف بعد المات - بقوله
تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾^(٢) .

أحلب قاصي القصّة بأن الموضع كل منسكا لمائشة ، وهي حُجْرَتُهَا التي كانت

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٠ . (٢) سورة الأحزاب ٣٣ .

معروفة بها ، والحجبرُ كلُّها كانت أملاً كما لأرواح النبي صلى الله عليه وآله ، وقد نطق القرآنُ بذلك في قوله : ﴿ وَقَرَأَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ^(١) ، وذكر أن عمرَ استأذن عائشةَ في أن يدفن في ذلك الموضع ، وحتى قال : إن لم تأذن لي فادفِنوني في السَّبع ، وعلى هذا الوجه يُحتمل ما روي عن الحسن عليه السلام أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى حبس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن لم يترك في السَّبع ، فعاً كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دُفن في السَّبع . وإما أوصى بذلك بإذن عائشة ؛ ويحور أن يكون علم من عائشة أنها حملت الموضع في حكم الوصف ، فاستباحوا ذلك لهذا الوجه ؛ قال : وروى عنه عليه السلام في ذلك الموضع ما يدل على قصر أبي بكر ، لأنه عليه السلام لما مات اختلفوا في موضع دفنه ؛ وكثر القول حتى روى أبو بكر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال ما يدل على أن الأنبياء إذا ماتوا دُفِنوا حيث ماتوا ، فقال الخلاف في ذلك ^(٢) .

اعترض الرنصي فقال : لا يجوز موضع دفن النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون مائتاً على منكبه عليه السلام ، أو يكون أسيراً في حياته إلى عائشة على ما ادَّعاه ؛ فإن كان الأول لم يحمل أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة ؛ فإن كان ميراثاً فما كان يحمل لأبي بكر ولا لغيره من بعده أن ياترأ بدوهم فيه إلا بمدبر صاء الورثة الذين هم على مدحهما فاطمة وجماعة الأرواح ، وعلى مدحهم هؤلاء ، والباس ، ولم يجد واحداً منهما حامل أحد من هؤلاء الورثة على ابتياع هذا المكان ولا استئجاره عنه شمس ولا غيره . وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرخص عنه جماعة المسلمين ويشتاعه منهم ؛ هذا إن حار الأتباع لما يتجرى هذا المجرى ، وإن كان انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سب انتفاله والخبرة فيه ، وإن فاطمة عليها السلام لم يقنع منها في انتقال ذلك إلى منسكها بقولها ، ولا شهادة من

قبيدها. فإما تعلقه بإضافة البيوت إليهن في قوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ؛ فمن ضميم الشبهة ؛ لأننا قد بينا فيما مضى من هذا لكتب أن هذه الإضافة لا تقتضي الملك ، وإما تقتضي السكنى ، والعادة في استعمال هذه اللفظة في باد كرماء طاهرة ، قال تعالى : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ ولم يرد الله تعالى إلا حيث يسكن ويترن دون حيث يملك وما أشبهه ، وأظرف من كل شيء تقدم قوله : إن الحسن عليه السلام استأذن عائشة في أن يدفن في البيت حتى سمعه مروان وسعيد بن العاص ؛ لأن هذه مكاراة منه ظاهرة ، فإن المانع للحسن عليه السلام من ذلك لم يكن إلا عائشة ، ولعل من ذكره من مروان وسعيد وغيرها أعانها واتسع في ذلك أمرهم ، وروى أنها حرحت في ذلك اليوم على فعل حتى قال ابن عباس : يوماً على تفل ويوماً على حل فكيف تاذن عائشة في ذلك ، وهي مالكة الموضع على قولهم ، ويصح منه مروان وغيره ممن لا ملك له في الموضع ولا شركة ولا يد ! وهذا من صحيح ^(٢) ما يرتك . وأى فصل لا يكر في روايته عن النبي صلى الله عليه وآله حديث الدفن ! وعلمهم بقوله إن سح من سدهن صاحب الكتاب وأصحابه المعسل ببحر الواحد العدل في أحكام الدبر العظيمة ، فكيف لا يعمل بقول أبي بكر في الدفن وهم يعملون بقول من هو دونه فيما هو أعظم من ذلك ^(٣) !

قلت : أما أبو بكر ؛ فإنه لا يلحقه بدفيه مع الرسول صلى الله عليه وآله دم ؛ لأنه ما دفن نفسه ، وإنما دفعه الناس وهو ميت ، فإن كان ذلك خطأ فالإثم والدم لاحتقان بمن فعل به ذلك ، ولم يثبت عنه بأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنما قد يمكن أن يتوحد هذا الطمس إلى عمر ، لأنه سأل عائشة أن تدفن في الحجرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر . والقول عدى مشته في أمر حنرا الأزواج :

(١) سورة الطلاق ١ . (٢) النكاح : ٤ أفصح . (٣) الثاني ٤٢٤ .

هل كانت على يلك رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن تُتوفى، أم مَلَكَها نساؤه؟ والذي
تُطْلَقُ به التواريخ أنه لما خرج من فناء ودخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب،
اختط السجد واحتط حُجَر سائه ومثانه، وهذا يدل على أنه كان المالك للمواضع،
وأما خروجها عن ملكه إلى الأرواح وابتدأت فتا لم أفت عليه. وبحوز أن تكون
المصحابة قد همت من قرآن الأحوال وبت شاهدوه عليه السلام؛ أنه قد أقر كل بيت
منها في يد روحه من الزوحت على سبيل الهبة والعطية، وإن لم يُقبل عنه في ذلك صيغة
لفظ مُعْتَى، والقول في بيت فاطمة عليها السلام كذلك، لأن فاطمة عليها السلام لم تكن
تملك مالا، وعلى عليه السلام بتها كل قبرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
حق إبه كان يستحق الماء ليهود بيده، يسي بانيهم لقوت يدفعونه إليه، فمن أين
كان له ما يتناع به حجرة يكن فيها فهو وزوجته^(١) والمول في كثير من الزوحت
كذلك أسمن كن قيراب مدفعات^(٢) نحو سفينة بنت حبي بن أخطب، وخويرية بنت
الحارث، وميمونة، وعمرهن، فلا وجه بممكن أن يملك منه هؤلاء النسوة والبنت
الحجرة؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لهن؛ هذا إن ثبت أنها خرجت
عن ملكيته عليه السلام، وإلا فهي ماقية على ملكيته باستصحاب الحال. والقول في
حجرة ريب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، لأنه أقدمها من مكة معارفة
لبعلها أبي العاص بن الربيع، فأسكنها المدينة في حجرة مسعدة حالية عن بن، فلا بد
أن تكون تلك الحجرة بمقتضى ما يتغلب على الظن ملكا له عليه السلام، فيستدام
الحكم بملكها لها إلى أن نجد دليلا يثبتها عن ذلك. وأما رقية وأم كلثوم زوجتا عثمان،
فإن كان مثيرا ذا مال فيجوز أن يكون يتناع حجرة سكنت فيها الأولى منهما، ثم
الثانية بعدها.

(١) ب : روحه .

فَأَمَّا أَحْتِجَاجُ قَاضِي الْقِصَاةِ فَقَوْلُهُ : ﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ؛ فَاعْتِرَاضُ الْمُرْتَضَى عَلَيْهِ قَوِيٌّ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْإِصَافَةَ إِنَّمَا تَقْتَضِي التَّحْصِيسَ فَقَطْ لَا التَّمَايُكَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ وَبِحُجُورِ أَنْ يَكُونَ أَبُو مَكْرٍ لَمَّا رَوَى قَوْلَهُ : « لَمْ يَحْنِ لَا بُورَثَ » تَرَكَ الْحَجَرَ فِي أَيْدِي الزَّوْجَاتِ وَابْتَدَأَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْقِصَاعِ لَمْ لَا التَّمْلِيكَ ، أَيْ أَمَّا حَنْ السُّكُونِ لَا التَّصَرُّفِ فِي رِقَابِ الْأَرْضِ وَالْأُتْبِيَةِ وَالْآلَاتِ ، لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، وَلِأَنَّهُ كُلُّ مَنْ التَّهَجَّنَ الْقَبِيحَ إِحْرَاحُحْنَ مِنَ الْبُيُوتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَذَلِكَ ؛ فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ كَبِيرَةٌ دَاتُ مَخْلٍ كَثِيرٍ حَرَجَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَطْمَئَةً مُتَصَرِّفَةً فِيهَا مِنْ قَبْلِ تَقَبُّلِ تَقْسِمِهَا وَلَا بِوَكَيْلِهَا ، وَلَا رَأَتْهَا قَطً ، فَلَا تُشَبِّهُ بِهَا حَالُ الْحَجَرِ وَأَيْضًا لِإِبَاحَةِ هَذِهِ الْحَجَرِ وَزَارَةِ أَثْمَانِهِمْ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَبْنَةً مِنْ طِينٍ قَصِيرَةِ الْحِدْرَانِ ، فَلَمَّا أَبَا مَكْرٍ وَالصَّحَابَةُ اسْتَحَقَرُّوْهَا ، فَأَفْرَقُوا النِّسَاءَ فِيهَا وَعَوَّصُوا السُّلَاطِينَ عَنْهَا بِالشَّيْءِ الْبَسِيرِ مِمَّا يَضَعِي الْحِسَابَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَهْمِ الْأَرْوَاحِ وَالسَّعْيِ عِنْدَ مِثْمَةِ الْفَقْرِ .

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ وَمَا حَرَّكَهُ مِنْ طَائِفَةٍ وَمِنْ أُمِّيَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحَجَرِ الْمَرْوِيِّ فِي دَفْنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَكَانَ أَبُو الْمَطَرِ هَهُنَا اللَّهُ بْنُ الْوُسْوَیِّ صَدْرَ الْحَرَنِ الْمَعْمُورِ ، كَانَ فِي أَبْطَامِ الْعَاصِرِ لِدُنِّ اللَّهِ إِذَا حَدَّثَتْهُ حَدِيثَ وَهَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَوَاةِ أَبِي مَكْرٍ مَارُوهَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ » ، يَحْتَلِفُ أَنْ أَبَا مَكْرٍ افْتَعَلَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الْحَالِ وَالْوَقْتِ ، لِيُدْفَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ ، ثُمَّ يُدْفَنَ هُوَ مَعَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا مِثْلُ ظِلْمٍ ^(٢) الْحَجَرِ ، وَأَنَّهُ إِذَا دُفِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ فَإِنَّ ابْنَتَهُ تَدْفِنُهُ لَا مَحَالَةَ فِي حُجْرَتِهَا عِنْدَ بَعْلِهَا ، وَأَنَّ دَفْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوْضِعٍ

(١) سُورَةُ الْعَلَقِ ١ .

(٢) يُقَالُ : مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا ظِلْمٌ الْحَجَرِ ؛ أَيْ شَيْءٌ بِسِرٍّ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَفْقَرُ طِلْثًا مِنْهُ .

آخرَ فرُبما لا يَتَبَيَّنُ له أن يُدْفَنَ عنه ، فرأى أن هذا القور بهذا الشرف العظيم ، وهذا المكان الجليل ، مما لا يفتنني حسن التدبير فوته ، وإن انتهار الفرصة فيه واحب ، فرَوَى لهم الخبر ، فلا يُمكنهم مدَّ روايته ألا يعمَلوا به ، لاسيما وقد صار هو الخليفة ، وليه السلطان والنفع والضرر ، وأدرك ما كل في نفسه ، ثم نَسَحَ عمرُ على منواله ، فرِيعَ إلى عائشة في مثل ذلك ، وقد كان يُكرِّمها ويقدمها على سائر الزوجات في العطاء وغيره ، فأحابتَه إلى ذلك ، وكان مُطاعاً في حياته وبعد مماته ، وكل يقول : واعجباً للحسن وطَمِعه في أن يُدْفَنَ في حُجْرَةِ عائشة ! والله لو كان أبوه الخليفة يومئذ لما تَبَيَّنَ له ذلك ، ولانتم لنعصر عائشة لهم ، وحسد الناس إِيَّاهم ، وتغالوا بني أُمَيَّةَ وغيرهم من قريش عندهم ! ولهذا قالوا : يُدْفَنُ عثمانُ في حَشٍّ كوكب^(١) ، ويُدْفَنُ الحسنُ في حُجْرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف والخليفة مَدُوبَةٌ والأمراء بالمدينة سوامية ، وعائشة صاحبة الموضع ، والناصرُ لِنبي هاشم قليل ، والشأنُ كثير . وأنا أستغفر الله مما كل أبو المظفر يُخْلِفُ عليه ، وأعلم وأطن طناً شديداً بالعلم أن أنا نكر ما رَوَى إلا ما سَمِعَ ، وأنه كل أنى لله من ذلك

الظمن التاسع

قولهم : إِنَّه نَصَّ على عمرَ بالخلافة ؛ تخلف رسول الله صلى الله عليه وآله على رَفْعِهِ ، لأنه كان يرْعُمُ هو ومن قال بقوله أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف .

(١) حش كوكب : موضع بمدينة .

والجواب أن كونه لم يستحلف لا يدل على تحريم الاستحلاف ، كما أنه من لم يركب الفيل لا يدل على تحريم ركوب الفيل . فإن قالوا : ركوب الفيل فيه منفعة ولا مضرة فيه ولم يرد نص بتحريمه ، فوجب أن يحسن . قيل لهم : والاستحلاف مصلحة ، ولا مضرة فيه ؛ وقد أجمع المسلمون أنه طريق إلى الإمامة ، فوجب كونه طريقاً إليها ، وقد روي عن عمر أنه قال : إن استحلف فقد استخلف من هو خير مني . يعني أبي بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله . فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصحابة أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبي بكر عليه ، وأتقوا أحكامه ، واتقوا إليه لأجل نص أبي بكر لا شيء سواه ، فلو لم يكن ذلك طريقاً إلى الإمامة لما ألتفتوا إليه . وقد اختلف الشيعة أبو علي وأبو هاشم في أن نص الإمام على إمام بعده ؛ هل يكفي في انعقد إمامته ؟ فقال أبو علي : لا يكفي ، بل لابد من أن يرضى به أئمة حتى بحري عهده إليه بحري عهد الواحد رصد أئمة ؛ فإذا قارب رسا أئمة صار بذلك إماما ، ويقول فيبيعة عمر : إن أنا بكر أحضر جماعة من الصحابة لما نص عليه ، ورجع إلى رسام بذلك ، وقال أبو هاشم : بل يكفي نعمته عليه ، ولا يُراعى في ذلك رسا غيره به ، ولو ثبت أن أبا بكر فعله لكان على طريق التسع للنص ، لا أنه يؤثر في إمامته مع العهد ؛ ولعل أبا بكر إن كان فعل ذلك فقد استطاع به نفوسهم ، ولهذا لم يؤثر فيه كراهية طلحة حين قال : ولت عليما قطاً عيطا . ويبين ذلك أنه لم ينقل استيفاء العقد من الصحابة لعمر بعد موت أبي بكر ولا اجتماع جماعة لعقد البيعة له ، والرسا به ، فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبي بكر إليه .

الطعن المباشر

قولهم : إنه متى نفسه بحليمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لاستخلافه إياه بعد موته ، مع اعترافه أنه لم يستخلفه .

والجواب أن الصحابة ممنه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله لاستخلافه إياه على الصلاة عند موته ، والاستخلاف على الصلاة عند الموت له منزلة على الاستخلاف على الصلاة حال الحياة ، لأن حال الموت هو الحال التي تكون فيها اليهود والنصاريا وما يهتم به الإنسان من أمور الدنيا والدين ، لأنها حال المعارقة . وأما فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ما استخلف أحدا على الصلاة بالمدينة وهو حاصر ، وإنما كان يستخلف على الصلاة قوما أيتام عتيبه عن المدينة ، فلم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاة بالناس كلهم ، وهو صلى الله عليه وآله حاضر بين الناس حتى إلا لأبي بكر ، وهذه مرة طاهرة على سائر الاستخلافات في أمر الصلاة ، فذلك ممنوه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله . وبعد ، فإذا ثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقا^(١) إلى الإمامة وحقيقة ، وثبت أن قوما من أصل الصحابة اختاروه للخلافة ، فقد ثبت أنه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه لا فرق بين أن يوصى الرسول صلى الله عليه وآله على شخص معين ، وبين أن يشير إلى قوم فيقول : من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام ؛ في أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه حليمة رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢) .

الطعن الحادى عشر

قولهم : إنه حرق الفُجاءة السُّنِّيَّة بالدار ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله أن يُحرق أحد بانثار .

والجواب أن الفُجاءة جاء إلى أبي بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحاً يتقوى به على الجهاد في أهل الردَّة ، فأعطاه ، فما حرق قطع الطريق ونهب أموال المسلمين وأهل الردَّة جميعاً ، وقتل كلَّ من وَحَّد ، كما فعلت الخوارج حيث حرقت ، فلما طفر به أبو بكر رأى حرقة النار إرهاباً لأمثاله من أهل نضاد ، ويحور للإمام أن يخصَّ النصَّ العام بالقياس الجليِّ عندنا^(١) .



الطعن الثانى عشر

قولهم : إنه تكلم في الصلاة قبل التسليم ، فقال : لا يفعلنَّ حالداً أمرته ؛ قالوا : ولذلك حذرَ عند أى حنيئة أن يجرح الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من مصدات الصلاة من دون تسليم ، وبهذا احتجَّ أبو حنيئة .

والجواب أن هذا من الأخبار التى تنمردُها الإمامية ، ولم تثبت ؛ وأما أبو حنيئة فلم يذهب إلى ما ذهب إليه لأجل هذا الحديث ، وإنما احتجَّ بأن التسليم خطاب آدمى ، وليس هو من الصلاة وأدكرها ، ولا من أركانها ، بل هو صدَّها ، ولذلك يسطلها قبل التمام ، ولذلك لا يسلم المسموق نعتاً لسلام الإمام ، بل يقوم من غير تسليم ؛ فدلَّ على أنه صدَّ للصلاة وجميع الأصداد بالنسبة إلى رَفَعَ الصَدَّة على ويره واحده ، ولذلك استوى الكلُّ في

(١) الجلى : الواضح .

الإبطال قبل التمام ، فيستوى الكلّ في الانتهاء بعد التمام . وما يذكره القوم من سب كلام أبي بكر في الصلاة أمرٌ بعيد ، ولو كان أبو بكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف وهو نائم ليلاً في بيته ، ولا يعلم أحد من الفاعل .

الطعن الثالث عشر

قولهم : إنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو عتي الشام بأمره أن يقتل سعد بن عباد ، فكس له هو وآخر معه ليلاً ، فلما مرّ بهما رميا فقتلاه ، وهتف صاحب خالد في صلام الليل بمد أن الميا سعدا في ثر هناك فيهما سبتين :

نحن قتلنا سيد الحز رج سعد بن عباد

ورميا بهما ن فلم تُخطِر فؤاده

يوهم أن ذلك شعر الجن ، وأن الجن قتل سعد ، فلما أصبح الناس فعدوا سعدا ، وقد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه ، فوجدوه بعد ثلاثة أيام في تلك الثر ، وقد اخضر ، فقالوا : هذا منيس الجن ؛ وقال شيطان اصدق لسائل سأل : ما منع عليا أن يحاصم أنا نكر في الخلافة ؟ فقال : يا ابن أخي ، خف أن تقتله الجن .

والجواب ، أما أنا فلا أعتقد أن الجن قتلت سعدا ، ولا أن هذا شعر الجن ، ولا أرتاب أن البشر قتلوه ، وأن هذا الشعر شعر الشر ، ولكن لم يثبت عدى أن أبا بكر أمر خالد ، ولا أستبعد أن يكون فعله من تقاء نفسه ليرضى بذلك أبا بكر - وحاشه - فيكون الإثم على

خالد ، وأبو بكر برىء من إثمه ؛ وما ظلك من أفعال خالد بعيد .

الظمن الرابع عشر

قولهم : إنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم ، قالوا : وذلك لا يجوز ، لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يذكر فيها أجرة للإمام .
والجواب أنه تعالى جعل في جملة مصروف أموال الصدقات العاملين عليها ، وأبو بكر من العاملين . وأعلم أن الإمامية لو انصفت لرات أن هذا الظمن بأن يكون من مناف أبي بكر أولى من أن يكون من مساويه ^(١) ومثاليه ، ولكن التمسبة لا حيلة فيها .

الظمن الخامس عشر

قولهم : إنه لما استخلف صرخ مناديه في الدينة : من كان عنده شيء من كلام الله فليأتنا به ؛ فإننا نأزيمون على جمع القرآن ، ولا بأنا بشيء منه إلا ومعه شاهدا عدل ؛ قالوا : وهذا خطأ ، لأن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر ، فأى حاجة إلى شاهد عدل !
والجواب ، أن المرتضى ومن تابعه من الشيعة لا يصح لهم هذا الظمن ؛ لأن القرآن عديم ليس بمُعْجَزٍ بفصاحته ، على أن من جعل معجزته للفصاحة لم يقل : إن كل آية من القرآن هي معجزة في الفصاحة ، وأبو بكر إنما طلب كل آية من القرآن لا السورة بتمامها وكاملها التي يتحقق الإعجاز من طريق الفصاحة فيها . وأيضا فإنه لو أحضر إنسان آية أو آيتين ولم يكن معه شاهد ، فربما تختلط العرب : هل هذه في الفصاحة بالغة

مبلغ الإعجاز اللفظي ، أم هي ثابتة من كلام العرب بثبوته ؛ غير مألوفة إلى حد الإعجاز ؟ فكان يلتبس الأمر ويقع التراجع ، فاستظهر أبو بكر بطلب الشهود تأكيداً ، لأنه إذا انضمت الشهادة إلى انصاحه الظاهر ثبت أن ذلك الكلام من القرآن .

الأصل :

ومن هذا الكتاب :

إِنِّي وَاللَّهِ لَوَ تَقِيَّتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاحُ لَأَرْضٍ كُنْهًا مَا نَلَيْتُ وَلَا اسْتَوْحِشْتُ ؛ وَإِنِّي مِنْ صَلَاحِهِمُ الَّذِي هُمْ بِهِ ، وَالْمُهْدَى الَّذِي بِيَدِهِ ، لَمَلَى تَصِيرَةً مِنْ نَفْسِي ، وَبَقِيَ مِنْ رَبِّي . وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَشْأَنُ ، وَلِجُتْسِ ثَوَابِهِ لَمُسْطَرٍّ رَاحٍ ؛ وَلَكَيْسِي آتِي أَنْ يَبِيَّ هَدِيهِ الْأُمَّةَ سَمَافُوهَا وَمَعَارُهَا ، فَيَسْجِدُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَهُ حَوْلًا ، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا ، وَالنَّاسِيبِينَ حِرْمًا ؛ فَبِرِّ مَتْنِهِمُ الَّذِي شَرِبَ مِنْكُمْ الْحَرَامَ ، وَخَيْدَ حَدِّهِ الْإِسْلَامَ . وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِيتَ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَا نَحْ ؛ فَنُؤَلِّهِ ذَلِكَ مَا كَثُرَتْ تَأْيِيدُكُمْ وَتَأْيِيدُكُمْ ، وَتَحْقِيقُكُمْ وَتَحْقِيقُكُمْ ، وَلَتَرَكُّكُمْ إِذَا أَرَيْتُمْ وَوَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتَتِحَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تَرَوْنَ ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُعْرَى !

انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَشَاقُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقِرُّوا بِالْحَسَفِ ، وَسُوءِ مَا بِالْأُفُقِ ، وَيَكُونُ نَصِيحَتُكُمْ الْأَحْسَنُ ؛ وَإِنْ أَحَا الْحَرْبُ الْأَرِقَ وَمَنْ نَامَ لَمْ يَمُتْ عَنْهُ ، وَالسَّلَامُ .

البُزْجُ :

طِلَاعُ الْأَرْضِ : مَدُونُهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ : لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ دَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ
مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ .
وَأَسَى : أَحْزَنَ .

وَأَكْثَرُ تَأْيِيسِكُمْ : تَحْرِيسِكُمْ وَغَرَاءُكُمْ بِهِ . وَالتَّائِبُ : أَشَدُّ اللَّوْمِ .
وَوَيْبَتُمْ : صَغَفْتُمْ وَفَرَّغْتُمْ . وَتَمَالِكُمْ تَرَوَى ، أَيْ تَقْمَضُ .
وَلَا تَتَّقِلُوا ، بِالتَّشْدِيدِ ، أَصْلُهُ « تَتَّقِلُوا » . وَتَمَرُّوا بِالْحَسَفِ : تَمَرُّوهُوا بِالصَّيْمِ
وَتَصَرُّوهُ . وَتَوَّعُّوا بِالْأَلِّ : تَرَحَّمُوا بِهِ . وَالْأَرِيقُ : الْبَدْيُ لَا يَنَامُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « مَنْ نَامَ لَمْ يَنْتُمْ عَنْهُ » قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَهُ دَرَكٌ مَا أَرَدْتُ شَارِبُ حَرَارٍ لَيْسَ عَنِ الثَّرَاتِ بِرَاقِدٍ ^(١)

أَسْهَرْتَهُ ثُمَّ اصْطَجَعْتَ وَلَمْ يَنْتُمْ حَسَمًا عَلَيْكَ وَكَيْفَ تَوْنُ الْحَاقِدِ !

فَأَمَّا الَّذِي رُضِيَ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَا نَحْ ، فَمَا وَبَى : وَالرِّضَا نَحْ : شَيْءٌ قَلِيلٌ يُطْعَمُ
الْإِنْسَانَ يُصَالِحُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ ^(٢) يُطْلَبُ مِنْهُ كَالْأَخْرِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ
رَغِبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ بِحِمَالٍ وَشَاءَ دُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ كَمَا وَبَى وَأَحْيَاهُ
يُرِيدُ ، وَابْنُهُمَا أَبُو سُفْيَانَ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْمُثَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
ابْنُ الْمَيْمُونَةِ ، وَخُوَيْطِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ ، وَالْأَحْسَنُ بْنُ شَرِيْقٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ،
وَعُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْحَمَتِيُّ ، وَعُيَيْبَةُ بْنُ حَصْنٍ ، وَالْأَفْرَعُ بْنُ حَاسٍ ، وَعَتَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ
وَعَبِيدُ بْنُ رِيْحٍ . وَكَانَ إِسْلَامُ هَؤُلَاءِ لِلطَّمَعِ وَالْأَعْرَاضِ الدِّيَاوِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَنْ أَصْلٍ وَلَا عَنْ
يَقِينٍ وَعِلْمٍ .

(١) الثَّرَاتُ : جَمْعُ تَرْدٍ ، وَهِيَ الْأَحْذَى بِالنَّارِ . (٢) قِيْدٌ أَوْ أَمْرٌ .

وقال الراوندى : عَنِ نَقُولِهِ : « رُصِخَتْ لَهُ الرِّصَاحُ » عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَمْ يُسَمِّ بِعَدِ الْفَتْحِ ، وَأَصْحَابُ الرِّصَاحِ كُلُّهُمْ أَسَمُوا بِمَدِّ الْفَتْحِ ، صَوَّبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ بِغَنَائِهِمْ حَبِيبِينَ . وَأَمْرِي بِإِسْلَامِ عَمْرُو كَانَ مَدْحُولًا أَيْضًا ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَضِيخَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ لِمَعْنَى آخَرٍ . فَأَمَّا الَّذِي شَرِبَ الْحَرَامَ ، وَحَدَّثَ فِي حَدِّ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ قَالَ الرَّائِدِيُّ : هُوَ الْمَعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَأَحْطَ بِهَا قَالَ ، لِأَنَّهُ مَعِيرَةُ إِنَّمَا أَتَاهُمُ بِالزَّيْلِ وَلَمْ يُحَدِّثْ وَلَمْ يَحْجِرْ الْمَعِيرَةَ دَكْرًا فِي شُرْبِ الْخَمْرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَمْرُ الْمَعِيرَةِ مُسْتَوْقٍ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَعِيرَةَ لَمْ يَشْهَدْ صِدْقًا مَعَ مَعَاوِيَةَ وَلَا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا لِلرَّائِدِيِّ وَلِهَذَا ! إِنَّمَا يَعْرِفُ هَذَا النَّصَّ أَرْنَاهُ . وَآدِيُّ سَأَلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُصَيْبٍ ، وَكَانَ أَشَدَّ الْعَاصِ عَلَيْهِ وَأَبْدَنَهُمْ تَحْرِيسًا لِمَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ عَلَى حَرْبِهِ .

[أَخْبَارُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ]

وَمِنْ بَذَرَ حَرَّ الْوَلِيدِ وَشُرْبَهُ الْخَمْرَ مَثُولًا مِنْ كِتَابِ « الْأَعْيَانِ » لِأَبِي الْفَرَّاحِ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْمَهِيَّ : قَالَ أَبُو الْفَرَّاحِ : كَانَ سَبْعَ مِائَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ لَعْنَانًا مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ عَبْدِ الْعَرِيزِ الْجَوْهَرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَرِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَكِيمٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَمِيدٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ سَمِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ مَعَ عُثْمَانَ عَلَى سَرِيرِهِ إِلَّا الْعَاصُ بْنُ عَبْدِ الصَّغْبِ ، وَأَبُو سُوَيْبٍ بْنُ حَرْبٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ سَرِيرُهُ يَسَعُ إِلَّا عُثْمَانَ وَوَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَأَقْبَلَ الْوَلِيدُ يَوْمًا فَجَلَسَ ، فَجَاءَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَأَوْمَأَ عُثْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَرَحَلَ لَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَلَمَّا قَامَ الْحَكَمُ قَالَ الْوَلِيدُ : وَاقِفْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ تَدَجَّلْتَ فِي صِدْقِي بَيْنَائِينِ فَلْتَهُمَا حِينَ رَأَيْتُكَ آثَرْتَ ابْنَ عَمَّتِكَ عَلَى ابْنِ ثَمَّتِكَ . وَكَانَ الْحَكَمُ عَمَّ عُثْمَانَ ، وَالْوَلِيدُ أَخُوهُ

لأُمّه - فقال عثمان : إن الحكم شيخ قريش ؛ فما البيهان ؟ فقال :

رَأَيْتُ لَعَمَّ الرَّءِ دُلَعَى قُرَابِيَّةَ دُوْنِي أَحِبِّهِ حَدَّثًا لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا

فَأَمَلْتُ عَمْرًا أَنْ يَشِبَّ وَحَدَا لَكِي بِدَعْوَانِي يَوْمَ نَائِبَةِ عَمَّا

يعنى صرّاً وخالداً أبتى عثمان . قال : فرق له عثمان وقال : قد وليتكَ الكوفة ، فأخبرحه إليها ^(١) .

قال أبو الفرج : وأحضرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، عن أبي ^(٢) ذاب قال : لما ولي عثمان الوليد بن عمة الكوفة قديمها وعليها سعد بن أبي وقاص ، فأحير قدومه ولم يعلم أنه قد أمر ، فقال : وما سمع ؟ قالوا : وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ، ولما سكر شيئاً من أمره ، فلم يكد أن حاده بصمّ النهار ، فاستأذن على سعد ، فؤذن له ، فتمّ عليه بالإمرة ، وحضر معه ، فقال له سعد : ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال : أحبيب ريريك ؛ قال : وعلى ذلك ، أحتت ريدا ؟ قال : أنا أردن من ذلك ، ولكنّ اليوم احتاحوا إليّ عملهم فسرّحوني إليه ، وقد أستعملني أمير المؤمنين على الكوفة . فسكت سعد طويلاً ، ثم قال : لا والله أدرى أصدحت بعدنا أم فددنا بعدك ! ثم قال :

رَكَايَنِي وَخُرَّيَنِي ضِبَاعُ وَأَشْرِي مَخْمُ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدَ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

فقال الوليد : أما والله لآنا أقول للشمر منك ، وأروى له ، ولو شئت لأحتتكَ ، ولكنت أدع ذلك لما تعلم . نعم والله لقد أكرمت بحاستك ، والتطري في أمر عمالك . ثم بحث إلى عمال سعد فحبسهم وضيّق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون به ، فكأّمه فيهم فقال له : أو للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم ، فحقّ سبيلهم ^(٣) .

(١) الأعيان ٤ : ١٧٤ (سلي) . و د د . فأخرج ،

(٢) د د د عن زاذان .

(٣) الأعيان ٤ : ١٧٥ ، ١٧٦ (سلي) .

قال أحمد^(١) : وحدثني عمر ، عن أبي بكر الناهلي ، عن هشيم ، عن العوام ابن حوشب . قال : لما قدم الوليد على سعد قال له سعد : والله ما أدري كسنت بعدنا أم حفنا بعدك ! فقال : لا تخرجن ما أبا إسحاق ، فإنه الملك يتفداه قوم ويتمشاه آخرون . فقال سعد : أراكم والله ستجعلونه مملوكا^(٢) .

قال أبو الفرج : وحدثنا أحمد قال : حدثني عمر قال : حدثني هارون بن معروف ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شاذب قال : سأل الوليد بأهل الكوفة الفداء أربع ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أريدكم ؟ قال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في ريادة منذ اليوم^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد قال : حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا حريز ، عن الأجلح ، عن النسيبي قال : قال الحطيئة يذكر الوليد :
شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالمدح^(٤)
مادى وقد تمت سلاهم يريدكم - سكرًا - ولم يدرك^(٥)
فأبوا أبا وهب ولو أدروا لقرت بين الشعم والوتر^(٦)
كفوا عنا لك إذ حريت ولو تركوا عناك لم تركت تحري^(٧)

(١) هو أحمد بن عبد العزيز الطوسي .

(٢) الأمان ٤ : ١٧٦ .

(٣) الأمان ٤ : ١٧٦ . (٤) الأمان ٤ : ١٧٦ . (٥) حب يذكر ربه .

(٦) الديوان : « أريدكم فلا » .

(٧) الديوان : « ليريدكم حيرا ولو قلا » .

(٨) الديوان : « حنوا عناك » ؛ وبه :

ورأوا شمائل ما حدي أبير يعطى على اليسور والعسر
فرغت مكدوبا عليك ولم ترد إلى عدي ولا فقير

وقال الخطيئة أيضاً :

تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ وَرَادَ فِيهَا عِلَاقَةً وَأَعْلَى مَالِئًا^(١)
وَمَجَّ الْحَرَّ فِي سَعْرِ الْمَصْلَى وَنَادَى وَالْجَمِيعُ إِلَى افْتِرَاقِ
أَرِيدُكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمَدُونِ فِي لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلْقٍ^(٢)

قال أبو الفرج : وأحضرنا محمد بن حنف وكيع قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال :
حدثني أبي قال : قال أبو عبيدة وهشم بن أسكلى والأصمعي : كان الوليد زانياً
يشرب الخمر ، فشرب الكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلّى بهم
أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : أريدكم ؟ وثقياً في الخراب بعد أن قرأ بهم راصاً
صوته في الصلاة :

عَلَى الْقَلْبِ الرَّفَاقُ بعد ما شئت وشاء

فخص أهل الكوفة إلى عثمان فآخره محرمه ، وشهدوا عليه شرب الخمر ،
وثقي به ، فأمر رجلاً من المسلمين أن يصربه الحدة ، فلما دنا منه قال : شذنتك الله
وقرائتي من أمير المؤمنين ! فركه ، فحلف عتي بن أبي طالب عليه السلام أن يعطل الحدة ،
فقام إليه فحده بيده ، فقال أبو سعيد : شذنتك الله والفراسة ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام :
اسكت أبا وهب ، فإنما هلك سر إسرائيل لتمطيهم الحدود ؛ فقد صرته ومرع منه قال :
لقد دعوني فريش بعدها خلاداً . قال إسحاق : وحدثني مصعب بن الزبير قال : قال الوليد
بعد ما شهدوا عليه فخلد : اللهم إني قد شهدوا عليّ برؤور ، فلا ترصهم عن أمر ،
ولا ترص عنهم أميراً ، قال : وقد عكس الخطيئة أبيانها جعلها مدحاً للوليد :
شَهِدَ الْخَطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رُتَبَهُ أَنْ الْوَلِيدَ أَحَقَّ بِالْعُدْرِ

(١) ملحق ديوانه ١١٩ ، وفيه : « واهم مائعا » .

(٢) الأغانى ٤ : ١٧٦

كفوا عنانك إدا حرث ولو تركوا عنك لم تزل تهري
ورأوا شائل ماحد أمي يطي على اليسور والعسر
فترعت مكدونا عليك ولم تنزع على طمع ولا دغر^(١)
قال أبو الفرج : وسخت من كتاب هرون بن الزباب بخطه ، عن عمر بن شبة ؛
قال : شهد رجل عبد أبي العجاج - وكان على قبة البصرة - على رجل من المعيطين
بشهادة ، وكان الشاهد سكران ، فقال الشهود عليه ، وهو المعيطي : أعرك الله أيها
القاضي ، إنه لا يحسن من الشكر أن يقرأ شيئا من القرآن ، فقال الشاهد : بلى أحسن ،
قال : فقرأ ، قال :

خلق القلب الزباب بعد ما شابت وشابا

نحن^(٢) ذلك ، ويحكى ما قاله الوليد في الصلاة ، وكان أبو العجاج أحمق ،
عقل أن هذا الكلام من القرآن ، فجمع يقول : صدق الله ورسوله ، وبكم ، كم
تعملون ولا تعملون^(٣)

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمد بن عبد البر ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن
البدائي ، عن مبارك بن سلام ، عن طر بن حبيبة ، عن أبي الصبحي ، قال : كان من
أهل الكوفة يتطأون عثر الوليد بن عقبة ، منهم أبو ريثب الأزدي ، وأبو موزع ،
فجاء يوما ولم يحضر الوليد الصلاة ، فسأله ، فتذقنا حتى علمنا أنه يشرب ، ففتحها الدار
فوجدناه نقي ، فاحتلناه وهو سكران حتى وصاه على سريره ، وأخذ حاتم من يده ،
فألق ، فافتقد حاتم ، فسأل عنه أهله ، فقرو : لا بدى ، وقد رأينا رجلا دخل علينا

(١) الأمانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) يعنى : يقول قولاً لا بدى ، عاقبه ؛ ومنه ناعى ، وى الأمانى : «ورعا ناعى» .

(٣) الأمانى ٤ : ١٧٧ ، ١٧٨ .

فاحتَمَلَك فَوَصَّاكَ عَلَى مَرْرِكَ . فقال : صفوها لى ، فقالوا : أحدهما آدم ^(١) طُوالٌ حَسَنُ
الوجه ، والآخر عريضٌ صَمْرُوعٌ عليه خَبِيسَةٌ ^(٢) ، فقال : هذا أبو زَيْبٍ ، وهذا أبو مَوْرَعٍ ؟
قال : ولَقِيَ أبو زَيْبٍ وصاحبه عبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْشٍ الأَسَدِيُّ وَعَلَقْمَةُ بنُ يَزِيدَ البَكْرِيُّ
وغيرَهما ، فأخبروهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أميرِ المؤمنين فاعلموه ، وقال بعضهم : إنه لا يقبل
قولكم فى أخيه ، فشخصوا إليه ، فقالوا : إنا حثناك فى أمرٍ ، ونحن نُعرجوه إليك من
أَعناقنا ، وقد قيل : إنَّكَ لا تقبله ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليدَ وهو سَكْرانٌ من
خمرٍ شَرَبَها ، وهذا حاتمُ أخذَهُ من يَدِهِ وهو لا يَعْقِلُ . فأرسلَ عُمَانُ إلى عليٍّ عليه
السلام فأخبره ، فقال : أَرَى أن تُشِحِّصَهُ ، فإِذا شهدوا عليه بحضورِ منتهِ حَدِّدَتِهِ . فكثب
عُمَانُ إلى الوليدِ ، فقدمَ عليه ، فشَهِدَ عليه أبو زَيْبٍ وأبو مَوْرَعٌ وَخُذَبُ الأَرْدَنِ وسعدُ
ابنُ مالكِ الأَصْمَعِيُّ ، فقال عُمَانُ لعليٍّ عليه السلام : فَمَ بِأَنا الحَسَنُ فَأَحْلِدْهُ ، فقال عليٌّ عليه
السلام للحَسَنِ أبوه : فَمَ فاضربْهُ ؟ فقال الحَسَنُ : مالِكٌ ولَهْدَا ، يكُميك عِرْكٌ ؟ فقال عليٌّ
لعبدِ اللَّهِ بنِ حمزة : فَمَ فاضربْهُ ، فَضْرَبَهُ بِمِخْصَرَةٍ ^(٣) فَبَها سَيرَ لَهُ رَأْسَانُ ، فلما بَعَثَ أَرْبَعِينَ
قال : حَسْبُكَ .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمدُ قال : حدثنا عمرُ قال : حدثني المدائنيُّ
عن الواقسيِّ ، عن الزَّهْرِيِّ قال : خرجَ رَهْطٌ من أهلِ الكوفةِ إلى عُمَانَ فى أمرِ الوليدِ ،
فقال : أَكَلما عَصِبَ رجلٌ على أميرِهِ رَمَاهُ بالباطلِ ! لئن أَصْبَحْتُ لَكُم لأَسْكُنَنَّ بِكُم ،
فاستَحَارُوا عَائِشَةَ ، وأَصْبحَ عُمَانُ فسمعَ من حُجْرَتِها صوتًا وكلامًا فيه بَعْضُ الغِلْظَةِ ،
فقال . أَمَّا يَحْدُ فُتَّاقُ المِراقِ ومُرَّاقِها مدحًا : لَأَيَّتْ عَائِشَةُ ! فسمعتُ ، فرفعتُ نعلَ رسولِ
اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وآله وقالت : تَرَكْتَ سِتْرَ سَاحِبِ هَذَا النَّمْلِ . وتسامعَ الناسُ فجاءوا حتى
مَلَأُوا السَّجْدَ ، فَمِنْ قَائِلٍ : قد أَحْسَنْتُ ، وَمِنْ قَائِلٍ : ما لِلنِّسَاءِ وَلَهَذَا ! حَتَّى تَخَاصَمُوا

(١) الأدم : الأسمر .

(٢) الخبيصة : كساء أسود مربع له علان .

(٣) المِخْصَرَةُ : ما احتصره الإنسان يده فأمسكه من عصا أو مِرْعَةٍ أو عِكَازَةٍ وما أشبهها .

وَتَصَارَبُوا بِالْعَمَالِ، وَدَخَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَثَانَ فَقَالُوا لَهُ:
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُمِطِلِ الْخُدُودَ، وَاعْزِلْ أَحَاكَ عَنْهُمْ؛ فَعَمِلَ^(١).

قال أبو الفرج: حدثنا أحمد قال: حدثني عمر، عن المدائني، عن أبي محمد الناجي،
عن مطر الوراق، قال: قَدِمَ رَحْلٌ مِنْ أَهْلِ سَكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لِعَثَانَ: إِنِّي صَلَّيْتُُ
صَلَاةَ الْمَدَاةِ حَلْفَ الْوَلِيدِ، فَاتَّفَقْتُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَرِيدُكُمْ، فَإِنِّي أَحَدُ الْيَوْمِ
بِشَاعِلٍ؟ وَشِمْنَا مِنْهُ رَائِحَةُ الْخَمْرِ، فَصَرَبَ عَثَانُ الرَّحْلَ؛ فَقَالَ النَّاسُ: عَطَلَتِ الْخُدُودَ،
وَضَرَبَتِ الشُّهُودَ^(٢).

قال أبو الفرج: وحدثنا أحمد، قال: حدثنا عمر قال: حدثنا أبو بكر الباهلي، عن
بعض من حدثته قال: لَمَّا شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عَثَانَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ
بِالشُّحُوصِ، فُخِرِحَ وَحُرِحَ مَعَهُ فَوْجٌ بِعَذْرُوهُ، مِنْهُمْ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي، فَبَرَلَ الْوَلِيدُ
يَوْمًا يَسُوقُ بِهِمْ، فَارْتَجَزَ وَقَالَ:

لَا نَحْسَبَا قَدْ سَيَا الْأَحْقَافَ^(٣) وَالْمَشَوَاتِ مِنْ مُعْتَقٍ صَافٍ

• وَعَزَفَ قَيْمَاتٍ عَلَيْنَا مُزَاتٍ •

فَقَالَ عَدِيٌّ: فَأَيْنَ تَذْهَبُ بَنَا إِدْنَ! فَأَقَمَ^(٤).

قال أبو الفرج: وَقَدْ رَوَى أَحَدٌ عَنْ عُمَرَ، عَنْ رَحَالِهِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ حُذَيْبِ
الْأَزْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ فِيْمَنْ شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عَثَانَ، فَلَمَّا أَسْتَمَعْنَا عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ حَسَّهَ
عَثَانُ. ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ وَصَرَّفَ عَلَى عِيَةِ السَّلَامِ إِلَيْهِ، وَقَوْلَ الْحَسَنِ ابْنِهِ: «مَالِكُ
وَلَهْدَا»، وَرَادَفِيهِ، وَقَالَ عَلَى عِيَةِ السَّلَامِ: لَسْتُ بِدُنِّ مُسِيْمَا؛ أَوْ قَالَ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(١) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ (٢) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ .

(٣) الْأَعْنَى : « الْإِيجَاب » ؛ وَهُوَ حَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ .

(٤) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩ . (٥) الْأَعْنَى ٤ : ١٧٩ .

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمد ، عن عمر عن رحالة ، أن الشهادة لما تمت قال عثمان
لعلِّي عليه السلام : دونك ابن عمك فأقيم عليه الحد . فأمر علي عليه السلام أباه الحسن
عليه السلام ، فلم يفعل ، فقال : يكفيك عبرة ! فقال علي عليه السلام : بل سمعت ووهنت
وعجزت ؛ قم يا عبد الله بن حمير فأحيدوه ، فقام فحيدوه ، وعلي عليه السلام بعد حتى بلغ
أربعين ، فقال له علي عليه السلام : أميت حنك ، حذر سون الله صلى الله عليه وآله
أربعين ، وحذر أبو بكر أربعين ؛ وكنتمها عمر ثمانين ، وكل سنة (۱) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد ، عن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد
ابن سميد ، قال : وأخبرني بذلك أيضاً إبراهيم بن محمد بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ،
قالوا جميعاً : لما ضرب عثمان الوليد الحد ، قال : بك لتصرسي اليوم شهادة قوم ليقتلوك
طاماً قابلاً (۲) .

قال أبو الفرج . وحدثني أحمد بن عبد الرحمن الموهري ، عن عمر بن شبة ،
عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سميد . وأخبرني أيضاً إبراهيم بن محمد ، عن
عبد الله ، قالوا جميعاً : كان أبو ربيعة العناني ندباً للوليد بن عتبة أيام ولايته الكوفة ،
فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر حرج عن الكوفة مقرولاً ، فقال أبو ربيعة يتذكر
آيائه وديامته :

من يرى العير أن تمشي على ضف ر امرؤ زى خداهن بحال
ناعمات والبيت أتى وهو ب حلال تحر فيه الشال
يعرف الجاهل المصل أن السدهر فيه السكره والزلال
ليت شعري كذاكم العهد أم كما وا أماناً كمن يرول هوالا

(۱) الأغانى ۴ : ۱۷۹ . (۲) الأغانى ۴ : ۱۷۹ .

(۳) ابن أروى ، هو الوليد بن عقة ؛ وأروى هي أم عثمان بن عفان .

بعد ما تعلمين يا أم عمرو كُنْ فِيهِمْ هِزْلاً لَنَا وَحَالُ
 وَوَحْشٍ تَوَدُّ مَا مَشَرَقَاتُ وَبِوَالٍ إِذَا أُريدَ التَّوَالُ
 أَصْبَحَ الْمَيْتُ قَدْ تَدَلَّ بِالْحَيِّ وَحَوْهَا كَثْنُهَا الْأَقْيَالُ^(١)
 كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّحَانُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَايَا احْتِيَالُ
 وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْ كُلُّ لَيْسَ عَفْ مَمْنَاءَ وَلِلَّسَانِ مَقَالُ^(٢)
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّمَاءُ وَلَا الْوَدَّ وَلَا حَالُ دُونِكَ الْإِشْفَالُ
 وَلِحَرَمَتِ لِحْكَ التَّمَصُّي صَلَّةٌ ضَلَّ حِجْمُهُمْ مَا اعْتَالُوا^(٣)
 قَوْلُهُمْ شُرْكُكَ الْحَرَامُ وَفَدَاكَ نَ شَرَابٌ سِوَى الْحَرَامِ حَلَالُ
 وَأَبَى ظَاهِرُ اِعْدَاوِهِ وَالشَّيْءُ كَأَبَى بِلَا مَقَالٍ مَا لَا يُقَالُ
 مِنْ رَحَالٍ تَقَارَصُوا مُتَّكِرَاتِهِ لِيُنْكَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَالُوا
 غَيْرَ مَا طَالِبِينَ دَخْلًا وَلَكِي مَالٌ دَهْرٌ عَلَى أَمَاسٍ قَدَلُوا
 مِنْ يَحْمُكَ الصَّمَاءُ أَوْ تَمْدَرُ أَوْ بَرُّلٌ مِثْلَ مَا يَرُولُ الْفَلَّالُ
 فَاعْدِيْ أَبَى أَحْوَكَ أَحْوَاوَةِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْحَبَالُ
 لَيْسَ يُجَلَى عَلَيْكَ يَوْمًا عَدَسٌ أَدَاً مَا أَقْلٌ سَلَا يَقَالُ^(٤)
 وَلَكَ النُّصْرُ بِاللَّسَانِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ^(٥)

قال أبو لمرج : وحدّثني أحمد قال : حدّثني عمرُ قال : لما قدم الوليد بن عُقبة
 الكوفة قدم عليه أبو رُئيد فأثرله دار عَقِيْلٍ بن أبي طالب على باب المسجد ، وهي التي

(١) الْأَقْيَالُ : بِلُوكِ الْخَبْرِيّوْنَ . وَفِي الْأَعْيَانِ . « الْأَقْيَالُ » : جَمْعُ قَلٍّ ؛ وَهُوَ الْمَدْوُ
 (٢) الْأَعْيَانُ . « مَصَالُ » ، يَقَالُ : صَلَّ عَلَى قَرْنِهِ ، وَإِذَا وَثَبَ عَلَيْهِ وَاسْتَطَالَ .
 (٣) التَّمَصُّي : التَّقَطُّعُ وَالتَّفَرُّقُ . (٤) قَالَ النُّجَلُ : رَعَامٌ بَيْنَ الْإِصْبَعِ وَالْيَدِ نِيهَا .
 (٥) الْأَغَانِي ٤ : ١٧٩ ، ١٨٠ .

تُعرف بدار القِبْطِي ، فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره وهو نصراني يَحْتَرِقُ المسجد فيجعله طريقاً (١) .

قال أبو الفرج : وأخبرني محمد بن العباس البريدي قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأثَّره الوليد دار عقيل بن أبي طالب عند باب المسجد ، واستوفَّها منه ، فوَّهبها له ، وكان ذلك أول الطمن عليه من أهل الكوفة ، لأن أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمرُ عنده ، ويشرب معه ، ويخرج فيشق المسجد وهو سكران ، فذاك نهمهم عليه . قال : وقد كان عثمان ولى الوليد صدقة بنى ثعب ، فسلمه عنه شعرُ ميه خلاعة ، فمَرَّه . قال : فلما ولَّاه الكوفة اختص أبا زبيد الطائي وقربه ، ومدحه أبو زبيد شعر كثير ، وقد كان الوليد يستعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحلى فيما بين الحريرة وظهر الحيرة ، فأحدثت الحريرة ، وكان أبو زبيد في بني ثعلب نازلاً ، فخرج بأهلهم ليرعيهم ، فأتى عليهم الربيع بن مري ومعه ، وقال لأبي زبيد : إن شئت أُرْعِيكَ وَحْدَكَ فعلت ؟ فأتى أبو زبيد إلى الوليد فشكاه ، فأعطاه بين القصور الحرم من الشام ، إلى القصور الحرم من الحيرة ، وحملها له حمى ، وأحدها من الربيع بن مري ، فقال أبو زبيد بمدح الوليد ، والشعر يدل على أن الحلى كان بيد مري بن أوس ، لا بيد الربيع ابنه ، وهكذا هو في رواية عمر بن شبة :

لعمرك أيك يا بن أُمي مري نمرُك من أباح لنا الديار (٢)

أباح لنا أبرق ذات قور ورعى القفَّ منها والقفار (٣)

(١) الأمان ٤ : ١٨٠ . (٢) الأغاني : ١ لها الديار .

(٣) الأبرق جمع الأبرق ، وهو الأرض النسيطة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة . والقف ما يس من القول وتناثر حبه وورقه ؛ ترعاه الإبل وتسمن عليه .

بحمد الله ثم فتى فريش أبى وهب غدت بُدْنا عِزارا^(١)
أباح لنا ولا نحى عايكم إذا ما كنتم سنةً حزارا
قال : يقول : إذا أحدثتم فإننا لا نحجبها عايكم ، وإذا كنتم أساتم وحيتموها علينا .
فتى طالت يداه إلى المال وطحطحت الجذمة القصارا^(٢)
قال : ومن شعر أبى ربيد فيه يدكر نصره له على مري بن أوس بن حارثة :
يا ليت شمري بأساء أسوها قد كل يمتى بها صدري وتقديري
عن امرئ ما يرده الله من شرف أفرح به ومري غير مرور
بن الوليد له عندي وحق له ود الحيل ونصح غير مدحود
لقد دعاني وأذاني وأظهرني على الأعداء بنصر غير تقرير
وشدة أعمى عني غير مكترش حتى ناهوا على رغم ونصير
تسي فداه أبى وهب وقل له يأمم هموم حتى اليوم أو سيري^(٣)
وقال أبو ربيد يمدح الوليد ويتلم لمرافه حين عرل عن الكوفة :

لعمري لئن أئسى الوليد ببلدة سوى لقد أمسيت للدهر معورا^(٤)
حلا أن رزق الله عادٍ ورائح وإن له راحٍ وإن سار أشهراً
وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي إذا أنا بالسكران هتحت مشراً
إذا صادفوا دوني الوليد فأنما يرؤن بوادي ذي حاس مزعفراً^(٥)

(١) عزاراً : جمع حريرة ؛ وهي من الإبل الكثيرة اللبن .

(٢) طحطح الرجل ماله : فرقه . (٣) الأعاني ٤ : ٩٨٠ .

(٤) المعور : الذي لا حائط له .

(٥) ذو حاس . موضع تلقاء عرعر ، أو مأسدة والمرعر : الأسد الورد ، وبهذه الأعاني :

خصيب بنان ما يزال براك يحب وضاحي جلده قد تقشراً

قلت : قد كُتبَ ابنُ عبدِ الرَّحْمَنِ صاحبُ كتابِ " الاستيعاب " في هذا الموضع نكتةً حَسَنَةً ، فقال في حديثِ الخَلْقِ : هذا حديثٌ مضطربٌ منكرٌ ، لا يصحُّ ، وليس يمكن أن يكونَ مَنْ هَمَّه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مُدَّةً صَيِّئًا يَوْمَ الْفَتْحِ ؛ قال : ويدلُّ أيضًا على فسادِهِ أَنَّ الزَّيْرَ بْنَ بَكَّارٍ وعِيرَهُ من أهلِ اعلمِ بالسَّيَرِ والأخبارِ ذَكَرُوا أَنَّ الْوَلِيدَ وَأَخَاهُ مُهْمَارَةَ أَبْنَى عُمَيْمَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ لِيُرِدَا أَحْتَمَاهَا ثُمَّ كَثُومٌ عَنِ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَتْ هُمُومَتُهَا فِي الْهَدْيَةِ اتَتْهُ يَدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَمَنْ كَانَ عَلَامًا مُخَلَّفًا مَا لَخَلْقُ يَوْمِ الْفَتْحِ لَيْسَ بِحَيٍّ مِنْهُ يَمِثُلُ هَذَا . قال : ولا خلافَ بينِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ هَاءَ كُفٍّ فَاسْكُتْ يَا أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴾ أُوتِيَتْ فِي الْوَلِيدِ لَمَّا كَتَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مُدَّةً ، فَكَذَّبَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَالَ : إِيَّاهُمْ ارْتَدَوْا وَامْتَنَعُوا مِنْ آدَاءِ الْمُدَّةِ (قَالَ أَبُو عَمْرٍو :) وَفِيهِ وَفِي عِلَالَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّلٌ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١) فِي قِصَّتِهِمَا الْمَشْهُورَةِ . قال : ومن كَانَ صَيِّئًا يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَحْيَى مِنْهُ يَمِثُلُ هَذَا ، فَوَحِبَ أَنْ يُنْظَرَ فِي حَدِيثِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّهُ رَوَايَةُ جَعْفَرِ بْنِ رِفَاقٍ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ الْحُجَّاجِ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْهَمْدَانِيِّ ؛ وَأَبُو مُوسَى مَجْهُولٌ لَا يَصِحُّ حَدِيثُهُ .

ثمَّ نَعُودُ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْفَرَّاحِ الْأَصْبَهَانِيِّ ؛ قَالَ أَبُو الْفَرَّاحِ : وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِي صَدِيمٍ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّ امْرَأَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عُمَيْمَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْوَلِيدَ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَضْرِبُنِي ، فَقَالَ لَهَا : ارْحَمِي إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَدَا أَحَارِي ، فَأَطْلَعْتُ ، فَكُنْتُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقَالَتْ : إِنَّهُ

ما أفلح عني ، فظلع رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً^(١) من ثَوْبِهِ وَقَالَ : ادْهَبِي بِهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَحَارَنِي ، وَصَلَقْتُ شَكَّتْ سَاعَةً ثُمَّ رَحِمْتُ فَقَالَتْ : مَرَادَنِي إِلَّا صَرْبًا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِيكَ بِالْوَلِيدِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٢) .

قال أبو الفرج : واحتضن الوليد لما كان وبي بالكوفة ساحراً كاد يمتن الناس ، كان يريه كتيبتي تفتتان فتحمّل إحداها على الأخرى فتمزّجها ، ثم يقول له أَيْسُرُكَ أَنْ أُرِيكَ الْمِهْزَمَةَ تَغْلِبُ الْعَالِيَةَ فَهَرَمَهَا ؟ فيقول : نعم ، فجاء حُدْبُ الْأَدَى مُشْتَمِلًا عَلَى سَيْمِهِ ، فقال : أفرحوا لي ، فأفرحوا مصرّته حتى قتله ، محسه الوليدُ قبيلاً ثم تركه^(٣) .

قال أبو الفرج : وروى أحمد بن عمر ، عن رجلٍ رحاله ، أن حُدْبًا لَمَّا قُتِلَ السَّاحِرَ حَمَسَهُ الْوَلِيدُ ، فقال له دِسَارٌ دِسَارٌ فِيمَ حَبَسْتَ هَذَا ، وَهَذَا قُتِلَ مِنْ أَعْلَى السَّحَرِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ثُمَّ مَضَى إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى دِسَارِ بْنِ دِينَارٍ فَفَتَلَهُ^(٤) .

قال أبو الفرج : حدّثنني عمي الحسن بن محمد قال : حدّثنني الحرار ، عن المدائني ، عن عليّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن الزّهرى وعمره ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا انصرف عن غزاة بني المُصْطَلِقِ نَزَلَ رَحْلًا مِنْ الْمَسْلُومِينَ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ ، ثُمَّ آخَرَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، ثُمَّ مَدَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُوَاسِيََ أَصْحَابَهُ ، فَنَزَلَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، وَحَمَلُ يَقُولُ فَمَا يَقُولُ :

حُدْبٌ وَمَا جُنْدَبٌ وَالْأَفْطَحُ زَيْدُ الْخَلِيدِ

(١) الاستيعاب . (٢) الأعمام ٤ : ١٨٣ .

(٣) الأعمام ٤ : ١٨٣ . (٤) الأعمام ٤ : ١٨٣ .

فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله، ما يسمنا سيرنا مخافة أن تنهشك دابة، أو تمسك نكبة. فرك ودعوا منه وقالوا: قلت قولاً لا يدري ما هو؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: كنت تقول: جندب وما جندب، والآن قطع ريد الخير.

فقال: رجلان يكرمان في هذه الأمة يصير أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل، وتقطع يد الآخر في سبيل الله، ثم يتبع الله آخر حسده مأوله، وكن ريد، هو زيد بن صوحان، وقطعت يده في سبيل الله يوم حنولاء، وقتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وأما جندب هذا فدخل على الوليد بن عتبة وعنده ساحر يقال له: أبو شيخان، يأخذ عين الناس، فيخرج مصارين تطعمهم ثم يردها، وجاء من خلفه فضر به فقتله، وقال:

الن وليداً وأما شيخان وابن حشيش راكب الشيطان

• رسول قريش إلى هامان (١) •

قال أبو الفرج: وقد روي أن هذا الساحر كان يدخل عند الوليد في خوف بقرة حية، ثم يخرج منها؛ فراه جندب فذهب إلى بيته، فاشتعل على سيف، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تُصيرون﴾ (٢)، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها، فدع الناس، فسجنه الوليد، وكتب بأمره إلى عثمان (٣).

قال أبو الفرج: فروي أحمد بن عبد العزيز، عن حجاج بن نصير، عن قرة، عن

(١) الأغانى ٤: ١٨٣، ١٨٤. (٢) سورة الأنبياء ٣.

(٣) الأغانى ٤: ١٨٤.

محمد بن سيرين ، قال : انطلق مُجْدَبُ بن كعب الأزدى قاتل الساحر بالكوفة إلى السجى ، وعلى السجى رجلٌ نصرانيٌّ من قيس الوليد ، وكلن يرى جدب بن كعب يقوم بالليل ويصبح صائماً ، فوَكَّلَ بالسجى رجلاً ، ثم خرج فسال الناس عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ، فأستضافه ، فحمل برأه ينام الليل ثم يصبح فيدعوه فدأته ، تخرج من عنده وسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ قالوا : حرير بن عبد الله ، فذهب إليه فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعوه فدأته ، فاستقر القصة ، وقال : ربي ربه جُدَب ، وديني دين جُدَب . ثم أسلم^(١)

قال أبو الفرج : هذا نزع عثمان الوليد عن الكوفة أمر عليها سميد بن العاص ، فلما قدمها قال : اعسلوا هذا المهر ، فإن الوليد كان رجلاً محسناً ، فلم يصمعه حتى عسل . قال أبو الفرج : وكان الوليد أسن من سميد بن العاص ، وأسنحى بقساً ، وألين حساً ، وأرصى عديم ، فقال بعض شعرائهم :

وحد ما يس بعده سميد^(٢) ينقص في الصاع ولا يريد

وقال آخر منهم :

قررت من الوليد إلى سميد كأهل الحير إذ قرعوا جباروا

يكسا من غريش كل * يم أميرٌ يحدث أو مستشار

لنا نارٌ تحرقنا فتخشى وليس لهم سوا يحشون - نار^(٣)

قال أبو الفرج : وحدتنا أحد ، قال : حدثنا عمر ، عن المدائني ، قال : قدم الوليد بن

(١) الأغاني ٤ : ١٨٣ . (٢) أول الرجز في الأغاني :

* يا وبتنا قد ذهب الوليد *

(٣) الأغاني ٤ : ١٨٤ .

عقة الكوفة في أيام معاوية راثرا للخبيرة بن شمة ، فأناء أنشرف الكوفة فسلموا عليه .
وقالوا : والله ما رأينا بعدك مثلك ؛ فقال : أحبباً أم شرّاً ؟ قالوا : بل حبباً ، قال : ولكي
ما رأيت بعدكم شرّاً منكم . فاعادوا الشاء عليه ، فقال : بعض ما تأتون به ! فوالله إن
بفصم لتلف ، وإن حكم لصلف^(١) .

قال أبو الفرج : ورَوَى عمرُ بنُ شَمة ؛ أن قبيصة بن جابر كان ممن كثروا^(٢) على الوليد ،
فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قبيصة ، ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ قال :
حرباً يا أمير المؤمنين ، إنه في أول الأمر وسّل الرّحم ، وأحسن الكلام ، فلا سأل عن
شكره وحسن ثناء ، ثم عَصِبَ على الناس وعَصَبُوا عليه ، وكنا معهم ، فيما طالمون فاستغفر
الله ، وإنا مظلومون فيغفر الله له ؛ فعدّ في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث يُبْسَى
القديم . قال معاوية : ما أعلمه إلا قد أحسن السيرة ، ونسّط الخير ، وقصّ الشر . قال :
فأت يا أمير المؤمنين اليوم أفدرك على ذلك فافعله ، ضل : انك لا تسكت ، فسكت
وسكت القوم ، فقال معاوية مد يسير : ما لك لا تسكتم يا قبيصة ؟ قال : هبّيتني عما كنت
أحب فسكت مما لا أحب .

قال أبو الفرج : ومات الوليدُ بنُ عُقّة فُريق الرّقة ، ومات أبو زُبَيْد ههنا ، ودُفِنَا
جميعاً في موضع واحد ، فقال في ذلك أشجعُ السُّنَمِيّ وقد مرَّ بقبريهما :
تمردتُ على عظام أبي زُبَيْدِ وقد لاحتُ بدمعة صُلُودِ
فكان له الوليدُ نديمَ صِدْقِي قدّمَ قهرُ قبرِ الوليدِ
وما أدري بمن تَبْدُو المنايا بحمّة أم بأشجع أم بزبدِ !
قيل : هم إخوتاه ، وقيل : ندماؤه^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمدُ بنُ عبد البر ، عن محمد بن ركريّ العلاني ،

(١) الأغاني ٤ : ١٨٤ . (٢) كذا في ١ ، د ، و ، ب : ذكره . (٣) الأغاني ٤ : ١٨٥ .

عن عبد الله بن الصَّحَّاح ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وقد الوليدُ بنُ عتبة - وكان جواداً - إلى معاوية ، فقيل له : هذا الوليدُ بنُ عتبة بالباب ، فقال : والله ليرحمَنَ ميطاً غيرَ مُعطى ، فإنه الآن قد أتانا يقول : عني دينٌ وعني كذا ، اتدب له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ، ثم قال له معاوية : أما والله إن كنا لنحبَّ إتيانَ مالك بالوادي ، ولقد كان يُعجب أميرَ المؤمنين ، فإن رأيتَ أن تهتبه ليريدَ فاعمل ، قال : هو ليريدَ ، ثم حرج وحمل يختلف إلى معاوية ، فقال له يوماً : انظر يا أميرَ المؤمنين في شأني ، فإن عليَّ مؤونة ، وقد أرهقني ديني ، فقال له : ألا نستحي لبيك وحسبك ، تأخذ ما تأخذه فتدبره ، ثم لا تنمك نكوداً فقال الوليد : أفر ، ثم أطلق من مكانه ، فسار إلى الجزيرة ، وقال يحاطب معاوية :

إِذَا سَمِعْتَ قَوْلَ : « لَا » وَإِذَا سَأَلْتَ قَوْلَ : هَاتِ
تَأْتِي فَعَالَ الْحَسِرَ لَا تُرَوِّى وَأَتَى عَلَى الْفَرَاتِ
أَفَلَا تَمِيلُ إِلَى « نَعَمْ » أَوْ تَرُكِ « لَا » حَتَّى الْمَاتِ !
وَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ شُحُوصُهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ حَتَّى ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَقِيلَ ، فَكَتَبَ :
أَعِيفٌ وَأَسْتَعْفِي كَمَا قَدْ أَمَرْتَنِي فَأَعْطِ مِوَايَ مَا بَدَا لَكَ وَأَبْجَلِ
سَأُحْدُو رِكَازِي عَنْكَ إِنْ فَرِغْتِي إِذَا تَأْتِي أَمْرٌ كَسَلَهُ مُصْلِ
وَإِنِّي أَمْرٌ لِلنَّأْيِ مَتَى تَطَرَّبُ وَلَيْسَ شَأْنًا قُلْتُ عَلَى بَقْعَلِ
ثُمَّ رَجَلَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَبِثَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بِجَارَةٍ (١) .

وَأَمَّا أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي "الاستيعاب" في باب الوليد، قال: إنَّ له أخباراً فيها شناعة تقطع على سوء حاله ، وقُصَّحَ أمره ؛ عَمَرَ اللَّهُ لِمَا وَلَهُ ؛ فَلَقْدَ كَانَ مِنْ رِحَالِ قُرَيْشٍ

ظرفاً وحليماً وشجاعةً وحُوداً وأدباً ، وكان من أشعراء الطبعين . قال : وكان الأصمعيّ وأبو حُبَيْدة وابنُ الكلبيّ وغيرهم يقولون : به كان فاسقاً شريبَ خمر ، وكان شاعراً كريماً . قال : وأصاؤه في شربه الخمر ومصادمته أبا رُبَيْد الطائيّ كثيرة مشهورة ، ويسمّع بنا ذكرها ، ولكننا نذكر منها طرفاً . ثمّ ذكر ما ذكره أبو الفرج في الأغاني ، وقال : إن حَبْر الصلاة وهو سَكْران ، وقوله : « أريدكم ؟ » خبر مشهورٌ رَوَّته الثقات من نقلة الحديث .

قال أبو عمر بن عبد الرّ : وقد ذكر الطبريّ في روايته أنه تفصّل عليه قومٌ من أهل الكوفة حسداً وبغياً ، وشهدوا عليه شرب الخمر ، وقال : إن عثمان قال له : يا أخى اصبر ، فإن الله يأخرك ويؤمّ القوم بإمك .

قال أبو عمر : هذا الحديث لا يصحّ عند أهل الأخبار ونقّله الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ؛ والصحيحُ ثبوتُ الشهادة عليه عند عثمان ، وحلّده الحدّ ، وأن عليّاً هو الذى حلّده . قال : ولم يحلّده بيده ، وإنما أمر بحلّده ، فنسب الحلّد إليه .

قال أبو عمر : ولم يروِ الوليدُ من السّنة ما يحتاج فيها إليه ، ولكنّ حارثة بن مضرّب روى عنه أنه قال : « ما كانت برة إلا كل بعدها مُنك »^(١) .

(١) الاستيعاب ١٥٥٢ وما بعدها (طبعة نفخة مصر) .

(٦٣)

الأصل :

ومن كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة ،
وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما بدتهم لحرب أصحاب الجمل :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ يَا عَمْرُؤُا إِنَّهُ نَزَلَ فَيَسِّرُ : أَمَّا تَعْلَمُ ، فَقَدْ تَدْعِي
عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فَأَرْفَعْ دَيْثُكَ ، وَاشْدُدْ مِرْدَكَ ،
وَاحْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَأَعُدْ ، وَإِنْ تَعَشَّتْ فَأَعُدْ ،
وَإِنَّمِ اللَّهُ لَتَوَلَّيْتُ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى تُحْطَ رُبُّكَ بِمَحَارِيْرِكَ ، وَدَارِثُكَ
بِحُمُودِكَ ، وَحَتَّى تَمُجِّلَ عَنْ قِمَدَتِكَ ، وَتَحْدَرَ مِنْ أَمَامِكَ ، كَحَدَرِكَ مِنْ حَلَمَتِكَ ،
وَمَا مَيَّ بِالْمُؤَيَّسِ الَّتِي رَخُو ، وَنَكِمَهُ الدَّاهِيَةُ الْكَرْمَى ، يُرَكَّبُ نَحْمَا ، وَيُدَلَّ
صَعْمَا ، وَيُسَهَّلُ حَسْمَا . فَأَعِثْ عَقْلَكَ ، وَامْنِثْ أَمْرَكَ ، وَحُدْ نَصِيْبَكَ وَحَطَّكَ ، فَإِنْ
كَرِهْتَ فَتَمَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ ، وَلَا فِي بَجَاةٍ ، فَيَلْحَرْيَ لَتَكْمَبِي وَأَنْتَ تَأْتِمُ حَتَّى لَا يُقَالَ
أَيْنَ فُلَانٌ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ الْحَقِّ وَمَا يُنَالِي مَا صَمَعَ الْمُتَحِيدُونَ ! وَالسَّلَامُ .

الشرح :

المراد بقوله : « قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ » ، أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة :
إن علياً إمامٌ هُدًى ، وبيعتنه صحيحة ، إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القِيلة ، وهذا القول
بعضه حق ، وبعضه باطل .

وقوله : « فارفع ذبلك » ، أى تهمّر للسهو معى واللحاق بى ، لنشهد حرب أهل البصرة ، وكذلك قوله : « وأشدّد مِرْرَكَ » ، وكاتهما كسايتان عن الحدّ والشمير فى الأمر .

قال : « وأخرج من حُجْرِكَ » ، أمره له بالخروج من منزله للتحاق به ، وهى ركابة فيها عَصَى من أى موسى وأسنانها لآته لو أراد إعصائه لقال : وأخرج من جِيسِكَ^(١) ، أو من غِيْلِكَ^(٢) كما يقال للأسد ، ولكنه حملته تعباً أو صفاً .

قال : « وأندب من معك » ، أى ، وأندب رعيتك من أهل الكوفة إلى الخروج معى واللحاق بى .

ثم قال : « وإن تحققت بعد » أى أمره مسيئاً على الشك ، وكلامك فى طاعتي كالمتناقض ، فإن حققت لزوم طاعتي لك « فقد » أى سرحتى حتى تقدم على ، وإن أفت على الشك فأعزل العمل ، فقد عزلتكَ .

قوله : « وإيّم الله لتؤنن » معناه إن أمت على الشك والأسراره وشيطن أهل الكوفة عن الخروج إلى وقولك لهم : لا يحزنكم من السيف لا مع على ولا مع طلحة ، والزمايويتكم ، واكسروا سيوفكم ، ليأتيكم . وأنتم فى منزلكم الكوفة أهل البصرة مع طلحة ، ويأتيتكم من أهل المدينة والحد ، فيجتمع عليكم سيفان من أمانكم ومن خليفكم ، فتكون ذلك الداهية الكرى أتى لا شؤفاً .

قوله : « ولا تترك حتى يملط زُبْدُكَ بحائرك » تقول للرجل إذا ضرته حتى أتمحتته : لقد ضرته حتى حطت رُبْدَهُ بحائره ، وكذلك حتى حطت دأبه بحامديه ، والحائر : اللبن العليط ، والزبد خلاصة اللبن وصفوه ، وقد أتمحت الإنسان صرماً كنت كأنك

(١) الخبي : معرس الأسد (٢) العين : شعر الكثير الثلب .

خلطت ما رَقَّ ولَطَف من أخلاطه بما كَثُف وعَصَّ منها ، وهذا مثل ، ومعناه لتَمَسُدَنَّ حالَكَ ولتُخَلِّطَنَّ ، وليضربَنَّ ما هو الآن منتظماً من أمرك .

قوله : « وحتى تُنَحِّلَ عن قِمَدَتِكَ » ، بَقِذَّة بأكسر هيئة القمود كالجلسة والرُّكبة أى وليسحبك الأمرُ عن هيئة قمودك ، يصعب شدة الأمر وصعوبته .

قوله : « ونحذر من أمانك كحذرنا من حَقِّكَ » ، يعنى يَأْتِيكَ مِنْ حَلِيقِكَ إِن أَقْبَتَ عَلَى مَنَعٍ سِيسَ عَنِ الْحَرْبِ مَعَهُ وَمَعَهُمْ أَهْلُ بَصْرَةَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فتكون كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ حَاوَسْتُمْ مِنْ فَوَيْكُمُ الْمَيِّمَ سُقِّلَ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

قوله : « وما هى بالهَوَيسَى التى ترحو » ، هَوَيسَى تصمير « الهوى » التى هى أُنْثَى « أهُوَن » ، أى ليست هذه الداهية واجباثة التى أدكرها لك « لشيء الهين الذى ترحو اندفاعه ومسهولته » .

ثم قال : بل هى الداهية الكبرى ستعمل لا محالة إن استمرت على ما أنت عليه ، وكفى عن قوله : « ستعمل لا محالة » بقوله : « يركب حملها » وما بعده ، وذلك لأنها إذا رُكِبَ حملها ، ودلَّ صعبها وسهل وعثرها فقد فُتت ، أى لا تقدر : هذا أمرٌ أعظمٌ صعبُ المرام ، أى فصعد الحيوش من كلا الحارين الكوفة ، فإنه إن دام الأمرُ على ما أشرت إلى أهل الكوفة من التخادُل والحلوس والسيوت ، وقولك لهم : « كن عبد الله المقتول » لننقمن بموجب ما ذكرته لك ، وليرتكبن أهل الحجار وأهل البصرة هذا الأمرُ المستعصم ، لأننا نحن نطلب أن نهلك الكوفة ، وأهل البصرة كذلك ، فيجتمع عليها الفريقان .

ثم عاد إلى أمر الحاروح إبيه فقال له : « فعقل عَقْلُكَ ، وأملك أمرك » ، وحذ نصيبك

وَحَطَّكَ » ، أى من الطاعة ، واتَّاعَ الإمامَ الَّذِي لَزِمَتْكَ بَيْعَتُهُ ، فَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ ،
فَتَنَحَّ عَنِ الْعَمَلِ فَقَدْ عَزَلْتُكَ . وَابْعُدْ عَنَّا لَا فِى رَحْبٍ ، أَيْ لَا فِى سَعَةِ ، وَهَذَا خِذٌّ قَوْلِهِمْ :
مَرْحَبًا .

ثُمَّ قَالَ : فَجَدِيرٌ أَنْ تَكْفَى مَا كُفِّتَهُ مِنْ حُضُورِ الْحَرْبِ وَأَمْتٌ بَائِثٌ ، أَيْ لَسْتُ
مَعْدُودًا عِنْدَنَا وَلَا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَعْتَقِرُ الْحُرُوبَ وَالتَّذْيِيرَاتِ إِلَيْهِمْ ،
فَسُيُنَى اللَّهُ عَنْكَ وَلَا يُقَالُ : ابْنُ فُلَانٍ ؟

ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُ لِحَقٍّ ، أَيْ أَتَى فِى حَرْبٍ هَؤُلَاءِ لَمَلَى حَقٌّ ، وَإِنْ مِنْ أَطَاعَنِى مَعَ إِمَامٍ
مُحَقِّقٍ لَيْسَ يُبَالَى مَا سَمِعَ الْمَلْعُونُونَ ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ » .

(٦٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتابه * :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَادَّ كَرْتَ مِنَ الْأُتَمَّةِ وَالْجَبَاعَةِ ، مَعْرِقَ بَيْتَا
وَبَيْتِكُمْ أَمْسِ أَنَا آمَنَّا وَكُفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ
إِلَّا كَرِهًا ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنَا الْإِسْلَامَ كُنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْنَا ،
وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمَصْرَيْنِ ،
وَذَلِكَ أَمْرٌ بَعَثَ عَنْهُ ، فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا الْعُذْرُ بِهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ رَأَيْتَنِي فِي حَتَمِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ
أَسِرَ أَحْوَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَسَرِّفِهِ ، فَإِنْ إِنْ أُرْرَكَ فَذَلِكَ خَيْرٌ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ إِيَّاهُ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ تَرُزَّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسْدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَصْرِفُهُمْ بِحَصْبِ بَنِي أَعْوَارٍ وَجُلُودِ

وَمِنْ دِي السَّيْفِ الَّذِي أَفْصَحْتُهُ بِمَحْدُوكَ وَحَايِكَ وَأَحْيَيْكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ .

فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتَ الْأَعْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْمُقْلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ :
إِنَّكَ رَقِيتَ سُلْمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عِنْدِكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ عَيْرَ ضَالَّتِكَ ،
وَرَعَيْتَ عَيْرَ سَارِمَتِكَ ، وَطَلَسْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِيهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ
مِنْ فِعْلِكَ !

وَقَرِيبٌ مَا أَشْهَتْ مِنْ أَفْهَامٍ وَأَحْوَالٍ ! سَحَّتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلُ ، عَلَى
الْحُجُودِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَمْ يَدْفَعُوا
عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا ، يَوْفَعُ سُيُوفٍ مَا حَلَا مِنْهَا الْوَعَى ، وَلَمْ تُنَاشِهَا
الْمُؤَيِّنَى .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قِتَالَةِ عُشَمَاءَ ؛ فَادْخُلْ فِيهَا دَحَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى ،
أَحْلِكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تَيْتُ الَّتِي تُرِيدُ ؛ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ الْأَبَوِ
فِي أَوَّلِ الْعِصَالِ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

الْبَرْخُ :

[كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَلِي]

أَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ ، وَهَذَا الْكِتَابُ حَوَاهِ ، فَهُوَ :

مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَعْيَانَ ، إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

أَمَّا بَعْدَ ، فَإِنَّا بَيْنِي عِندَ مَنْافٍ لَمْ تَزَلْ تَرْعُ مِنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَنَحْرِي فِي حَلْبَةٍ وَاحِدَةٍ ،
لَيْسَ لِنَمُصِّنَا عَلَى بَعْضِ فِصْلِ ، وَلَا لِنَقَامُ عَلَى قَاعِدٍ خَرَّ ؛ كَلَّمْتَ مَوْثِقَةً ، وَأَلَقْتَ طَامِعَةً ،
وَدَارُهَا وَاحِدَةٌ ، يَحْمِلُهَا كَرَمُ الْعِرَاقِ ، وَيَحْوِيهَا شَرَفُ السَّجَارِ ، وَيَحْمِلُ قُوَّتُهَا عَلَى ضَعِيفِهَا ،
وَيُوَاسِي غَنِيَّتُهَا فَقِيرَهَا ، قَدْ حَلَمْتَ قُلُوبَ مَنْ وَعَلَ الْحَسَدَ ، وَطَهَّرْتَ أَنْفُسًا مِنْ خُبْثِ
النِّيَّةِ ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنْكَ مَا كَانَ مِنَ الْإِذْهَابِ فِي أَمْرِ ابْنِ عَمَّتِكَ ، وَالْحَسَدِ لَهُ ،
وَنُصْرَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، حَتَّى قُتِلَ مُشْهِرُ مِنْكَ ؛ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدَ . فَلَيْتَكَ

أظهرت نصره ، حيث أسرت خبره ، فكنت كاستملى بين الناس بعدد^(١) وإن ضعف ،
والثبري من دمه بدفع وإن وهن ، ولكنت حسنت في ذلك تدس إليه الدواهي ،
وترسل إليه الأفاعي ؛ حتى إذا قصيت وطرك منه ، أظهرت ثمانية ، وأبدت ملاقاة ،
وحسرت للأمر عن ساعدك ، وشمزت عن سافك ، ودعوت الناس إلى نفسك ،
وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ، ثم كل منك بعد ما كل من قتلك شيخى المسلمين
أبى محمد طلحة وأبى عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة ، والشر فأتل أحدهما بالآخر
في الآخرة ، هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة وإحلالها محلّ الهون ، مستدلة بين أيدي
الأعراب وفقّة أهل الكوفة ، فمن بين مشرّها لها ، وبين شاريت بها ، وبين ساحر منها .
تري ابن عمك كان بهذه لو رآه راضيا ، أم كان يكون عليك ساعطا ، ولك عنه راجرا !
أن تؤدى أهله ونسرك بحليلته ، وتسلك دماء أهل بيته . ثم ترك دار الهجرة التي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « إن المدينة لتتقن حثها كما يقن الكير »^(٢) حث الحديد ،
فلم ترى لقد صبح وعدّه وصدق قوله ، ولقد نفث حثها ، وطردت عنها من ليس بأهل أن
يستوطئها ، فأثت بين المصريين ، وتعدت عن ركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلا
من المدينة ، ومحاورة الخوارج والخيرة عوف عن محاورة حاتم السوّة ، ومن قبل ذلك ما
عنت حليتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما ، فعدت عنهما وألّت عليهما ،
وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمرّ ألم يرك الله تعالى له أهلا ، ورقيت سلما وعرا ، وحاولت
مقاما دحضا ، وأدعيت ما لم تجد عليه ناصرا ؛ وعمري لو وليتها حينئذ لما اردادت
إلا فسادا واضطرابا ، ولا أعقت ولا يتكلم إلا انتشارا وارتدادا ؛ لإبلك الشامخ بأفقه ،
الذاهب بنعمه ، المستطير على الناس بسانه وبده ؛ وما أبا سائر إليك في جمع

(١) : « بدو » .

(٢) الكير : زق ينفع فيه الحديد .

من الهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ، ودرمخ فخطائية ، حتى يحاكموك إلى الله .
فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إلى قتلة عثمان ، فيهم حطيتك وحلصاؤك والمحدثون بك ،
فإن آيت إلا سلوك سبيل اللجاج ، والإصرار على امي والصلال ، فاعلم أن هذه الآية إنما
نزلت فيك وفي أهل العراق معك : ﴿ وَصَرَّتْ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ أُمَّةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا
رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَرَرَتْ ثُمَّ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل ومعايه ، قال عليه السلام : لعمري إنا كما بنينا واحدا
في الجاهلية ، لأننا بنو عبد مناف ، إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمدا
صلى الله عليه وآله ، فإنا أما وكعرتكم ، ثم لما كادت الفرقة اليوم نأنا استقصا على مساهح
الحق وفتنتهم .

ثم قال : « وما أسلم من أسلم منكم إلا كرها » ، كأبي سفيان وأولاده يريد ومعاوية
وغيرهم من بني عبد شمس .

قال : « وبعد أن كل أئمة الإسلام محاربا لرسول الله صلى الله عليه وآله » أي في
أول الإسلام ، يقال : كان ذلك في أئمة دولة بني فلان ، أي في أولها ، وأئمة كل شيء
أوله وطرفه ، وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى
الله عليه وآله في أول المحقرة ، إلى أن فتح مكة ، ثم أحابه عن قوله : « قتلت طلحة
والزبير ، وشردت عائشة ، ورت بين المصريين » بكلام مختصر أعرض فيه عنه

هَوَانًا بِهِ ، فقال : هذا أمرٌ عبتَ عنه ، فليس عيبك كان العدو الذي تَزَنَّمُ ، ولا العذرُ إليك لو وجب على العذر عنه .

فأما الحوَابُ المَعَصَلُ فأن يقال : إن طلحة والزبير قَتَلَا أَنفُسَهُمَا بَيْنَهُمَا وَكُنْتُهُمَا ، ولو استقاما على الطريقة لَسَلِمَا ، ومن قَتَلَهُ الْحَقُّ قَدِمَهُ هَدَرٌ ، وأما كونُهُمَا شَيْخَيْنِ مِنْ شِيُوخِ الْإِسْلَامِ فَمِيرٌ مَدْفُوعٌ ؛ وَلَكِنْ الْعَيْبُ يَحْدُثُ ، وَأَصْحَابُنَا يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُمَا تَابَا وَهَرَقَا الدُّنْيَا نَادِمِينَ عَلَى مَا صَعَمَا ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ نَحْنُ ؛ فَإِنَّ الْأَحْبَارَ كَثُرَتْ بِذَلِكَ ، فَهَمَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتَوْتُهُمَا ، وَلَوْ لَا تَوْتُهُمَا لَكُنَا هَا لَكُنْ كَمَا هَلَكَ عِبْرُهُمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحْبِى أَحَدًا فِي الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ^(١) ﴾ .

وَأَمَّا الرَّعْدُ هَا هَا الْجَنَّةُ فَشُرُوطُ بَسَامَةِ الْعَاقِبَةِ ، وَالْكَلَامُ فِي سَلَامَتِهِمَا ، وَإِذَا نُسِيتَ تَوْتُهُمَا فَقَدْ صَحَّ الْوَعْدُ لَهَا وَنَحَقَّ ؛ وَقَوْلُهُ : « بَشْرٌ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِاللَّارِ » ، فَقَدْ اِحْتَلَفَ فِيهِ ، فَقَالَ هُوَ مِنْ أَرْبَابِ السَّيْرِ وَعَطَاءُ الْحَدِيثِ : هُوَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمْرٍ مَرْفُوعٌ ، وَقَوْمٌ مِنْهُمْ جَعَلُوهُ مَرْفُوعًا ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ حَقٌّ ، لِأَنَّ ابْنَ جُرْمُورٍ قَتَلَهُ مَوْلِيًّا خَرَجًا مِنَ الصَّفِّ ، مَعَارِفًا لِلْحَرْبِ ؛ فَقَدْ قَتَلَهُ عَلَى تَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ وَرَحْوَةٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَقَاتِلُ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ فَاسِقٌ مُسْتَحَقٌّ لِللَّارِ ، وَأَمَّا أُمُّ الْيُوسُفِ عَائِشَةُ فَقَدْ صَحَّتْ تَوْبَتُهَا ، وَالْأَحْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي تَوْبَتِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَحْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي تَوْبَةِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ ، لِأَنَّهَا عَاشَتْ رَمَامَا طَوِيلًا ، وَهِيَ لَمْ يَتَقَيَّا ، وَالَّذِي خَرَى لَهَا كَانَ حَقًّا مِنْهَا ، فَتَى دَبُّ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ! وَلَوْ أَقَامَتْ فِي مَنْزِلِهَا لَمْ تَبْتَدِلْ بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ عَلَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَهَا وَصَانَهَا وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مَعَهَا فَلْيُطَالِعْ كِتَابَ السَّيْرَةِ . وَلَوْ كَانَتْ فَعَلَتْ بِعَمْرٍ مَا فَعَلَتْ بِهِ ، وَشَقَّتْ عَصَا الْأَمَةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ظَنَرَتْ بِهَا ، لَقَتَلَهَا وَمَرَقَهَا إِدْبًا إِدْبًا ، وَلَكِنْ عَلَيَّا كَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا .

وأما قوله : « لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئ بك هل كان يرضى لك أن تؤذى حيلته ! » فلعلى عليه السلام أن يقب الكلام عليه ، فيقول : أضرأه لو عاش أكان يرضى لحيلته أن تؤذى أحده ووصيه ! وأيضاً أترأه لو عاش أكان يرضى لك يا بن أبي سفيان أن تُتأزع علياً الخلافة وتغرق جماعة هذه الأمة ! وأيضاً أترأه لو عاش أكان يرضى لطلحة والزبير أن ييايما ، ثم ينكثا لاسب ، بل فالأ : حشاً يطلب الدرام ، فقد قيل لنا : إن بالبصرة أموالاً كثيرة ! هذا كلام يقوله مشهما !

فأما قوله : « تركت دار المحصرة » ، فلا عيبَ عليه إذا انقضت عليه أطراف الإسلام بالبنى وانفساد أن يخرُج من المدينة إليها ، ويهدت أهلها ؛ وليس كل من خرج من المدينة كان حشاً ، فقد خرج عنها عمرُ مراراً إلى الشام ، ثم لعلى عليه السلام أن يقب عليه الكلام فيقول له : وأنت يا معاوية ؛ قد سفتك المدينة أيضاً عنها ، فأت إدأ حش ، وكذلك طلحة والزبير وعائشة الدين تنقض لهم ونمحق على الناس بهم ، وقد خرج عن المدينة الصالحون ، كابن مسعود وأبي ذرٍّ وغيرهما ، ومانوا في بلادٍ مائية عنها .

وأما قوله : « بعدت عن حرمة الحرمين » ، وبجأورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلام إقناعي ضميم ، والواحد على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام ، وتقديم قتال أهل البنى على المقام بين الحرمين أولى . فأما ما ذكره من جدلانه عثمان وشمانته به ودعائه الناس بعد قتله إلى نفسه وإكراهه طلحة والزبير وغيرها على بيعته فكله دعوى والأمر بخلافها ، ومن نظر كتب السير عرَف أنه قد بهته وأدعى عليه ما لم يقع منه .

وأما قوله : « التويت على أبي بكر وعمر » ، وقعدت عنهما ، وحاولت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علياً عليه السلام لم يكن يبعد ذلك ولا يُنكره ، ولا ريب

أنه كان يدعى الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجلالة ، إنما لنصير
كما نقوله الشيعة ، أو لأمر آخر كما بقوله أصحابنا . « ما قولك : لو وليها حينئذ لفسد الأمر
وأضطرب الإسلام » ، فهذا علم عيب لا يعلمه إلا الله ، ولعله لو وليها حينئذ لاستقام الأمر
ومسح الإسلام وتمتد ، فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان
عندهم متأخره عن الخلافة ، وتقدم غيره عليه ، فصغر شأنه في العوس ، وقرّر من تقدمه
في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية ، والناس على ما يحصل في قلوبهم ، ولو كان
وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
وتلك المرحلة الرمية والأحتصاص الذي كان له ، لكان الأمر غير الذي رأينا عند ولايته
بعد عثمان . « ما قولك : لأنك الشامح بأمره » ، « ما قولك بنفسه » ، فقد أسرف في وصفه بما
وصله به ، ولا شك أن علياً عليه السلام كان عنده ^{هو لكى لا هكذا} ، وكان عليه
السلام مع ربه الطيف الناس حقائق

• • •

ثم رجع إلى تفسير ألفاظه عليه السلام ؛ قوله : « ودكرت أنك زائر في جمع من
المهاجرين والأنصار » ، وقد أقطعت المحررة يوم أسر أخوك « هذا الكلام تكذيب له
في قوله : « في جمع من المهاجرين والأنصار » ، أي ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك
ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هم أماء الطلقاء ، ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال
النبي صلى الله عليه وآله : « لا هجرة بعد الفتح » .

وعبر عن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تفريع لمعاوية وأهله بالكفر ، وأنهم ليسوا
من فوى السوابق ، فقال : « قد أقطعت المحررة يوم أسر أخوك » ، يعني يريد بن أبي
سفيان أسير يوم الفتح في باب الخدمة ، وكان حراح في قريش يحاربون ويمتنعون

من دخول مكة ، قُتِلَ منهم قومٌ وأسيرَ يزيدُ بنُ أبي سفيان ، أسره خالدُ بنُ الوليد ،
نقله أبو سفيان منه ، وأدخله داره ؛ فأمن لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ :
« من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن » .


[ذكر الخبر عن فتح مكة]

ويجب أن نذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الواقدي في كتاب " المغازي " ،
في فتح مكة ، فإن الموضع يقتضيه ؛ لقوله عليه السلام : « ما أسلم ملُكم إلا كرها » ،
وقوله : « يومَ أسير أخوك » .

قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب " المغازي " :
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سجد جدياً غرضاً في عام الحديبية عشر سنين ،
وحمل حراةً داخلةً معه ، وحملة قريش بنى بكر بن عبد مائة من كنانة داخلةً معهم ،
وكان بين بني بكر وبين حراة يرات في الجاهلية وبعاء ، وقد كانت حراة من قبل
حالفت عبد المطلب بن هاشم ، وكان معها كتابٌ منه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله
يعرف ذلك ، فلما تم صلح الحديبية وأمن الناس ، سمع علامٌ من حراة إسماعيل بن
بني كنانة يقال له : أس بن زيم الدؤلي (١) يُشيد بها له في رسول الله صلى الله عليه وآله ،
فصر به فشجّه ، فخرج أس إلى قومه فأدّاهم شجته فثار بينهم الشر ، وتذاكروا أحقادهم
القديمة ، والنوم مجاورون عكة ، فسجدت بكر بن عبد مائة (٢) قريشاً على حراة ،
فمن قريش من كره ذلك وقال : لا أنقض عهد محمد ، ومنهم من حب إليه . وكان أبو سفيان
أحد من كره ذلك ، وكان صفوان بن أمية وخويط بن عبد العزى ومكرّر بن حصص

(١) ١ الدليل . (٢) ب : « مناف » ، وصوابه ن ا ، د .

عمن أمان بنى بكر ، ودسوا إليهم الرجال بالسلاح سرا ، وبيتوا خراعة ليلا ، فأوقعوا بهم ، فقتلوا منهم عشرين رجلا ، فلما أصبحوا عانوا قريشا ، فحدثت قريش أنسها أعات بكرا ، وكذبت في ذلك ، وتبرأ أبو سفيان وقوم من قريش مما جرى ، وشخص قوم من خراعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه وهو في المسجد ، فقام عمرو بن سالم الخزاعي فأشده :

لا هم إني ناشد محمدا حنفت أبنا وأبيه الأندلا^(١)
 لكنت والدا وكنا ولدا^(٢) نمت أسلف ولم سرع يدا
 إن قريشا أخلصوك للوهدا وقضوا ميثاقتك التوكدا
 هم بيتونا بالوتير هجبا^(٣)  حلوا القرآن روكما وشجبا
 ورعوا أن لست تدعو أحدا وهم أدل وأصل غدا
 فاصر هداك الله نصرا أبدا^(٤) وانزع عباد الله يأتوا مددا^(٥)
 في فيلق كالبحر يجرى مريدا^(٦) بهم رسول الله قد تحردا
 * قوم لقوم من قوم أصيدا *

ثم ذكروا له ما أثار الشر ، وقالوا له : إن أس بن رنيم هجاك ، وإن صفوان ابن أمية وفلانا وفلانا دسوا إلينا رجال قريش مستصرخين ، فبيتونا بمنزلنا بالوتير فقتلونا ، وجشاك مستصرخين بك ، فرعوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام مضطربا يجر رداءه ويقول : « لا نصرت إن لم أصر خراعة في أصر منه نسي ! » .

(١) في الأصول : « الأملدا » وصوابه من ابن هشام ٤ : ١٠ . والأند : القديم .
 (٢) ابن هشام : « قد كنتم ولدا » . (٣) الوتر : اسم ماء بعينه .
 (٤) أبدا . قويا ؛ وفي يد : « أبدا » ؛ والصواب ما في ابن هشام .
 (٥) للدد : اللون . (٦) الفلق : السكر .

قلتُ : فصَادَفَ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله إِيثَارًا وَحُثًا لِقَضَى الْمَهْدِ ، لَأَنَّهُ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ مَكَّةَ وَهُمْ بِهَا فِي عَامِ الْخَدَبِيَّةِ فَصَدَّ ، ثُمَّ هَمَّ بِهَا فِي عُمُرَةِ الْقَضِيَّةِ ، ثُمَّ وَقَفَ لِأَجْلِ الْمَهْدِ وَالْيَثاقِ الَّذِي كَانَ عَقَدَهُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا جَرَى مَا جَرَى عَلَى خُرَاجِهِ أُغْتَنِمَهَا .

قال الواقدي : فكتب إلى جميع الناس في أقطار الحجاز وغيرها يأمرهم أن يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمان للهجرة ، فوافته الوفود والقبائل من كل جهة ، فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء لعشر حثون من رمضان في عشرة آلاف ، فكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم من الحيل ثمانية فرس ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ، معهم من الحيل خمسمائة ، وكانت مربية ألفاً ، فيها من الحيل مائة فرس ، وكانت أسلم أربعمائة ، فيها من الحيل ثلاثون فرساً ، وكانت خمسمائة ثمانمائة معها خمس فرسا ، ومن سائر الناس تمام عشرة آلاف ، وهم بنو ضمره وبنو عجار وأشجع وبنو سليم وبنو كعب بن عمرو وغيرهم . وعقد للمهاجرين ، ثلاثة ألوية : لواء مع علي ، ولواء مع الزبير ، ولواء مع سعد ابن أبي وقاص ، وكانت الرايات في الأنصار وغيرهم ، وكنتم عن الناس الحذر ، فلم يعلم به إلا حواصنه ، وأما قريش عكة فندمت على ما صنعت بمخزاعة ، وعرفت أن ذلك انقضاء ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من العهد ، ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقللا له : إن هذا أمر لا بد له أن يصلح ، والله إن لم يصلح لا يرؤعكم إلا محمد في أصحابه . وقال أبو سفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وأفظمتها ، وخفت من شرها ، قالوا : ما رأت ؟ قال : رأت كأن دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمة ملياً ، ثم كان ذلك الدم لم يكن ؛ فكبره القوم ذلك وقالوا : هذا شر .

قال الواقدي : فلما رأى أبو سفيان ما رأى من الشر قال : هذا والله أمر لم أشهده

ولم أعِب عنه ، لا يَحْمِلُ هذا إلا على ، ولا والله ما شُورَتْ ولا هُوتَ^(١) حيث بلغني ، والله لَيَفْزُونا محمدٌ إن صدق ظني وهو صادق ، ومالي بُدٌّ أن آتي محمداً فأَكْتُمه أن يريد في الهدنة ، ويحدّد العهد قبل أن يَلْعَبه هذا الأمر . قالت قريش : قد والله أصبت ؛ وندمتُ قريشٌ على ما صنعتُ بحُرّاعة وعرفت أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله لا بدّ أن يفرّوها ؛ تخرج أبو سُعيانَ وحرّاجٌ معه مولًى له على راحتين ، وأسرعَ السيرَ وهو يرى أنه أوّل من خرج من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ الخبر على وجهٍ آخر ، وهو أنه لما قَدِمَ رَكْبُ حُرّاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتَبَوه عن قتلِ مَسْهُمْ ، قال لهم : عن بُيُوتِكُمْ وطلتكم ؟ قالوا : بنو بكر بن عبدِ مَساة ، قال : كَلِمًا ؟ قالوا : لا ، ولكن تهمتنا بنو نُباعة فَصَرَّة^(٢) ، ورأسهم نوفل بن معاوية الضُّعَفَى ؛ فقال : هذا بطنٌ من بكر ، فأباعت إلى أهل مكة فسألتهم عن هذا الأمر ، وعيَّزُهم في خِصَال . فبحثَ إليهم صَمْرَةَ يُحْتَرَمُ بين إحدى حلال ثلاث : بين أن يَدُوا حُرّاعة ، أو يَبْرُوا من حِلفِ نُباعة ، أو يَسُدَّ إليهم على سواء . فأبام صَمْرَةَ فنجَّزَهم بين الحلال الثلاث ، فقال قُرَيْبَةُ بن عبد عمرو الأعمى : أمّا أن يَدِيَ قَتْلَ حُرّاعة ، فإنّا إن وَدَّناهم لم يَنْقُ لنا سَدٌّ ولا لَدَ^(٣) ، وأمّا أن يَبْرأ من حلفِ نُباعة ، فإنه ليس قبيلة تحجّ هذا البيت أشدَّ تعظيماً من نُباعة ، وهم حُلَفَاؤُنا فلا يَبْرأ من حِلْفِهِمْ ، ولكنّا نَسُدُّ إليه على سواء . فعاد صَمْرَةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وندمتُ قريشٌ أن ردّت صَمْرَةَ بما ردّته به .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ غيرُ ذلك ؛ رُوِيَ أن قريشاً لما ندمت على قتل حُرّاعة وقالت : محمد عازبنا ، قال لهم عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح — وهو يومئذ كافر مرته —

(١) ب . « هويت » ، وأثبت « وا ، د » . (٢) فصرة : أي هم دون غيرهم .

(٣) يقال : ما له سيد ولا لد ؛ أي لا قليل ولا كثير .

عندهم : إن عندى رأياً ؛ إن محمداً ليس يَمزُوكم حتى يُغِيرَ إليكم ويُخَيِّرَكم في خصال كلها أهونَ عليكم من عزوه ، قالوا : ما هي ؟ قال : يرسل إليكم أن تَدُوا قَتْلَى حُرَاعَةَ ، أو تَزَوُّوا من حلف من نقض العهد وهم بنو نِفَائَةٍ ، أو يَبْذِلَ إليكم العهد . فقال القومُ : أخيراً قال ابنُ أبي سَرْحٍ أن يكون ! فقال مُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : ما حَصَلَةُ أيسر علينا من أن نَبْرَأَ من حلف نِفَائَةٍ ، فقال شَيْبَةُ بْنُ عُمَانَ التَّمَدِيرِيُّ : حُطَّتْ أَخْوَالكُ ^(١) حُرَاعَةَ ، وغصت لهم ! قال سهيل : وأى قريش لم تَدِ حُرَاعَةَ ! قال شَيْبَةُ : لا ، ولكن نَدِي قَتْلَى حُرَاعَةَ فَمَرَّ أَهْوَنُ علينا . فقال قُرَيْبَةُ بْنُ عَبْدِ مَرْوٍ : لا والله لا تَدِيهِمْ ولا تَبْرَأَ عن نِفَائَةِ أَيْمِ المَرْبِ بِنَا ، وأَمْرُهُمْ لَتَبِتَ رَتَا ، ولكن تَدِ إليهم على سواء . فقال أَبُو سُفْيَانَ : ما هذا شيء ، وما الرأى ! إلا جَعَدَ هذا الأمر أن تكون قريش دخلت في نقض العهد ، أو قطع مسدّة ، فإن قطعهم قومٌ غير هَوَى مَنَا وَلَا مَشُورَةٍ مَا عَلَيْنَا ! قالوا : هذا هو الرأى ، لا رأى إلا الحُجْدُ لكل ما كان من ذلك ، فقال : أَمَا أَسَمِ الْكُفْرَ لَمْ أَشْهَدْ وَلَمْ أَؤَامِرْ ، وَأَنَا صَادِقٌ ، لَعَدْتُ كَرِهْتُ مَا حَسَمْتُمْ ، وعرف أن سيكون له يومٌ عَمَاسٍ ^(٢) ، طَلَتْ قُرَيْشٌ لِأَبِي سُفْيَانَ : فَأُخْرِجَ أَمْرٌ بِذَلِكَ ؛ فَخَرَجَ .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن عامر الأسدي ، عن عطية بن أبي مروان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة صليحة الليلة التي أوفقت فيها عائشة وقريش بحُرَاعَةَ بالوتير : يا عائشة لقد حدث الليلة في حُرَاعَةِ أَمْرٍ ، فذات عائشة : يا رسول الله ، أترى قريشاً تخترى على نقض العهد بيبك وبينهم ! أيتقصون وقد أعتاهم السيف ! فقال : العهد لأمر يريد الله بهم ، فقالت : خيرٌ أم شرٌّ يا رسول الله ؟ فقال : خير .

قال الواقدي : وحدثني عبد الحميد بن حنبل ، قال : حدثني عمران بن أبي أنس ، عن ابن عباس ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَجُرُّ طَرَفَ رِدَائِهِ ويقول :

(١) ب : د إخوانك ، وما أثبتته من أ ، د . (٢) يوم عموس ، أى شديد .

« لَا نُصِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ - بِمَعْنَى خِرَازَةِ - فِيهَا أَنْصُرُ مِنْهُ نَفْسِي ! » .

قال الواقدي : وحدثني حرام بن هشام ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَكُمْ بَنِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ يَقُولُ : جَدُّكُمْ أَسَدٌ وَزِدُّ فِي الْهَدْيَةِ وَهُوَ رَاحِمٌ بِسَخَطِهِ . وقال لبني خِرَازَةَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ وَأَصْحَابُهُ : ارجعوا وتفرقوا في الأودية ، وقام فدخل على طائفة وهو مُغْصَبٌ ، فقام بجاء ، فدخل بمنزل ؛ قالت طائفة : فاسمعه يقول وهو يصب الماء على رجليه : « لَا نُصِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ ! »

قال الواقدي : فَمَا أَبُو سُفْيَانَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مَتَحَوِّفٌ أَنْ يَكُونَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ وَرَهْطُهُ مِنْ خِرَازَةِ سَقَوْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكُلُّ لِقَوْمٍ لَمْ رَحِمُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا الْأَنْوَاءَ تَفَرَّقُوا كَمَا أَوْصَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى السَّاحِلِ تَعَارِضُ الطَّرِيقِ ، وَلَزِمَ بُذَيْلُ بْنُ أُمِّ أَصْرَمَ الطَّرِيقَ فِي مَرَمِهِ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَشْعَقَ أَنْ يَكُونُوا لِقَاؤًا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ كَانَ ابْتِغَاءُ عَمْدِهِ ، فَمَسَامُ لِلْعَوْمِ . مَنَدُّكُمْ عَهْدَكُمْ بِيَثْرَبَ ؟ قَالُوا : لَا عَهْدَ لَنَا بِهَا ، فَتَرَفَّ أَسْهَمَ كَتَمُوهُ ، فَقَالَ : أَمَا مَعَكُمْ مِنْ تَمَرٍ يَثْرَبُ شَيْءٌ تُطْعِمُونَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَثْرَبْ فَصَلَا عَلَى تَمَرٍ رَهَامَةً ؟ قَالُوا : لَا ، ثُمَّ أَتَى نَفْسَهُ أَنْ تَقَرَّ ، فَقَالَ : مَا بُذَيْلُ ، هَلْ حَثَّ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنِّي سَرْتُ فِي بِلَادِ خِرَازَةِ مِنْ هَذَا السَّاحِلِ فِي قَتِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : إِنَّكَ - وَاللَّهِ مَا عَمِلْتُ - رُتِّ وَأَصْل . فَلَمَّا رَاحَ بُذَيْلُ وَأَصْحَابُهُ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى أَعْيَانِ إِبِلِهِمْ فَفَتَّهَا فَإِذَا فِيهَا النَّوَى ، وَوَجَدَ فِي مَرْطَمِ نَوَى مِنْ عَرْمَجِيَّةٍ كَثْرَةُ أَلْسِنَةِ الْمَصَافِيرِ ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ الْقَوْمُ مُحَمَّدًا . وَأَقْبَلَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ كُنْتَ عَائِبًا فِي مَلْعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ ، فَشَدَّدَ الْمَهْدَ وَزِدْنَا فِي الْمَدَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَلِلَّذَلِكَ قَسَمْتُ يَا أبا سُفْيَانَ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَلْ كَانَ قَوْلَكُمْ حَدَّثَ ؟

فقال : مَعَاذَ اللَّهِ ! فقال رسولُ الله : فنعن على موتينا وسُئِلنا يومَ الحَدِيثِية لا نَقِير ولا نَبْدُل . فقام مِن عنده فدخل على أُمِّته أُمِّ حَسيَّة ، فمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ على فِرَاشِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ طَوَّعَهُ دَوْنَهُ ، فقال : أَرَعَيْتَ بِهَذَا الْفِرَاشَ عَنِّي ، أَمْ رَغَبْتَ بِي عَنْهُ ؟ فقالت : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَجُوزُ مُشْرَكَ . قال : يَا بَنِيَّةُ ، لَقَدْ أَصَابَكَ بِعِدِي شَرٌّ ، هَذَب : إِنَّ اللَّهَ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ يَا ابْنَةَ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَكَبِيرِهَا ، كَيْفَ تَخْفَى عَنكَ فَصْرُ الْإِسْلَامِ ، وَتَمْبُدُ حَجَرًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ! فقال : يَا عَمَّاهُ ! وَهَذَا مَنِّكَ أَيْمًا ! أَلَمْ تَرَ كَيْفَ بَعُدَ آبَاؤِي وَأَتَمَعَ دِينُ مُحَمَّدٍ ! ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهَا فَلَقِيَنِي أُمَّا بَكْرٌ ، فَكَلَّمَنِي ، وَقَالَ : نَكَلَّمُ أَنْتَ مُحَمَّدًا ، وَتَحْبِرُ أَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ . فقال : أُمَّا بَكْرُ : حَوَارِي حَوَارِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ثُمَّ لَقِيَنِي عُمَرُ فَكَلَّمَنِي مِثْلَ مَا كَلَّمَنِي بِهِ أُمَّا بَكْرٌ ، فقال عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْ وَحَّدْتُ السُّنُورَ بِدِيْلِكُمْ لَأَعْتَبْتُ عَلَيْكُمْ . قَالَ أَبُو سُعْيَانَ : خُرَيْتُ مِنْ دِي رَجِيمٍ شَرًّا ! ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَقَالَ لَهُ : يَا لَيْسَ فِي الْعَوَمِ أَحَدٌ أَمْسَى لِي رَحِمًا مِثْلَكَ ، فَرَدَدْتُ الْمُدَّةَ وَحَدَّدْتُ الْمَهْدَ ، فَإِنْ صَاحَبَكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ أَبَدًا ؛ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَحْلًا قَطًّا أَشَدَّ إِكْرَامًا لِمَصَاحِبٍ مِنْ مُحَمَّدٍ لِأَصْحَابِهِ ، فقال عُثْمَانُ : حَوَارِي حَوَارِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَجَاءَ أَبُو سُعْيَانَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَكَلَّمَهَا ، وَقَالَ : أَحْبَبْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، فقالت : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : إِنَّ رَجَوَارِكَ حَاضِرٌ ، وَقَدْ أَطْرَقَ أَحْتِكُ أُمَّا أَحْمَدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، فَأَجَارَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ . فقالت فَاطِمَةُ : ذَلِكَ إِلَى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ وَأَنْتَ عَلَيْهِ ، فقال : مَرَى أَحَدًا هَذَيْنِ أَبْلِيكَ يُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ ، قَاتِ : بَيْنَهُمَا سَيِّئٌ ، وَبِئْسَ بِحَيْرِ الصِّبِيِّ . فَلَمَّا أَبَتْ عَلَيْهِ أَنِّي عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا أَبَا حَسَنٍ ، أِحْرُ بَيْنَ النَّاسِ وَكَلِّمْ مُحَمَّدًا لِيُرِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَبْحَكَ يَا أَبَا سُعْيَانَ ! إِنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَدْ عَرَّمَ

أَلَا يَعْمَلُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكَلِّمَهُ فِي شَيْءٍ بِكَرَاهِهِ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : هَذَا الرَّأْيُ
عِنْدَكَ فَتَشِيرُ لِأَمْرِي ، فَإِنَّهُ قَدْ ضَاقَ عَلَيَّ ؟ فَرَنِي بِأَمْرٍ تَرَى أَنَّهُ نَاصِي ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : وَاللَّهِ مَا أَحَدُكَ شَيْئًا يَمِثُلُ أَنْ تَقُومَ فَتُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ كِنَانَةٍ ،
قَالَ : أَرَى ذَلِكَ مُضِيًّا عَلَيَّ شَيْئًا ؟ قَالَ عَلِيٌّ : إِنِّي لَا أَظُنُّ ذَلِكَ وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي لَا أَحَدُ
لَكَ غَيْرَهُ . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ طَهْرَى السَّاسِ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَحْرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ،
وَلَا أَظُنُّ مُحَمَّدًا ^(١) يَحْقِرُنِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَا أَظُنُّ
أَنْ تَرُدَّ حِوَارِيَّ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! وَقَالَ : إِنَّهُ لَمَّا صَاحَ
لَمْ يَأْتِ السَّيِّئَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَ رَاحِيَتَهُ وَأُتِيَ إِلَى مَكَّةَ . وَيُرَوَّى أَنَّهُ أَيْضًا أَنَّ
سَعْدَ بْنَ جُبَادَةَ إِسْكَمَّهُ فِي ذَلِكَ : وَقَالَ : يَا أَبَا ثَابِتٍ ، قَدْ عَرَفْتَ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ،
وَإِنِّي كُنْتُ لَكَ فِي حَرَمِي حَرًّا ، وَكُنْتُ لِي بِبَيْتِي مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ،
فَأَحْرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَرَدَّنِي فِي الْمُدَّةِ . لَمَّا هَلَكَ سَعْدُ حِوَارِيَّ جَوَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، مَا يَجِبُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَلَمَّا انْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ
كَانَ طَالَتْ عَيْنُهُ عَنْ قُرَيْشٍ وَأَبْطَأَ ، فَاتَّبَعُوهُ وَقَالُوا : زَاهٍ قَدْ صَبَّأَ وَاتَّعَى مُحَمَّدًا سِرًّا ، وَكُنْتُمْ
إِسْلَامَهُ ؟ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى هِنْدٍ لَيْلًا قَالَتْ : قَدْ أَحْتَسِسْتُ حَتَّى أَتَّهِمَكَ قَوْمُكَ ، فَإِنْ كُنْتُ
حَسْبُكُمْ نَجِّحُ فَأَنْتَ الرَّحْلُ . وَقَدْ كُنَّا دَامَ بِهَا لَيْمَشَاهَا ، فَأَحْبَرَهَا الْخَبِيرَ وَقَالَ : لَمْ أَجِدْ إِلَّا مَا قَالَ
لِي عَلِيٌّ ، فَضَرَبْتُ بِرَحْلِهَا فِي صَدْرِهِ وَفَاتَتْ : فَفُتِحَتْ مِنْ رَسُولٍ قَوْمًا !
قَالَ الْوَاقِدِيُّ : لَحْدَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِي سَلِيحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَصْبَحَ
أَبُو سُفْيَانَ حَلَّقَ رَأْسَهُ عِنْدَ الصَّنَمَيْنِ : أَسَافَ وَمَائِلَةً ، وَذَبَّحَ لَهَا ، وَجَعَلَ يَسْمَحُ بِالْقَمَرِ
وَيُوسِّمُهَا ، وَيَقُولُ : لَا أَفَارِقُ عِبَادَتَكَ حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي . قَالَ : فَعَمِلَ ذَلِكَ
لِيُرَى نَفْسَهُ مِمَّا أَتَّهِمَتْهُ قُرَيْشٌ بِهِ .

قال الواقدي : وقالت فريش لأبي سفيان : ما صنعت ؟ وما وراءك ؟ وهل جئتنا بكتاب من محمد وزمادة في المدة ؟ فأبى لا تأمن من أن يفزونا ، فقال : والله لقد أتى علي ، ولقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شيء معهم ، ورموني بكلمة منهم واحدة ، إلا أن عليا قال لما ضاقت بي الأمور : أنت سيد كدنة ، فأجر بين الناس ، فاديت بالجوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أحرت بين الناس ، وما أظن محمدا يرد جوادى ، فقال محمد : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! لم يرد على ذلك ، قالوا : ما راد على أن يلق بك تلقيا ؟ قال : فوالله ما وجدت غير ذلك .

قال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن محمد بن خنيس بن مطيع ، قال : لما خرج أبو سفيان عن المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : حمزينا وأحيى أمرك . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم خذ عن فريش الأخبار والعيون حتى تأتيهم بمنة ؟ ورؤي أنه قال : اللهم خذ على أنصارهم فلا يروني إلا بمنة ، ولا يسمعون بي إلا خفاة . قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنثاء وحمل عليها الرجال ، ومنع من يخرج من المدينة ، فدخل أبو بكر على عائشة وهي بحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتمل له قمحا سريفا ودقيفا ، وتغرا ، فقال لها : أهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرو ؟ قالت : لا أدري ؟ قال : إن كان هم سحر فادينا تهيا له ، قالت : لا أدري لعله أراد بي سليم ، لعله أراد ثقيف أو هوازن ! فاستمعتم^(١) عليه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أردت سفرا ؟ قال : نعم ، قال : أفتجهز ؟ قال : نعم ، قال : وأين تريد ؟ قال : مريشا ، وأخبر ذلك يا أبا بكر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس فتحهروا ، وطوى عنهم الوحة التي يريد ، وقال له أبو بكر : يا رسول الله ، أو ليس يسا ويسهم مدة ؟ فقال : إنهم قدروا ونقصوا العهد ،

(١) يقال : استمعهم عليه ؛ إذا سكت ولم يمر جوابا .

فأما فاذيهم ، فاطور ما ذكرت لك ، فسكان السُّبُحِ طانٍ يظُنُّ أنه يريد سُبُحًا ، وظانٍ
يظُنُّ أنه يريد هَوَارِينَ ، وظانٍ يظُنُّ أنه يريد كَيْفًا ، وظانٍ يظُنُّ أنه يريد الشَّامَ ،
وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا قتادة بن ربيعة في نفر إلى بطنه ليعطى الناسُ
أن رسول الله صلى الله عليه وآله قدَّم أمامه أولئك الرجالَ فتوجَّه إلى تلك الجهة ، ولتذهب
بذلك الأخبارُ .

قال الواقدي : حدثني المذير بن سعد ، عن يزيد بن رومان ، قال : لما أجمع رسولُ
الله صلى الله عليه وآله السرَّ إلى فريش ، وعلم بذلك مَنْ عليم من الناس ، كتب حاطبُ
ابن أبي بلتمة إلى فريش يُحذِّرهم بالذي أجمع عليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله في أمرهم ،
وأعطى الكتابَ امرأةً من مُزينة ، وحصل لها على ذلك جُمُلاً على أن تُبلِّغه فريشاً ،
حصلت الكتابَ في رأسها ، ثم سبَّت عليه قُرُوبَهَا وحرَّجَتْهُ ، وأتى الخبرُ إلى النبي
صلى الله عليه وآله من السماء بما صنع حاطبٌ ، فبعثَ عليّاً عليه السلام والزبيرَ فقال :
أدركا امرأةً من مُزينة قد كتبتَ معها كتاباً يُحذِّر فريشاً ، فخرجا وأدركاهما
بدى الخنيفة ، فاسترلاهما والتصَّتا الكذبَ في رَحْلها فلم يجدوا شيئاً ، فقالا له :
نَحْلِم بالله ما كَذَّب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا كدَّنا ، ونُتَحَرِّجُ الكتابَ
أو لَنَكْشِفَنَّكَ . فلما رأتَ منهما الخديعةَ حَتَّ قُرُوبَهَا ، واستخرجتَ الكتابَ فدفعتهُ إليهما ،
فأقبلَا به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فدعا حاطباً وقال له : ما حملك على هذا ؟
فقال : يا رسول الله ، والله إني لمُسلمٌ مؤمنٌ بالله ورسوله ، ما عيرتُ ولا بدتُ ، ولكني
كنتُ امرأةً ليس لي في القومِ أصل ولا عشيرة ، وكلُّ لي بين أظهرهم أهلٌ ووَلَدٌ ، فصانعتهم .
فقال عمر : فانتك الله ! ترى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ بالألقاب وتكتب إلى
فريش تحذِّرهم ! دَهْنِي يا رسولَ الله أضرب عنقه ، فإنه قد باقى ، فقال رسولُ الله صلى الله

عليه وآله : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! قال الواقدي : فما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة بالآلوية المقودة والرايات بعد المصير من يوم الأربعاء لمسير خولن من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى إلى الصنصل^(١) ، والمسلمون يقولون الخيل ، وقد امتطوا الإبل ، وقدم أمانه الزبير بن العوام في مائتين ؛ قال : فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء ، فقال : إني لأرى السحاب تسهل^(٢) بنصرى سى كعب - يعنى حزاعة .

قال الواقدي : وحاء كعب بن مالك ريعان أى حمية يفصد ؟ فترك بين يديه على ركبته ، ثم أشده :

قصينا من نهامة كل نخب^(٣) وخيبر ثم أحمينا الشيوخا
فسائلها ولو نطقت لفات كما كئبن دوسا أو قفينا
علمت محاصر إن لم مروها بساحف داركم منها ألوه
فسرع الحيام يظن وخر ونترك دوركم منها خلوة

قال : فبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزد على ذلك ، فجعل الناس يقولون : والله ما بين لك رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا ، فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران .

قال الواقدي : وخرج العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله صلى الله عليه وآله فلما مها أنه بالمدينة يريدان الإسلام ، فلقياه بالسقيا .

(١) صنصل : بواحي المدينة على سعة أميال منها ؛ رل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح . باقوت .
(٢) تسهل السحاب ؛ إذا كثرت أمواجه .
(٣) النخب : الدر .

قال الواقدي : فلما كانت الليلة التي أصبح فيها بالحخفة رأى فيها أبو بكر في منامه أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه قد دنوا من مسكة نقرحت عليهم كذبة نهر^(١) فلما دنوا منها استلقت على قفاها ، وإذا أطاؤها^(٢) تسحب لبنا ، فقصها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ذهب كتبهم ، وأقبل درهم ، وهم سائلونا بأرحامهم ، وأنتم لا فون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه .

قال الواقدي : وإلى أن وصل مر الصهران لم يسمع قريشاً حرف واحد من حاله ، فلما زل بمر الظهران أمر أصحابه أن يوقدوا النار ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وأجمعت قريش أن يمشوا أما سفيان يتجسس لهم الأحبار ، فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء . قال : وقد كان العباس بن عبد المطلب قال : واسوء صاح قريش ! والله إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله صوة^(٣) إنه لهلك قريش آخر الدهر ! قال العباس : فأحدث نذرة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهاب فركتها ، وقلت ~~فأدركت~~ خطاها أو إسانا أبعثه إلى قريش فمكثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عليهم غنوة^(٤) : هو الله إني لبي الأراك ليلاً أتمى ذلك إذ سمعت كلاماً يقول : والله إن رأيت كائيلة مارا ، قال : يقول بديل بن ورقاء . إنا بيران حراة جاشها^(٥) الحرب قال : يقول أبو سفيان : حراة أدل من أن تكون هذه بيرانها وعسكرها ؛ فمرفت صوته ، فقلت : أما حنطة فمرفت صوتي ، قال : لبيك أما الفصل ! فقلت : ويحك ! هذا رسول الله في عشرة آلاف ، وهو مصححك ؛ فقال : نأى وأتى ، فهل من حيلة ! فقلت : نعم ، تركت نحر هذه البهلة ، فذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه إن ظهر بك دون ذلك ليعتدك ؛ قال : والله أما أرى ذلك ، فركت حلقى ، ورأيت

(١) نهر : تسح

(٢) الأطاء : حطأت الضرع من ذات الحلب والصلب والحافر

(٣) حاشها الحرب : أقرصها .

بَدِيلٌ وَحَكِيمٌ فَتَوَخَّعْتُ بِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نيرانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فإِذَا رَأَوْنِي قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنِسَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : الْعَبَّاسُ ، فَذَهَبَ يَطَّارُ فَرَأَى أَبَا سُفْيَانَ حَتْنِي ، فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ! الْحَدُُّ اللَّهُ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ نَفِيرَ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ ! ثُمَّ حَرَّحَ بِشِدَّةٍ مَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَرَكَعَتْ اِبْرَاهِمَةُ حَتَّى اجْتَمَعْنَا جَمِيعًا عَلَى بَابِ قُتَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ وَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَثَرِي ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ فَدَأْمَكُنْ اللَّهُ مَعَهُ نَفِيرَ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي أَصْرِبْ عَقَبَهُ ، فَعَلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَخَرْتَهُ ، ثُمَّ لَزِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُبَاحِيهِ اللَّيْلَةُ أَحَدٌ دُونِي ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِيهِ قَالَتْ : مَهْلًا يَا عُمَرُ ! فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ رَحِلًا مِنْ عَدُوِّ مَنْ كُتِبَ مَا قَلَبَ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ أَحَدُ بَنِي عُمَرَ مَثَافٍ . فَقَالَ عُمَرُ : مَهْلًا مَا أَبَا أَنْفُصَلَ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى مَنْ إِسْلَامَ الْخَطَّابِ . أَوْ قَالَ : مَنْ إِسْلَامَ رَحِلٍ مِنْ وَلَدِ الْخَطَّابِ . لَوْ سَامَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اذْهَبْ بِهِ فَقَدْ أَجْرُنَاهُ ؛ فَنَبَيْتُ عَمْدَكَ حَتَّى تَعْدُوَ بِهِ عَيْنًا إِذَا أَصَحَّتْ . فَلَمَّا أَصَحَّتْ عُدْتُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : وَيُبْحَكَ يَا أبا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! قَالَ : نَأَى أَمَّا مَا أَحْلَمْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ وَأَعْظَمْتُ عَمُوكَ ! قَدْ كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ لَأَعْنَى ؛ قَالَ : يَا أبا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : يَا بَنِي أُمِّتٍ مَا أَحْلَمْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ وَأَعْظَمْتُ عَمُوكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَشَيْئًا بَعْدُ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : فَقُلْتُ وَيُبْحَكَ ! تَشْهَدُ وَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُقْتَلَ . فَتَشْهَدُ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَبَا سُفْيَانَ وَفِيهِ الشَّرَفُ وَالْفَخْرُ ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، ثُمَّ قَالَ : حَذُّهُ فَاحْصِهِ بِمَضِيقِ الْوَادِي إِلَى حَطْمِ الْجَبَلِ

حتى تمر عليه جُئود الله فبرأها . قال العباس : فعدتُ به في مَضيق الوادي إلى خُطم
الحمل فحسسته هناك ، فقال : أعددا يا بني هاشم ! فبت له : إن أهل النبوة لا يعبدون ،
وإنما حسنتك لحاجة ؛ قال : فهلا بدأت بها أولاً فأعتمتسيها ، فكان أفرخ لرُوعي ! ثم
مرت به القبائل على قادتها ، والكتف على رايته ، فكان أول من مرَّ به خالد بن
الوليد في بني سليم ، وهم ألف ، ولهم لواءان يحمل أحدهما العباس بن مرداس والآحر
خفاف بن نُدبة ، وراية يحملها ابقاد ، فقال أبو سُفيان ، يا أبا العَصَل ، من هؤلاء ؟ قال :
هؤلاء بنو سليم ، وعليهم خالد بن الوليد ، قال : العلام ؟ قال : نعم ، فلما حدى خالد
العباس وأبا سُفيان كبر ثلاثاً وكبروا معه ، ثم مضوا . ومرَّ على أثره الزبير بن العوام في
حماية ، فيهم جماعة من المهاجرين وقوم من أنباء الناس ، ومعه راية سوداء ، فلما حادها
كثر : ثلاثاً وكبر أصحابه فقال : من هذا ؟ قال : ههنا الزبير ، قال : ابن أختك ! قال : نعم ،
قال : ثم مرت به بنو عِفَار في ثلاثة يحمل رايتهم أبو حرة . ويقال : إيعاء بن رخصة . فلما
حادوها كبروا ثلاثاً ، قال : يا أبا العَصَل : من هؤلاء ؟ قال : بنو عِفَار ؛ قال : مالي
ولبني عِفَار ! ثم مرت به أسلم في أربعة يحمل لواءها يزيد بن الحبيب ، ولواء آخر مع
ناحية بن الأنهم ، فلما حادوه كبروا ثلاثاً ، فسأل عنهم فقال : هؤلاء أسلم ، فقال : مالي
ولأسلم ! ما كان يسنا وبينهم رزة قط ، ثم مرت سو كعب بن عمرو بن حُراعة في حماية
يحمل رايتهم بشر بن سُفيان ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : كعب بن عمرو ، قال : نعم حلما .
محمد ، فلما حادوه كبروا ثلاثاً . ثم مرت مُرَيْنة في ألف فيها ثلاثة ألوية مع التمان
ابن مقرن ، وبلال بن الحارث ، وسبده الله بن عمرو ، فلما حادوها كبروا ، قال : من
هؤلاء ؟ قال : مُرَيْنة ، قال : يا أبا العَصَل ، مالي ومُرَيْنة ، قد جاءني تُقْمَع من شواهدنا^(١) .

ثمّ مرتّ جُهيّنة في ثمانمائة ، فيها أربعة أنوية مع معبد بن خالد ، وسويّد بن صخر ، ورافع بن مُكيث ، وعبد الله بن بدر ، فلما حادّوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم ، فقبل : جُهيّنة . ثمّ مرتّ بنو كنانة وبسوليث وصنتر وسعيد بن أبي بكر في مائتين ، يحيل لواءهم أبو واقدا الليثي ، فلما حادّوه كبروا ثلاثا ، قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم أهلُ شؤم هؤلاء الذين عزّانا محمد لأجلهم ! أما واقدر ما شؤرت فيهم ، ولا علمته ، ولقد كنت له كارها حيث بلغني ، ولكنه امرٌ حمٌّ^(١) ، قال العتاس ، لقد خارَ الله لك في عزو محمد إياكم ، ودخلتم في الإسلام كافة ، ثمّ مرتّ أشجعُ - وهم آخرُ من مرّ به قبل أن تأتي كتيبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ثلاثة يحمل لواءهم معقل بن سنان ، ولواء آخر مع نعيم بن مسعود فكبروا - قال : من هؤلاء ؟ قال : أشجع ، فقال : هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد ، قال العتاس : نعم ؛ **(يَكُنْ اللهُ أَمْرًا حَلَّ الْإِسْلَامَ قُلُوبَهُمْ)** ؛ وذلك من فضل الله . فسكت وقال : أما مرّ محمد بعد ذلك لا ، ولو رأيت الكتيبة التي هو فيها رأيت الحديدَ والحيلَ والرحالَ ، وما ليس لأحدٍ به طاقة ، فلما طلعت كتيبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله الخضراء طلّح سوادٌ شديدٌ وعبرة من سنابك الخيل ، وجعل الناسُ يمرّون ، كلّ ذلك يقول : أما مرّ محمد بعد ؟ فيقول العتاس : لا ، حتّى مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله يسيرُ على ناقته القصوى بين أبي بكر وأسيّد بن خضير ، وهو يتحدثُهما ، وقال له العتاس : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله في كتيبته الخضراء ، فأطر ، قال : وكلّ في تلك الكتيبة وحوه المهاجرين والأنصار ، وفيها الأولوية والرايات ، وكلّهم مضمسون في الحديد لا يُرى منهم إلّا الخلق ، ولعمري بن الخطّاب فيها رحلٌ^(٢) وعليه الحديد ، وصوته عال ، وهو يرعّعها ، فقال : يا أبا الفصل ، من هذا المتكلّم ! قال : هذا

(١) حم ، أي ولحم .

(٢) زحل ، أي صوت .

عمرُ بن الخطاب؛ قال: لقد أمرُ بهيَ عديَ بعدَ قلةٍ وذلةٍ ! فقال : إنَّ اللهَ يرفعُ من يشاءُ بما يشاءُ ، وإنَّ عمرَ ممن رَفَعَهُ الإسلامُ ، وكان في الكتيبة ألفا دارع ، وراية رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم مع سعد بن عُبادة ، وهو أمام الكتيبة ، فلما حادها سعد نادى : يا أبا سفيان :

اليومَ يومُ اللَّحْمَةِ اليومَ تُسبَى الحُرْمَةُ

اليومَ أدلَّ اللهُ قريشاً ، فلتَ حادها رسولُ الله صلى الله عليه وآله ناداه أبو سفيان : يا رسولَ الله ، أمرت بقتل قومك ؟ إنَّ سعداً قال :

ايومَ يومُ اللَّحْمَةِ اليومَ تُسبَى الحُرْمَةُ

اليومَ أدلَّ اللهُ قريشاً ، وإنِّي أشدُّك اللهُ في قوميك فانت أرفُّ الناس ، وأرحمُ الناس ، وأوصلُ الناس . فقال عثمان بن عفان وسعدُ الرحمن بن عوف : يا رسولَ الله ، إنا لا نأمنُ سعداً أن يكون له في قريش صوتٌ ، فوهب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وناداه ، يا أبا سفيان ، بل اليومَ يومُ المَرْحَةِ ، اليومَ أعزَّ اللهُ قريشاً ، وأرسل إلى سعدٍ فعرَّته عن اللِّواء . وأحتلبَ فيمن دَفَعَ إليه اللِّواءَ فقبل : دَفَعَهُ إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، فذهب به حتى دخل مكة ، فعرَّده عبد الرزَّكي - وهو قولُ ضرار بن الخطاب المَهْرِي - وقيل : دَفَعَهُ إلى قيس بن سعد بن عُبادة - ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّه لم يُخرجْه عن سعد حيث دَفَعَهُ إلى ولده ، فذهب به حتى عرَّده ما لَحَحُونُ ؟ قال : وقال أبو سفيان للمعاس : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قطُّ ، ولا أحبر به محبر ، سبحان الله ! ما لأحد بهمؤلاء طائفة ولا يدان ! لقد أصبح ملك ابن أهلك يا علس عظيماً ، قال : فقلت : ويحك ! إنه ليس بملك ، وإِنَّها النبوةُ ؛ قال : نعم .

قال الواقدي : قال المعاس : فقلت له : أُنَحِّ ويحك ، فأدرك قومك قبل أن يدخل

عليهم ؛ فخرج أبو سفيان حتى دخل من كداء ، وهو يُبَادِي : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ
آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، حَتَّى أَتَى إِلَى هَدْرٍ سِتٍّ عَشْرَةَ ، فَقَالَتْ : مَا وَرَاءُكَ ؟
قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ ، وَقَدْ حَمَلَ لِي أَنَّهُ مِنْ دَحَلِ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ ،
وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَالَتْ : فَحَكَ اللَّهُ مِنْ رَسُولِ
قَوْمٍ ! وَجَعَلَتْ تَقُولُ : وَيَحْكُمُ ! اقْتُلُوا وَاحِدَكُمْ فَدَحَّهَ اللَّهُ مِنْ وَاحِدِ قَوْمٍ ! يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ :
وَيَحْكُمُ ! لَا تَفَرِّتْكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ مَا لَمْ تَرَوْا : الرِّحَالَ ، وَالْكُرَاعَ ،
وَالسِّلَاحَ ، لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ طَاقَةٌ ، مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَاسْلِمُوا تَسْلَمُوا . وَقَالَ الْمُرَادِيُّ
« اكْتَامِلْ » ، : أَمْسَكَتْ هَذَا رَأْسَ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَتْ : شَسْ طَلِيعةُ الْقَوْمِ ! وَاللَّهِ مَا حَدِثْتُ
خَدِشًا ، يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَلَيْكُمْ الْحَمِيَّةُ الدَّسَمُ فَاقْبُوهُ . قَالَ : الْحَمِيَّةُ : الرِّزْقُ الْمَرْفُوتُ .

قَالَ الْوَاهِدِيُّ : وَحَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى دِي طُوًى يَطْرُدُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَانصَوًى إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِّهِ وَعِكرمةَ بْنِ أَبِي حِجَلٍ وَشُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو بَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمِنْ
بَنِي بَكْرٍ وَهَدَيْلَ ، فَلَمَّسُوا السِّلَاحَ ، وَأَقْسَمُوا لَا يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ عَنَوةً أَمْدًا . وَكَانَ دَحَلٌ مِنْ
بَنِي الدَّوَلِ يَقَالُ لَهُ : حَمَاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ حَالِدِ الدَّوَلِيِّ لَمَّا تَمَّيَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
حَكَسَ يُصْلِحُ سِلَاحَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لَمْ تَمِدَّ السِّلَاحَ ؟ قَالَ : لِحَمْدِ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو
أَنْ أُحْدِمَكَ مِنْهُمْ خَادِمًا ، فَإِنَّكَ إِيَّاهُ مَحْتَاحَةٌ ، قَالَتْ : وَيَحْكُ لَا تَعْمَلُ ! لَا تُقَاتِلُ مُحَمَّدًا ،
وَاللَّهِ يَبْضُلُنَّ هَذَا عَمَكَ لَوْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ! قَالَ : سَتَرَيْنَ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ مَمْتَحِرًا ^(١) مُرْدُ حِجْرَةٍ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَادٌ ، وَرَأْيَتْهُ
سُودَاءُ ، وَلَوَاؤُهُ أَسْوَدٌ ، حَتَّى وَفَّ بَدَى طُوًى ، وَتَوَسَّطَ النَّاسَ ، وَإِنْ عُثْمُوهُ لَيْسَ وَاسِطَةً
الرَّحْلَ ، أَوْ يَقْرُبُ مِنْهُ تَوَاصَعًا اللَّهُ حَيْثُ رَأَى مَا رَأَى مِنْ الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ :
لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ .

(١) مَمْتَحِرًا : لَا بَأْسًا .

وجعلت الخيلُ تعجّ بنى طوى و كل رَحْه ، ثم ثابتٌ ومكثتُ ، والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أُستيد بن خُصَر ، فقال : كيف قال حنّان بن ثابت ؟ قال : فأشده :

عَدِمْنَا حَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُبِيرُ النَّفْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (١)

نَظَلَّ حِبَادُنَا مَتَمَطَّرَابٍ نَاتَمَّهِنَّ بِالْخَمْرِ النَّسَاءُ (٢)

فتسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسجد الله ، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كَدَاء ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللَّيْط ، وأمر قيس بن سعد أن يدخل من كُدَي ، ودخل هو صلى الله عليه وآله من أداحر .

قال الواقدي : وحدثني مروان بن محمد ، عن عيسى بن عميلة الفراري ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بين الأقرع بن حابس وعُيَيْيَةَ بن حصن

قال الواقدي : وروى عيسى بن مَعْمَر ، عن عَنَاد بن عبد الله ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : صعد أبو نَحَافَةَ بصري هاربه وأسمها قريبه ، وهو يومئذٍ أُمَي ، وهي تقوده حتى ظهرت به إلى أبي قيس ، فتأثرت به قال : يا بُنَيَّة ، ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى سواداً محتماً معلاً كثيراً ! قال : يا بُنَيَّة ، تلك الخيل ، فاطري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مُقِيلاً ومدراً ، قال : ذاك الوارع ، فاطري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : قد تفرق السواد ، قال : قد تفرق الخنثى ، البيت البيت ؟ قالت : فزلت الحارية به وهي تُرْعِبُ لما ترى ، فقال : يا بُنَيَّة ، لا تحاي ، فوالله إن أحاك عتيقا لآثر أصحاب محمد عند محمد ؟ قالت : وعليها صوتٌ من فصة ، فاحتلّكه بعضُ من دخل ،

(١) دبوانه • والنفع : العيار .

(٢) متطربات : مسرعات . والخمر : جمع خمر .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة حمل أبو بكر يداي : أشدكم الله أيها الناس طَوْقَ أُخْتِي ؛ فلم يرد أحد عليه ، فقال : يا أُخَيَّةُ احْنَسِي طَوْقَكَ ، فإن الأمانة في الناس قليل .

قال الواقدي : ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحرب ، وأمرَ بقتل ستة رجال وأربع نسوة : عكرمة بن أبي جهل ، وهزار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن ضابة اللثي ، والحويث بن ثعلب ، وعبد الله بن هلال بن حنظل الأدي ، وهذبت عتبة ، وسارة مولاة لسي هاشم ، وقينتين لابن حنظل : قريبا وقريبة ، ويقال : قريثا وأرنب .

قال الواقدي . وحدث الحمود كلها ، فلم تنق حُرثا إلا خالد بن الوليد فإنه وحده تخمنا من قريش وأحاشتها قد جموا له ، فيهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فتموه الدحول ، وشهروا السلاح ، ورموه بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عتوة أبداً ؛ فصاح خالد في أصحابه ، وقائدتهم ، فقتل من قريش أربعة وعشرون ، ومن هذيل أربعة ، وانهزموا أقبح انهزام حتى قتلوا بالحرورة ، وهم مؤتوون من كل وجه ، وأطلقت طائفة منهم فوق رؤوس الحمال ، واتتهم المسلولون ، وحمل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يناديان : يا معشر قريش ، هَلَامْ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ؟ من دخل داره فهو آمن ، ومن أعلق عليه بابه فهو آمن ، ومن وصح أسلحه فهو آمن ، فجعل الناس يقتحمون الدور ويملقون عليهم الأبواب ، ويطرحون السلاح في الطرق حتى يأخذه المسلحون .

قال الواقدي : وأشرف رسول الله صلى الله عليه وآله من على منية أداخر ، فطفر إلى البارقة ، فقال : ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال ؟ قيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد

فَوَيْلٌ ، وَلَوْ لَمْ يُقَاتِلْ مَا قَاتَلَ ؟ فَقَالَ : نَصَبَ اللَّهُ خَيْرَ ، وَأَقْبَلَ أَنْ خَطَلَ مَدْحُحًا فِي الْحَدِيدِ عَلَى فَرَسٍ دَنُوبٌ^(١) بِيَدِهِ قَنَاقَةً يَقُولُ . لَا وَتَهُ لَا يَدْخُلُهَا عَمُوءَةٌ حَتَّى يَرَى صَرْنًا كَثُفَ وَاهٍ الزَّادَ ، فَتَمَّ أَنْتَهَى إِلَى الْحَدَمَةِ وَرَأَى الْقَتْلَ دَحْنَهُ رُغْبٍ حَتَّى مَا يَسْتَمِيكَ مِنَ الرُّعْدَةِ ، وَصَرَّ هَارِبًا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الْكُتْبَةِ ، فَدَخَلَ بَيْنَ أَسْتَارِهَا لَمَّا دَأَى طَرَحَ سِلَاحَهُ وَتَرَكَ فَرَسَهُ ، وَأَقْبَلَ حَمَاسُ بْنُ حَالِدٍ السَّوَلِيَّ مَهْرَ مَا حَتَّى أَتَى ابْنَتَهُ مَدْفَقَهُ ، فَتَنَحَّطَ لَهُ امْرَأَتُهُ فَدَخَلَ ، وَوَدَّ دَهَبَتْ رُوحَهُ ، فَقَالَتْ : أَيُّ الْخَادِمِ الْآتِي وَعَدَنِي ؟ مَارِلْتُ مُنْطَرِنْتُكَ مَسْدُ يَوْمٍ ، تَسْخَرُ بِهِ ، فَقَالَ : دَعَى هَذَا وَأَعْلَقَ الْبَابَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَقَى بَنَاتِهِ هُوَ آمِنٌ ، قَالَتْ : وَيَبْحَثُ ! أَلَمْ أَمْهِكْ عَنْ قَتَالِ مُحَمَّدٍ ؟ وَقُلْتَ لَكَ : إِنِّي مَا رَأَيْتُهُ يَدُ نُسُكٍ مَرَّةً إِلَّا وَطَهَرَ عَلَيْكُمْ ، وَمَا بِنَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَمْنَعُ عَلَى أَحَدٍ بَنَاتِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَهَا^(٢) :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَنَا بِالْحَدَمَةِ إِذَا فَرَّ صَعَوَانُ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَوُوْ يَرِيدُ كَالْمَجْجُورِ الْمُؤْتَمَةِ وَصَرَبْنَا هُمْ بِالسَّيُوفِ الْمُسَدَةِ^(٣)
لَهُمْ رُثِيرٌ حُلْمًا وَعَنْعَمَةٌ لَمْ يَسْطِقْ فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ^(٤)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَحَدَّثَنِي قُدَامَةُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَةَ مَوْلَى الْمَارِثِيِّ ، عَنْ حَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ لُحْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ أَدَاخِرِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ نَظَرَ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَى مَوْصِعِ قُنَّةٍ بِالْأَبْطَحِ تَجَاهَ شَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ حَيْثُ حُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَ

(١) دَنُوبٌ . وَافَرَّ الْقَدَبُ مَا يَحْرِيكَ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٤ : ٢٧ .

(٣) الْمُؤْتَمَةُ : إِلَى قَتْلِ رُوحِهَا وَتَقَى لَهُ أَوْلَادُ أَبِيهِمْ ، وَالْمُسَدَةُ ، أَرَادَ الْمُسَدِينَ ، وَيَسْمَعُ فِي ابْنِ هِشَامٍ :

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَتُخْجِمَنَّ ضَرْبًا فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا صَعَمَةً

(٤) ابْنُ هِشَامٍ : وَلَهُمْ بَيْتٌ .

سبين ؟ وقال : يا جابر ، إن منزلنا اليوم حيث تقفمت علينا قريش في كفرها ؛ قال جابر : فذكرتُ كلاما كنتُ أسمعُه في المدينة قبل ذلك ، كان يقول : منزلنا عدأً إن شاء الله إذا فتح علينا مكة في الحنيف حيث تقاسموا على الكفر .

قال الواقدي : وكانت قننه يومئذ بالأدَم صُرِبَتْ له بالحنون ، فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أُم سلمة وميمونة .

قال الواقدي : وحدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي رافع ، قال : قيل للنبي صلى الله عليه وآله : ألا نمرل مَرِّكَ من الشعب ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل من ممرل ! وكان عقيل قد باع ممرل رسول الله صلى الله عليه وآله ومبارل لإخوانه من الرجال والنساء عكة ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : فارل في بعض بيوت مكة من عبر مبارلك . فأنى وقال : لا أدخل البيوت ؛ فلم يزل مضطرباً بالحنون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتي إلى المسجد من الحنن ، قال : وكذلك فعل في عمرة القصية وفي حجته .

قال الواقدي : وكانت أُم هاني بنت أبي طالب تحت هيرة بن أبي وهب المخزومي هذا كان يوم الفتح دخل عليها خنوا لهُب : عبد الله بن أبي ربيعة والخارث بن هشام المخزوميان ، فاستجارا بها ، وقالا : نحن في حوارك ؛ فقالت : نعم أتما في جوارى . قالت أُم هاني : فهما عندي إدا دخل علي فارس مدحج في الحديد ولا أعرفه ، فقلت له : أما كنت عم رسول الله ، فأسفر عى وجهه ، فإدا عى أحي ، فاعتقته ، وطر إليهما فشر السيف عليهما ، فقلت : أحي من بين أساس صمع لي هذا ؟ فأنيت عليهما ثوباً ، فقال : أتحرير من اشركين ! فحنت دونهما ، وقت . لا والله واسدي بن قنلها ؛ قالت : خرج ولم يكدر ، فأعلقت عليهما بيتا ، وقلت : لا تحمدا ، ودهست إلى حياء رسول الله صلى الله

عليه وآله بالبطحاء فلم أجده ، ووجدتُ فيه فاطمة ، فقلت لها : ما لقيتُ من ابن أُمي علي !
 أجرتَ حمّوين لي من الشرّكين ، ففعلتَ عليهما ليقتلها ، قالت : وكانت أشدَّ عليَّ من
 زوجها ، وقالت : لمُ يُحمّرين الشرّكين ! وطّيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه النّار ،
 فقال : مرحباً بفاخنة - وهو اسمُ أم هاني - فقلتُ : ماذا لقيت من ابن أُمي علي ما كدتُ
 أقولُ منه ! أجرتَ حمّوين لي من الشرّكين ، ففعلتَ عليهما ليقتلها ، فقال : ما كل ذلك
 له ، قد أحرّنا من أحرّ وأُمّنا من أُمّت ، ثم أمر فاطمة فكبّت له غسلاً فاعتكَل ، ثم
 صلى ثمانى ركعات في ثوب واحد ملتصقاً به وقت الصّبح ؛ قالت : فرحمتُ إليهما وأخبرتهما ،
 وقلت : إن شئنا فاقيا ، وإن شئنا فارحما إلى مشاركنا ، فأقاما عدى و مرلى يومين ؛ ثم
 انصرفا إلى منارتهما .

وأتى آتٍ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : إن الحارث بن هشام وعبد الله
 ابن أبي ربيعة جالسا في نادهما ممتصّان في اللّاء المرغمر ، فقال : لا سبيل
 إليهما ، قد أحرّناهما .

قال الواقدي : ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله في قبة ساعة من النهار ، ثم
 دعا راحلته بعد أن اعتسل وصلى ، فأدريت إلى باب القبة ، وخرج وعليه السلاح والمِعَر
 على رأسه ، وقد صُفّ له الناس ، فركبوا وأخيلُ تمعج^(١) ما بين الخدمة إلى الحجّون ، ثم
 مرّ وأبو بكر إلى جنبه على راحلة أخرى يسير ويُجاذبه ، وإذا بساتُ أبي
 أُحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبي أُحيحة ، وقد تشّرن شعورهنّ ، فطمعن
 وجوه الخليل بالحُرّ ، فظفر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر ، فتسم وأنشد
 قولَ حسان :

(١) تمعج : تسرع .

تَطَلَّ جِيادُنا مَتَطَرَاتٍ تُنَظِّمْنَ بِالْخُرِّ النَّسَاءَ

فلما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته ، فاستلم الركن بمخضه ، وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ، وعجّوا لتكبير حتى ارتحت مكة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليهم أن اسكنوا ، واشركون فوق الحمال يبطرون ، ثم طاف بالبيت على راحلته ، ومحمد بن مسلمة أخذ برامها ، وحول الكعبة ثلثائة وستون سبما مرصومة بالرصاص ، وكان هلال أعظمها ، وهو تحاه الكعبة على ماها ، وإساف وثالثة حيث يتخرون ويذبحون النبايح ، فعمل كلّا يمرّ بصم مهب يشير بفضيف في يده ويقول : ﴿ جاء الحقّ وذهب الباطل إنّ الباطل كان زهوقا ﴾ ، فيقع لصم نوحه ، ثم أمر بهتل فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير لأبي سفيان . يا أبا سفيان ، قد كسر هلال ، أما إنك قد كنت معه يوم أحد في عرور حين ترعّم أنه قد أنتم ، فقال : دع هذا علك يا ابن المومّام ، فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كلن .

قال الواقدي : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد وأرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يأتيه بالفتح ، مفتاح الكعبة ، فقال عثمان : نعم ، فخرج إلى أمّه وهي بنت شيبه ، فقال لها والفتح عدها يومئذ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد طلب المفتاح ، هالت : أعيدك بالله أن يكون الذي يذهب مائة قومه على يده ؟ فقال : فوالله لتأتيني به أو ليأتيتك عيري فيأخذه منك ، فأدحت في حفرتها ، وقالت : أيّ رجل يدخل يده هاها ! بسماها على ذلك وهو يكلمها . د سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطاً : يا عثمان اخرج ، فقالت أمّه : خذ المفتاح ، فلأن تأخذه أنت أحبّ إلى من أن يأخذه نيم وعدى ، فأخذه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما تناوله تسلط العباس بن عبد المطلب يده وقال : يا رسول الله ، باني أمّ ! اجمع لنا بين السقاية والحجابة ، فقال : إنما أعطيتكم ما ترضون فيه ، ولا أعطيتكم ما تدرءون منه ،

قالوا : وكان عثمانُ بنُ طلحة قد قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وآله مع خالد بن الوليد وعمر بن الماص مسلحا قبل الفتح .

قال الواقدي : ونَحَثَ رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب ومعه عثمان بن طلحة ، وأمره أن يفتح البيت فلا يدع فيه صورة ولا تمثالا إلا صورة إبراهيم الخليل عليه السلام ، فلما دخل الكعبة رأى صورة إبراهيم شيخا كبيرا يستقسم بالأزلام^(١) .

قال الواقدي : وقد روى أنه أمره محصور الصور كلها لم يستس ، فترك عمر صورة إبراهيم ، فقال لعمر : ألم أمرك ألا تدع فيها صورة ؟ فقال عمر : كانت صورة إبراهيم ، قال : فامحها ، وقال : قاتلهم الله ، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام !

قال : وعما صورة مريم . قال : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله عابه وآله عما السُّود بيده ، روى ذلك ابن أبي دُنب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عُمر مولى ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة ، فرأى فيها صوراً ، فأمرني أن آتيه في الدُّنُو بعمد ، فحمل يُلْهُ به الثوب ويضرب به الصُّور ويقول : « قاتل الله قوماً يصوِّرون ما لا يخلفون ! » .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالكعبة فأُعِيت عليه ، ومعه فيها أسامة بن زيد ، وبلال بن رباح ، وعثمانُ بنُ طلحة ، فكث فيها ما شاء الله ، وخالد بن الوليد واقف على الباب يَدُفُ الناس عنه ، حتى حرج رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ، فوقف وأخذَ يَصَادَتِي^(٢) ، الباب ، واشترَفَ على الناس وفي يده المفتاح ، ثم حمّله في كعبه ، وأهلُ مكة قيامٌ تحته ، وبعضهم جالس قد ليطأ بهم ؛ فقال الحمد لله الذي

صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون ؟ قالوا :
 تقول حيرا ، ونظن شرا أح كرم ، وابن أح كرم ، وقد قدرت ، فقال : إني أقول
 كما قال أحى يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَمِرُّ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
 ألا إن كل رباً في الجاهلية أو دم أو مأثرة فهو تحت قدسي هاتين إلا سيادة الكعبة
 وسقاية الحاج . ألا وفي قتيل ريشه العمد ، قتيل اعصا والسوط الدية معطاة مائة ناقة ، منها
 أربعون في بطونها أولادها . إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية ونكبرها بابائها ، كلكم
 لآدم ، وآدم من تراب . وأكرمكم عند الله أتقاكم . ألا إن الله حرم مكة يوم خلق
 السموات والأرض ، فهي حرام محرم الله ، لم تحل لأحد كان قبل ، ولا تحل لأحد يأتي
 بعدي ، وما أحلت لي إلا ساعة من النهار . قل : يقصدها رسول الله صلى الله عليه وآله
 بيده هكذا . لا سقر سيدها ، ولا يمسد رعضها ، ولا تحل لنفطها إلا لمشد ، ولا يمتلئ
 خلاها . فقال الناس : إلا الإذخر . رسول الله ، فإنه لا بد منه للقصور والبيوت ، فسكت
 رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة ثم قال إلا الإذخر ، فإنه حلال ، ولا وصية لوارث ،
 والولد للعراش ، وللماهر الحجر ، ولا يمن لامرأة أن تعطى من مالها إلا يادن روحها ،
 والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ، يداً واحدة على من سواهم ، تشكافاً دماؤهم ، يسعى
 بدميتهم أديانهم ، ويرة عليهم أفعاسهم ، ولا تقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ،
 ولا يتوارث أهل ملتين مختلطين ، ولا تسكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، وابتينة
 على من أذعن ، واليمين على من أسكر ، ولا تسامر امرأة مسيرة ثلاث إلامع ذي محرم ،
 ولا صلاة بعد العصر ، ولا بعد الضحى ، وأماكم عن صيام يومين : يوم الأضحى ويوم
 البقر . ثم قال : ادعوا لي عثمان بن طلحة ، فجاء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله
 قال له يوماً بمكة قبل الهجرة ومع عثمان بيتاح : مالك سترى هذا المفتاح بيدي يوماً أصغه
 حيث شئت ؟ فقال عثمان : لقد هلكك مريش يدأ ودلت ! فقال عليه السلام : بل عمرت
 وعزّت ؟ قال عثمان : فلما دعاني يومئذ والمفتاح بيدي ذكرت قوله حين قال : فاستقبلته

بشر ، فاستقبلني بمثله ، ثم قال : حذوها يا بني أبي طلحة حادثة نالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم . يا عثمان ، إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا بالمعروف ؛ قال عثمان : فلما ولّيت ناداني فرحمت ، فقال : ألم يكن الذي قلت لك ! يعني ما كان قاتله بحكمة من قبل ، فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ برفع السلاح ، وقال : إلا خراعة عن بني بكر بنى سلاء الهمر . فخطبهم بالسيف ساعة ، وهي الساعة التي أحييت لرسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وقد كان نوفل بن معاوية لدؤلى من بني نكر استأمن رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه ، فأمنه ، وكانت خراعة نطله بدماء من قتل بكر وغريش معها بالوتير ، وقد كانت خراعة قالت أبصا لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن أس بن ذسم هالك ، فهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه ، فلما فتح مكة هرب وألتحق بالجمال ، وقد كان قتل أس بفتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة ول شعرا يصدر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مجلته :

أنت الذي تهدي صدى بأمره	بك الله يهديها وقال لها أرشدي
فما حجت من نافق هوق كورها	أرأ وأوى رجمة من عمدة
أحت على خير وأوسع نائلا	إذا راح بهنر اهتزاز المهدي
وأكسى لرد الحال قبل ارتدائه	وأعطى رأس السائق المتحرر
تعلم رسول الله أنك مدركي	وأن وعيدا منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر	على كل حي من مهام ومسجد
وبني رسول الله أتي هونك	فلا رفعت سوطي إلى إذن يدي
سوى أنني قد قلت يا وبيع فتية	أصيروا بخسر يوم طلق وأسعد

أصابهم من لم يكن لفسادهم كفاء فزرت عبرى وتلدى
ذوياً وكثوما وسلمى تتاعوا حيماً فلا تدمع العين أ كعد
على أن سلمى ليس منهم كئيله وإخوته وهل ملوك كأعبر !
فأنى لا عرضاً خرقت ولا دماً خرقت فخر عالم الحق وأقصير

قال الواقدي : وكانت كلمته هذه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يفتح مكة ، فسبته عنه ، وكلمته يوم الفتح نوفل بن معاوية الضولي ، فقال : يا رسول الله ، أنت أولى الناس بالله ، ومن منا لم يمدك ولم يؤدك ، ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع ، حتى هدانا الله بك ، وأقصدنا بيمينك من الملكة ، وقد كذب عليه الركب ، وكثروا في أمره عندك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعه الركب عك ، إنما لم يعد اتهاماً أحداً من دوى رجلي ولا نصيب لرجلي كان أبر بنا من حراقة ، سكت يا نوفل ؟ قلنا سكت قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد عموت عنه فقال نوفل : هداك أبي وأمي .

قال الواقدي : وحادث الطهر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالا أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وقريش في رموس الجبال ، ومنهم من قد تعيب وسر وجهه خوفاً من أن يقتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد آمن . فلما أذن بلال وبلغ إلى قوله : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، صلى الله عليه وآله رقع صوته كأنه ما يكون ؛ قال : تقول جويزية بنت أبي جهل : قد لعمري رجع لك ذكرك ، فأما الصلاة فسلمى ، ولكن والله لا نحب من قتل الأختة أبداً ، ولقد كان حاله أني الذي جاء محمداً من النبوة ؛ فردها ولم يرّد خلاف قومه .

وقال خالد بن سعيد بن العاص : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يدرك هذا اليوم ؟

وقال الحارث بن هشام : وأُكْلَاهُ ! لَيْتَنِي يَتَّ قُلَّ هَذَا الْيَوْمَ قُلَّ أَنْ أَسْمَعَ بِلَا يَنْهَنُ
فَوْقَ الْكَمَةِ ! وقال الحكم بن أبي العاص : هَذَا وَاللَّهِ أَخَذْتُ الْمَطْبِخَ ، أَنْ يَصِيحَ عَبْدُ
بَنِي جُمَحٍ ، يَصِيحُ بِمَا يَصِيحُ هَ عَلَى يَتَّ أُنَى صَدْحَةٍ ، وَقُلَّ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، إِنْ كَانَ هَذَا
سُخْطًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَنَسِيتُهُ ، وَإِنْ كَانَ قُدْرَةً فَنَسِيتُهُ ؛ وقال أبو سُفْيَانَ : أَمَا أَنَا فَلَا أَقُولُ
شَيْئًا ، لَوْ قُلْتُ شَيْئًا لِأَحَبِّهِ هَذِهِ الْحَصَاءُ ، قُلَّ : فَأَتَى حِرَاقِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ الْقَوْمِ .

قال الواقدي : فَكَانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَحْدِثُ فَيَقُولُ : لَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ انْقَسَمْتُ
فَدَخَلْتُ بَيْتِي وَأَعْلَقْتُهُ عَلَى ، وَقُلْتُ لَأَسِيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ : اذْهَبْ فَاطْلُبْ لِي جَوَادًا
مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي لَا أَمِنُ أَنْ تُقْتَلَ ، وَحَمَلْتُ أَنْ تَذْكُرَ تُرَى عِنْدَهُ وَعِنْدَ أَهْلِيهِ فَلَا أَرَى أَسْوَأَ أَثَرًا
مَتَى ، فَإِنِّي لَقِيتُهُ يَوْمَ الْحَدَنْثِيَةِ عَامَ بَلْعَنَةِ أَحَدُهُ ، وَكُنْتُ نَدَى كَاتِبِهِ ، مَعَ حَصُورِي
بُدْرًا وَأَحَدًا ، وَكَلَّمَا نَحَرْتُ كُنْتُ قَرْنِي كُنْتُ ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنَى تَوَمُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ آمَنَ ثَمَانَ اللَّهُ ،
فَلْيُظْهِرْ ، ثُمَّ انْتَمَتْ إِلَيَّ مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ : مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَا يُشَدُّ الْفَطْرَ إِيَّاهُ .
ثُمَّ قَالَ : قُلْ لَهُ : فَلْيُخْرِجْ ، فَامْصُرِي إِنْ سَهِيلاً لَهُ عَمَلٌ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ خِيَلُ
الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ دَأَى مَا كَانَ يُوصَعُ بِهِ إِنْ ، يَكُنْ لَهُ تَدَاعٍ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ
بِمَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ سُهَيْلُ : كَانَ وَاللَّهِ بَرًّا صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَكَانَ
سُهَيْلٌ يُقْبَلُ وَيُدْرَعُ غَيْرَ خَائِفٍ ، وَخَرَجَ بِي خَيْرَ مَعَ أَسِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى
شِرْكِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْحُجْرَانَةِ .

ثم الجزء السابع عشر من شرح نهج الدلائل لابن أبي الحديد

وبليه الجزء الثامن عشر

فهرس الكتب*

- ٤٦ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ٣
- ٤٧ - من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضرب به ابن ملجم ٥ - ٦
- ٤٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٢
- ٤٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ١٤
- ٥٠ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراءه على الجيوش ١٥
- ٥١ - من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج ١٩ - ٢٠
- ٥٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٢٢
- وبيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلوات ٢٢ - ٢٩
- ٥٣ - من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر الفخمي لما ولّاه على مصر ٣٠ - ٣٧
- ٥٤ - من كتاب له عليه السلام إلى كنانة واليزيد مع عمران بن الحصين الخزاعي ١٣١
- ٥٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٣٥
- ٥٦ - من كتاب له عليه السلام أوصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته ١٣٩
- إلى الشام
- ٥٧ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة مسيره من المدينة إلى البصرة ١٤٠
- ٥٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ١٤١
- ٥٩ - من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان ١٤٥
- ٦٠ - من كتاب له عليه السلام إلى المهمل الذين يظلمهم الجيوش ١٤٧

٦١ - من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ١٤٩

٦٢ - من كتاب كتبه له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر

٢٢٦-١٥١

لما وآلاه ولايتها

٦٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على

الكوفة ، وقد بلغه عنه تبيطه الناس عن الخروج إليه لما نذبهم لحرب

٢٤٦

أصحاب الجمل

٢٥١، ٢٥٠

٦٤ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتابه



مركز بحوث المخطوطات الإسلامية

• فهرس الموضوعات

١١- ٨	فصل في ذكر الآثار الواردة في حقوق الجار
٣٨٤ ٣٧	فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس وما ورد في ذلك من الآثار
٤١- ٣٩	فصل في النهي عن سماع السماية وما ورد في ذلك من الآثار
٥٨- ٥٥	رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه
٦٨- ٦١	فصل في القضاة وما يلزمهم، وذكر بعض نوادرهم
٧٥٤ ٧٤	عهد سابور بن أردشير إلى ابنه
٧٨- ٧٦	فصل فيما يجب على مصاحب الملك
٨٠٤ ٧٩	فصل في الكتاب وما يلزمهم من الآداب
٨٣- ٨٠	فصل في ذكر ما نصحت به الأوائل للوُكلاء
٩٦- ٩١	ذكر الحجاب وما ورد فيه من الخبر والشر
١٠٦- ٩٨	طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وتراحمته في خلافته
١١٠٤١٠٩	فصل فيما جاء في الخلد من كيد العدو
١٣٠-١١٨	فصل في ذكر بعض وسايا العرب
١٣٢	عمران بن الحصين
١٣٣، ١٣٢	أبو جعفر الإسكافي
١٣٩	شريح بن هانئ
١٥٠٤١٤٩	كميل بن زياد ونسبه
٢٢٥-١٥٤	ذكر ما طعن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها
١٦٤-١٥٥	الطعن الأول في ذكر ما طعن به عليه فيه من أمر فذك
١٦٨-١٦٤	الطعن الثاني في قوله : ليتني كنت سألت رسول الله عند موته عن ثلاثة ...

- الطعن الثالث في توليته عمر مع أن رسول الله لم يوله شيئاً من أعماله ١٦٨-١٧٥
- الطعن الرابع لتأخيره إقصاد جيش أسامة ١٧٥-١٩٤
- الطعن الخامس بمناسبة أن الرسول عليه السلام لم يوله الأعمال وولى غيره ١٩٥-٢٠١
- الطعن السادس في أنه لم يعرف الفقه وأحكام الشريعة ٢٠١، ٢٠٢
- الطعن السابع في عدم إقامته الحد على خالد بن الوليد وقد قتل مالك بن نويرة ٢٠٢-٢١٤
- الطعن الثامن فيما تم من دفنه وعمر مع رسول الله في بيته ، وقد منع الله تعالى الكل من ذلك في حال حياته ٢١٤-٢١٩
- الطعن التاسع في أنه نص على عمر بالخلافة مخالفاً في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - بزعمهم ٢١٩، ٢٢٠
- الطعن العاشر في أنه سمى نفسه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اعترافه بأنه لم يستخلفه ٢٢١
- الطعن الحادي عشر في أمره بحرق الفجاعة السلي بالنار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ٢٢٢
- الطعن الثاني عشر في أنه تكلم في الصلاة قبل التسليم ٢٢٢، ٢٢٣
- الطعن الثالث عشر في أنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عباد - بزعمهم ٢٢٣، ٢٢٤
- الطعن الرابع عشر في أنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم ٢٢٤
- الطعن الخامس عشر في أنه أمر في خلافته بأن من كان عنده شيء من كلام الله فليأته به ؛ مع أن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر ٢٢٤، ٢٢٥
- أخبار الوليد بن عقبة ٢٢٧-٢٤٥
- كتاب معاوية إلى علي ٢٥١-٢٥٣
- ذكر الخبر عن فتح مكة ٢٥٧-٢٨٤